زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسى

رسالة شرعية عالمية

معهد المنهج الدراسي الميسر

من المستوى الأول إلى الثاني عشر

القواعد والتعليق

على

العقيدة الواسطية

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أمرنا بالتفقه في الدين، وأرشدنا إلى التمسك بالحق المبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، أما بعد:

فإن العقيدة الواسطية من أفضل كتب العقيدة، وقد رغب الطلبة في شرحها لهم، فتم ذلك في مجالس متعددة، ثم فرغت المادة وأصلحتها، وأضيفت القواعد على الشرح، ليكون بذلك جديدًا على المكتبة، ولله تعالى الفضل، ولنا شرح آخر مكتوب يحتاج إعادة نظر، ولعل الله تعالى ييسر لنا ذلك، ثم ننشره، الله الموفق، ومن عنده ملاحظة يرسلها (٠٠٩٦٧٧٧٧٨٢٤٦٤٣).

ونسأل الله تعالى السداد والرشاد، والحمد لله تعالى.

كتبه أبو عبد الله المصنعي

وفقه الله تعالى

صفر ١٤٤٧ هـ

دار الحديث بشبوة

****

متن

العقيدة الواسطية

شيخ الإسلام أحمدُ بْنُ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ (ت: ٧٢٨ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ لله الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى ودِينِ الحقِّ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَى بِالله شَهِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا اعْتِقَادُ الفِرْقةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة، وَهُوَ الإِيمَانُ بِالله، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَمِن الإِيمَانِ بالله، الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ، بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ الله وَآيَاتِه، وَلاَ يُكَيِّفُونَ، وَلا يُمَثِّلونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ – سُبْحَانَهُ – لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْوَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لَهُ. وَلاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً وَأَحْسَنُ حَدِيثًا منْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ، بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ. ولِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصَّافَّات: ١٨٠ - ١٨٢]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَنْ مَا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخالِفونَ للرُّسُلِ، وَسَلَّم عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلامةِ مَا قَالُوهُ مِن النَّقصِ وَالعَيْبِ.

وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ؛ فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جاءَ بِهِ الْمُرْسَلونَ. فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِن النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهداءِ وَالصَّالِحِينَ. وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ حَيْثُ يَقُولُ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

ومَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَاب اللهِ حَيثُ يَقُولُ: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ منْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ منْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا- أَيْ لاَ يُكْرِثُهُ وَلاَ يُثْقِلُهُ- وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، وَلِهَذَا كَانَ منْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِن اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ.
وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾ [سُورَةُ الْفُرْقَانِ: ٥٨].
وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الْحَدِيدِ: ٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ منْهَا وَمَا يَنزِلُ مِن السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سَبَإٍ: ١ - ٢]، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ منْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأَنْعَامِ: ٥٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ منْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾ [فَاطِرٍ: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ

اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطَّلَاقِ: ١٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سُورَةُ الشُّورَى: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النِّسَاءِ: ٥٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ﴾ [الْكَهْفِ: ٣٩] وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٥٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المَائِدَةِ: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمنْ يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأَنْعَامِ: ١٢٥]،

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البَقَرَةِ: ١٩٥]، ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحُجُرَاتِ: ٩]، ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التَّوْبَةِ: ٧]، ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٣١]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المَائِدَةِ: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّفِّ: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ [النَّمْلِ: ٣٠]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [سُورَةُ غَافِرِ: ٧]، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأَحْزَابِ: ٤٣]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأَعْرَافِ: ١٥٦]، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأَنْعَامِ: ١٥٤]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يُونُسَ: ١٠٧]،

﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يُوسُفَ: ٦٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ: ١١٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النِّسَاءِ: ٩٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [مُحَمَّدٍ: ٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٥٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التَّوْبَةِ: ٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّفِّ: ٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [البَقَرَةِ: ٢١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأَنْعَامِ: ١٥٨]، ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الْفَجْرِ: ٢١، ٢٢]، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الْفُرْقَانِ: ٢٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [الْقَصَصِ: ٨٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٥٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٦٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّورِ: ٤٨]، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [الْقَمَرِ: ١٣ - ١٤]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الْمُجَادَلَةِ: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٨١]،

وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٨٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ [العَلَقِ: ١٤]،

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٢١٨ - ٢٢٠]، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التَّوْبَةِ: ١٠٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرَّعْدِ: ١٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ واللهُ خيْرُ المَاكرين﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [النَّمْلِ: ٥٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطَّارِقِ: ١٥ - ١٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النِّسَاءِ: ١٤٩]، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النُّورِ: ٢٢]،

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الْمُنَافِقُونَ: ٨]، وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٧٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإِخْلاَصِ: ٤]، ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ [البَقَرَةِ: ١٦٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإِسْرَاءِ: ١١١]، ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التَّغَابُنِ: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ١، ٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ٩١،٩٢]، ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا لله الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحْلِ: ٧٤]، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأَعْرَافِ: ٣٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ:

فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ [٥٤] قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: [٤٠]: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وقال فِي سُورَةِ الرَّعْدِ [٢]: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ [٥]: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ الفُرْقَانِ [٥٩]: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ الم السَّجْدَةِ [٤]: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ الحَدِيدِ [٤]: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿يا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النِّسَاءِ: ١٥٨]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فَاطِرٍ: ١٠]، ﴿يا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غَافِرٍ: ٣٦، ٣٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [المُلْكِ: ١٦ - ١٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحَدِيدِ: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المُجَادَلَةِ: ٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَةِ: ٤٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طَهَ: ٤٦]، ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النَّحْلِ: ١٢٨]، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأَنْفَالِ: ٤٦]، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ [النِّسَاءِ: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ [النِّسَاءِ: ١٢٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ﴾ [المَائِدَةِ: ١١٠]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ [الأَنْعَامِ: ١١٥]، وَقَوْلُهُ:﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النِّسَاءِ: ١٦٤] ﴿مِنْهُم مَن كَلَّمَ اللهُ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأَعْرَافِ: ١٤٣]، ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٥٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١٠]، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأَعْرَافِ: ٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القَصَصِ: ٦٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَةِ: ٧٥]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفَتْحِ: ١٥]، ﴿وَاتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكَهْفِ: ٢٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النَّمْلِ: ٧٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأَنْعَامِ: ٥٥]،

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [الحَشْرِ: ٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ

الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النَّحْلِ: ١٠١ - ١٠٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القِيَامَةِ: ٢٣]، ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المُطَفِّفِينَ: ٢٣]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونُسَ: ٢٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، وهَذَا البابُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى كثيرٌ منْ تَدَبَّرَ القُرآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى منْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ.

(فَصْلٌ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)

فَصْلٌ: ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتدُلُّ عَلَيْهِ وَتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ ﷺ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِن الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي نَقَلَهَا، وَتلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ، وَجَبَ الإِيمَانُ بِها كَذَلِك.

مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: (يَنْزِلُ ربُّنا إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَه؟ منْ يَسْتَغفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ؟) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

---

(١) (خ ١١٤٥) (م ٧٥٨)، ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (يَنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ). وقد روى أحاديث النزول: أبو بكر الصديق وعلي وابن مسعود وأبو سعيد وجبير بن مطعم ورفاعة الجهني وأبو الدرداء وعثمان بن أبي العاص وجابر بن عبد الله وعبادة بن الصامت وعقبة بن عامر وعمرو بن عبسة وأبو الخطاب وأنس بن مالك وأبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وأبو ثعلبة الخشني وعائشة وابن عباس وأم سلمة وابن عمر وأبو أمامة وحذيفة ولقيط بن صبرة

وَقَوْلُهُ ﷺ: (للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ) فَالحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَقَوْلُهُ ﷺ: (يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الجنَّةَ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَقَوْلُهُ: (عَجِبَ رَبُّنا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزَلِّينَ قَانِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ، يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قريبٌ) حَدِيثٌ حَسَنٌ(٣).

وعوف بن مالك وثوبان وعبد الله بن عمرو و وجد عبد الحميد بن سلمة رضي الله عنهم أجمعين. وذكر صاحب كتاب (صفة النزول الإلهي) أن جميعها صحيحة وحسنة، وبعضها يتقوى بالشواهد، واحا حدبث أسماء بنت يزيد فضعفه شديد وليس له متابعات. أ.هـ (ص ٥٤).

(١) (خ ٦٣٠٨) (م ٢٧٤٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه، و (خ ٦٣٠٩) (م ٢٧٤٧) عن أنس رضي الله عنه، و(م ٢٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، و(م ٢٧٤٥) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، و(م ٢٧٤٦) عن البراء

رضي الله عنه،.

(٢) (خ ٢٨٢٦) (م ١٨٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الحديث بلفظ (ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ، قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا) رواه ابن ماجه (١٨١) وغيره، وفيه وكيع بن حدس فيه جهالة، وضعفه الألباني في السنن، لكن ذكره في الصحيحة (٢٨١٠) كأنه تراجع عن تضعيفه، وضعفه الوادعي والأرنؤوط في المسند.

وجاء عن لقيط بن صبرة رضي الله عنه بلفظ (وَعَلِمَ يَوْمَ الْغَيْثِ يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ آزِلِينَ مُشْفِقِينَ، فَظَلَّ يَضْحَكُ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» قَالَ لَقِيطٌ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ لَنْ نَعْدَمَ مَنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا) رواه الحاكم (٨٦٨٣) وفي سنده يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري ضعيف.

وَقَوْلُهُ ﷺ: (لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ منْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ- عَلَيْهَا قَدَمَهُ؛ فَيَنْزَوِيَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَقَوْلُهُ:(يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ منْ ذُرِّيَّتِك بَعْثًا إِلَى النَّارِ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢). وَقَوْلُهُ: (مَا منْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَه تُرْجُمَان)(٣).

وَقَوْلُهُ: فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ: (رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هذا الوَجَعِ، فَيَبْرَأُ). حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَغَيْرُهُ(٤).

وَقَوْلُهُ: (أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مِنْ فِي السَّمَاءِ) حَدِيثٌ صَحِيحٌ(٥).

---

(١) (خ ٤٨٤٩) (م ٢٨٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظ رجله له فيهما معًا: (خ ٤٨٥٠) (م ٢٨٤٦/ ٣٦). و(خ ٤٨٤٨) (م ٢٨٤٨) عن أنس رضي الله عنه بلفظ القدم.

(٢) (خ ٧٤٨٣، ٤٧٤١) (م ٢٢٢) واالفظ للبخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) (خ ٧٤٤٣، ٧٥١٢) (م ١٠١٦) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٤) رواه أبو داود (٣٨٩٢) من حديث فضالة رضي الله عنه وفي سنده زيادة بن محمد منكر الحديث، وله طريق عند أحمد (٦/ ٢١) وفيه ابن أبي مريم متروك، وضعفه الألباني والوادعي وغيرهما.

(٥) (خ ٤٣٥١) (م ١٠٦٤) عن أبي سعيد رضي الله عنهما.

وَقَوْلُهُ: (وَالْعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[(١)]. وَقَوْلُهُ للجارية: (أينَ اللهُ؟) قَالَتْ: فِي السمَاءِ. قَال: (مَنْ أَنَا؟) قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: (أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٢)].

وَقَوْلُهُ: (أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ) حَدِيثٌ حَسَنٌ[(٣)]. وَقَوْلُهُ: (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَلاَ يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٤)].

وَقَوْلُهُ: (اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِها، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ، فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ، فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِن الفَقْرِ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٥)].

---

(١) رواه ابن خزيمة (٧٨٧) واللالكائي (٦٥٩) وغيرهما من حديث ابن مسعود موقوفًا عليه، وصححه الذهبي والألباني، وقد ورد مرفوعًا ولا يصح، ولفظ أبي داود (٤٧٢٦) مرفوعًا من حديث جبير بن مطعم: «إِنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ») وضعفه الألباني والأرنؤوط، فيه: محمَّد بن إسحاق مدلس ولم يُصرِّح بالتحديث وشيخه مجهول.

(٢) (م ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه، وقد شغب بعض أهل البدع في تضعيف هذه اللفظة فلم يفلح.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٨٧٩٦) والبيهقي (٩٠٨) وغيرهما وضعفه الألباني، في سنده نعيم بن حماد ضعيف.

(٤) (خ ٤٠٦) (م ٥٤٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) (م ٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَقَوْلُهُ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهم بِالذِّكْرِ: (أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

وَقَوْلُهُ ﷺ: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُم أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ، فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ: أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ.

بَلْ هُم الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ. فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ، وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ، وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالوَعِيدِيَّةِ مِن القَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالخَوَارِجِ.

---

(١) (خ ٢٩٩٢) (م ٢٧٠٤) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) (خ ٥٥٤) (م ٦٣٣) عن جرير رضي الله عنه.

(فَصْلٌ)

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِن الإيمَانِ بِاللهِ: الإيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمةِ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِن السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحَدِيد: ٤] وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلاَفُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلاَفُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخلْقَ، بَل الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ. وَكُلُّ هَذَا الْكَلاَمِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنْ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ مِثْلَ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِه: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُقِلُّهُ، أَوْ تُظِلُّهُ وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾، وَهُوَ ﴿يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا﴾، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الرّوم: ٢٥].

(فَصْلٌ)

وقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]، وَقَوْلُهُ ﷺ لِلصَّحَابَةِ لَمَّا رَفَعُوا أَصْوَاتَهُم بِالذِّكْرِ: (أَيُّهَا النَّاسُ، اِرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ

عُنُقِ رَاحِلَتِهِ)[١] وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِه، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

(فَصْلٌ)

وَمِن الإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلاَمُ اللهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مخلوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا القُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلاَمُ اللهِ حَقِيقَةً لاَ كَلاَمُ غَيْرِهِ، وَلاَ يَجُوزُ إِطْلاَقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ اللهِ أَوْ عِبَارَةٌ، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ لَمْ يَخْرجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلاَمَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الكَلاَمَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئاً، لاَ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغاً مُؤَدِّيًا، وَهُوَ كَلاَمُ اللهِ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيه، لَيْسَ كَلاَمُ اللهِ الحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي، وَلاَ المَعَانِي دُونَ الحُرُوفِ.

(فَصْلٌ)

وقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِن الإِيمَانِ بِهِ، وَبِكُتُبِهِ، وَبِمَلاَئِكَتِهِ، وَبِرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْس دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

---

(١) (خ ٢٩٩٢) (م ٢٧٠٤) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(فَصْلٌ)

وَمِن الإِيمَان بِاليَومِ الآخِرِ: الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخبَرَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ القَبْرِ، وَبِعَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ. فَأَمَّا الفِتْنَةُ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَيُقَالُ لِلرَّجُل: (مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيثَبِّتُ اللهُ الَّذِين آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ المُؤْمِن: رَبِّي اللهُ، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي. وَأَمَّا المُرْتَابُ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ. فَيُضْرَبُ بِمَرْزَبَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصُعِقَ) [(١)]. ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ القِيَامَةُ الكُبْرَى، فَتُعادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ.

وَتَقُومُ القِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا المُسْلِمُونَ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، وَتَدْنُو مِنْهُم الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُم العَرَقُ، فَتُنْصَبُ المَوَازِينُ فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ العِبَادِ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ١٠٢ - ١٠٣].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ - وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ - فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنشُورًا * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإِسْرَاءِ: ١٣ - ١٤].

---

(١) (خ ٨٢) (م ٩٠٥) عن أسماء رضي الله عنها نحوه، وأحاديث السؤال جاءت عن البراء وأنس وعائشة وأبي هريرة وغيرهم تصل حد التواتر.

ويُحاسِبُ اللهُ الخلائِقَ، ويخلو بعبدِه المؤمنِ فِيقرره بذنوبه كمَا وُصِفَ ذلك فِي الكِتَاب والسُّنةِ.

وأمَّا الكفارُ فلا يُحاسبونَ مُحاسبةَ مَن تُوزَنُ حسناتهُ وسيئاته؛ فإنَّهُ لا حَسناتٍ لهم، ولكن تُعَدُّ أعمَالُهم فتُحصى فِيوقفون عليها، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ عَلَيْهَا.

وَفِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ الحَوْضُ المَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: (مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِن اللَّبنِ، وَأَحْلَى مِن الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَشْرَبْ مِنْهُ شَرْبَةً لاَيَظْمأْ بَعْدَهَا أَبَدًا)(١).

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ - وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ- يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ البَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَركَابِ الإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ. فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلاَلِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ(٢). فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ دَخَلَ الجَنَّةَ.

---

(١) ورد هذا في حديث أبي ذر رضي الله عنه (م ٢٣٠٠)، وحديث ثوبان رضي الله عنه (م ٢٣٠١)، وجاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أكثره (خ ٦٥٧٩) (م٢٢٩٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه (م ٢٤٧). وجاء ت أحاديث الحوض عن أبي سعيد وسهل بن سعد وعقبة وجندب وأسماء وأنس وحارثه وابن مسعود وابن عمر وجاء عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وحذيفة وعائشة وأم سلمة وجابر بن سمرة والمستورد وكلها في الصحيح، وخارج الصحيح عن الصُّنَابِحِ الأَحْمَسِيِّ رواه ابن ماجه، وجاء عن آخرين.

(٢) ورد هذا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه (خ ٧٤٣٧) (م ١٨٢) وأبي سعيد رضي الله عنه (خ ٤٥٨١) (م ١٨٣) وغيرهما.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ. وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن الأُمَمِ أُمَّتُهُ.

وَلَه ﷺ فِي القِيَامَةِ ثَلاَثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ المَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ: آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ، وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِي مَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ، وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِي مَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا.

وَيُخْرِجُ اللهُ مِن النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَة، بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَيَبْقى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ عَنْ مَنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِن الحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِن السَّمَاءِ وَالآثَارِ مِن الْعِلْمِ المَأْثُورِ عَن الأَنْبِيَاءِ. وَفِي الْعِلْمِ المَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِك مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَن ابْتَغَاهُ وَجَدَه.

وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ: كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِمَا الخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ القَدِيم، الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَال . ثُمّ كَتَبَ اللهُ فِي اللّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلْقِ. فـ(أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ قَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ:

اُكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[(١)]. فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحَجّ: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحَدِيد: ٢٢]، وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ، وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ؛ فَيُقَالُ لَهُ: اُكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاَةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا وَمُنْكِرُوهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهُ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ، وَلاَ سُكُونٍ، إِلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِن المَوْجُودَاتِ وَالمَعْدُومَاتِ. فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُ. سُبْحَانَهُ، لاَ خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ العِبَادَ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الفَسَادَ.

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ. وَ الْعَبْدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٠) عن عبادة رضي الله عنه، وصححه الشيخان.

وَإِرَادَتِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التَّكْوِير: ٢٨، ٢٩]، وهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِن القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُم النَّبِي ﷺ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ[١]، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

(فصل)

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ، وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لاَ يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، كَمَا يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ، بَل الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المَعَاصِي كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ القِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجُرَات: ٩، ١٠].

وَلاَ يَسْلِبُونَ الْفَاسِقَ الـمِلِّـيَّ اسْمَ الإِيمَانِ بِالْكُلِّـيَّةِ، وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ المُعتْزِلَةُ، بَل الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ المُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النِّسَاء: ٩٢]، وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ المُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأَنفَال: ٢]، وَقَوْلُهُ ﷺ: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مؤمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)

---

(١) لا يصح في هذا حديث.

(١). وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ بِكَبِيرَتِهِ.

(فَصْلٌ)

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلاَمَةُ قُلُوبِهِم وَأَلْسِنَتِهِم لأَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ كَمَا وَصَفَهُم اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا منْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحَشْرِ: ١٠]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: (لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ) (٢).

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ، وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَل عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلاَثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرتُ لَكُمْ) (٣)، وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ (٤) بَلْ قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وَيَشْهَدُونَ

---

(١) (خ ٢٤٧٥، ٥٥٧٨) (م ٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) (خ ٣٦٧٣) (م ٢٥٤١) عن أبي سعيد رضي الله عنه، وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه (م٢٥٤٠).

(٣) (خ ٣٠٠٧) (م ٢٤٩٤) عن علي رضي الله عنه، ولفظه: (لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ).

(٤) (م ٢٤٩٦) عن أُمِّ مُبَشِّرٍ رضي الله عنها، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»، وجاء نحوه عن جابر عند أبي داود (٤٦٥٣) وغيره وصححه الألباني.

بِالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِن الصَّحَابَةِ، وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ[١]، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي البَيْعَةِ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَد اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، وَرَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا، لَكِن اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ ثُمَّ عَلِيٍّ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِن الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنَّ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيها مَسْأَلَةُ الخِلافَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ الله ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهم، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ الله ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: (أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي)[٢]. وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ وَقَد اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ؛ فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لله وَلِقَرَابَتِي)[٣].

(١) رواه البخاري (٣٦٧١) وأحمد (١/ ١٢٨) وغيرهما.

(٢) (م ٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٨٧٧) وغيره وهو منقطع، وراه الترمذي (٣٧٥٨) بلفظ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ للهِ وَلِرَسُولِهِ». وهو ضعيف، وضعفه الألباني.

وَقَالَ: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) (١).

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ، خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلادِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) (٢).

وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِم الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ، حَتَّى أَنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغْفرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ (٣)، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ

---

(١) (م ٢٢٧٦) عن واثلة رضي الله عنه نحوه.

(٢) (خ ٣٤١١) (م ٢٤٣١) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٣) (خ ٢٦٥٢) (م ٢٥٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه، و(م ٢٥٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه. و(خ ٢٦٥١) (م ٢٥٣٥) عن عمران رضي الله عنه.

بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَو ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ.

ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ مِن الإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِن الفَضَائِلِ، عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، لاَ كَانَ وَلاَ يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُم الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ، جَلَّ شَأْنُهُ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ، وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ فِرَقِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

(فَصْلٌ)

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِن الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلفاءِ الرَّاشدينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ،

وإِيّاكُمْ ومُحْدَثاتِ الأُمورِ، فَإنّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالةٍ)[(١)]، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الكَلاَمِ كَلامُ الله، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَيُؤْثِرُونَ كَلاَمَ الله عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلاَمِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ، وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَسُمُّوا أَهْلَ الجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرْقةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الُمجْتَمِعينَ.

وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ. وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، وَبَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلاَفُ، وَانْتَشَرَت الأُمَّةُ.

(فَصْلٌ)

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ، وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالجُمَعِ، وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا.

وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ، وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)[(٢)] وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. وَقَوْلِهِ: (مَثَلُ المؤمِنِينَ فِي تَوادِّهِمْ

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧) وغيره عن العرباض رضي الله عنه.

(٢) (خ ٤٨١) (م ٢٥٨٥) عن أبي موسى رضي الله عنه.

وَتَرَاحُمِهِم وتَعَاطُفِهِم كَمَثَلِ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمّى والسَّهَرِ)[١].

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلاَءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، والرِّضَى بِمُرِّ القَضَاءِ، وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)[٢]، ويَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفقِ بِالمَمْلُوكِ، وَيَنْهَونَ عَنْ الفَخْرِ وَالخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْق بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفَسَافِهَا.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِيَن فِرْقَةً كُلُّها فِي النَّارِ إلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ[٣]، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي)[٤] صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلاَمِ الْمَحْضِ الخَالِصِ عَن الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنةِ وَالجَمَاعَةِ.

---

(١) (خ ٦٠١١) (م ٢٥٨٦) عن النعمان رضي الله عنه.

(٢) أبو داود (٤٦٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود (٤٥٩٧) وغيره عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِينَا فَقَالَ: (أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ)، وصححه الشيخان.

(٤) رواه المروزي في السنة (٩٥) والآجري (٢٤) والحاكم (٤٤٤) وغيرهما وفي سنده مقال، وحسنه الألباني بشواهده.

وَفِيهِم الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلاَمُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ.

وَفِيهِم الأَبْدَالُ، وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَهُم الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِين قَالَ فِيهِم النَّبِيُّ ﷺ: (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ لاَ يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)(١).

فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.



(١) (خ ٧٣١١) (م ١٩٢١) عن المغيرة رضي الله عنه، و(م ١٥٦) عن جابر رضي الله عنه، (م١٩٢٠) عن ثوبان رضي الله عنه، و(م ١٩٢٢) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، (خ ٧١) (م ١٠٣٧) عن معاوية رضي الله عنه، واللفظ له.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد وفيه ثلاث مقدمات

١- مقدمة تتعلق بأصول العقيدة

العقيدة كما ذكر أبو الحسن الكرخي في كتاب له متعلق بالعقيدة، ونقل هذا شيخ الإسلام في الفتاوى، قال رحمه الله تعالى: لِيَعْلَمَ الْمُسْتَنُّ أَنَّ سُنَّةَ الْعَقَائِدِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَضْرُبٍ: ضَرْبٌ يَتَعَلَّقُ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ. وَضَرْبٌ يَتَعَلَّقُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحْبِهِ وَمُعْجِزَاتِهِ، وَضَرْبٌ يَتَعَلَّقُ بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي أُولَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ[(١)]. ثم شرحها.

وهذا التقسيم هو الذي سار عليه شيخ الإسلام في الواسطية، وابن قدامة في اللمعة، وغيرهم وقد يحصل شيء من التقديم والتأخير أحيانًا.

وعلى هذا، فدراسة العقيد تبدأ:

أولًا: بمعرفة مصادر التلقي.

فأصول الاستدلال عند أهل السنة التي يتعرفون بها على الله عز جل ورسوله ﷺ ودينه وأحكام المسلمين هي: الكتاب والسنة، فالعقيدة تؤخذ من الكتاب ومن السنة.

قال الله عز وجل: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾. وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾. وقال الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

وهكذا السنة حجة كالقرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

(١) انظر: «الفتاوى» (٤/ ١٨٠).

فسلامة أصول الاستدلال تؤدي إلى سلامة أصول الاعتقاد، فمن كانت أصول الاستدلال عنده ترجع إلى الكتاب والسنة فهو الناجي من الضلال بإذن الله تعالى.

ومن كانت أصوله ترجع إلى غيرهما فقد وقع في خلل الاعتقاد والخلاف، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾. فما كان من الله عز وجل لا يوجد فيه اختلاف، وما كان من غير الله سبحانه وتعالى ففيه اختلاف كثير.

فأهل البدع؛ أصول الاستدلال عندهم: رأي، أو قول الزعيم، أو المصلحة، أو أفكار استمدوها من فرق كافرة أو ضالة. فلِخطأ أصول الاستدلال عندهم نتج عن ذلك عقائد فاسدة؛ ومن أصول المتكلمين الأشعرية والمعتزلة، أن العقل مقدم على النقل؛ هذا أوردهم في ضلالات واسعة. وكأصل الخوارج والمرجئة أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، هذا أيضًا أوردهم في قضايا أخرى كثيرة وضالة بسبب هذا الأصل الفاسد، إلى غير ذلك وشرحه في غير هذا المقام.

ثانيًا الأصول التي ذكرها أبو الحسن الكرجي.

الأصل الأول: **ما يتعلق بالرب سبحانه وتعالى**. وما يتعلق بالرب عز وجل تحته ثمانية أبواب:

الأول : أقسام التوحيد: وهذا وقع فيه معترك واسع مع الفرق الضالة.

الثاني :توحيد الألوهية: ويدخل في توحيد الألوهية العبادة، وما يتعلق بالعبادة، ومن وقع في مخالفة توحيد الألوهية من المشركين من الأمم، ومن يدعي الإسلام.

الثالث: **توحيد الربوبية**: الإقرار بوجود الله عز وجل وبربوبيته وأفعاله، وهذا المعترك فيه مع الكفار الملاحدة، ومع الكفار من المشركين وأهل الكتاب، ومع كثير من الفرق الضالة كالقبورية والمعطلة والممثلة وغيرهم.

الرابع: **توحيد الأسماء والصفات**: وهو الذي سيكون له النصيب الأوفر في هذه الرسالة، العقيدة الواسطية؛ فأهل السنة يثبتون الأسماء والصفات كما وردت عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ، وأهل البدع لهم تأويلات منهم من يعطل ومنهم من يمثل ومنهم من يحرف المعاني.

الخامس: **باب الشرك**. لأن الشرك إنما يقع في حق الله تعالى سواء في الربوبية أو في الألوهية أو في الأسماء والصفات. فمن أشرك فقد قدح في الربوبية، وأخلَّ بتوحيد الألوهية، وكذلك أخلَّ بتوحيد الأسماء والصفات.

السادس: **الإيمان بالقدر**: لأن القدر متعلق بعلم الله تعالى ومشيئته وفعله، وأفعال الله عز وجل كلها خير وحكمة. والمُقَدَّر الذي هو المفعول المخلوق يقع فيه الخير والشر.

الشاهد أنها تتعلق بالله تعالى؛ لأن القدر فعل الله تعالى وسر الله سبحانه وتعالى.

السابع : **مسائل الإيمان والكفر**: فالإيمان بالله سبحانه وتعالى وبما أمر الله سبحانه أن نؤمن به، وهو قول وعمل واعتقاد، يزيد وينقص.

ويقابل ذلك مسائل الكفر؛ فإن الكفر هو جحود ربوبية الله تعالى أو ألوهيته أو صفاته.

وهو قول وعمل واعتقاد، ويزيد وينقص.

والتكفير حق الله عز وجل؛ فأنت تقول: فلان كافر -يعني كافر بالله تعالى-، وفلان مؤمن -يعني مؤمن بالله تعالى-. فلها تعلق بالله سبحانه وتعالى، ولها أيضًا تعلق بالأصل الثالث وهو مسائل الأمة.

الثامن :**مسائل الإيمان بالغيبيات**: بالموت، والقبر، وبالبعث، والحشر، والصراط، وبالجنة، بالنار، ونحو ذلك كالملائكة. هذه تسمى الغيبيات، نؤمن بها لأن الله تعالى هو الذي أخبر بها، فالخبر بها وحي من الله سبحانه وتعالى.

هذا مجمل الأصل الأول وهو الإيمان بالله وما يتعلق بالله عز وجل.

الأصل الثاني: ما يتعلق بالأنبياء والنبوة:

الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام، وأنه ينقسم إلى إيمان مجمل ومفصل...

وفيه الإيمان بختم الرسالة بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام، والإيمان بعصمة الرسل وبلاغهم، ومعنى النبوة، وأنهم أخبروا عن الله عز وجل بما يجب له، ودلائل النبوة، إلى آخر الكلام على النبوة والسيرة وتفاصيل ذلك مما يتعلق بالعقيدة. ويلحق بالكلام على النبوة الكلام على كرامات الأولياء. لأن الكلام على آيات الرسل منه كرامات الأولياء فكرامات الأولياء آيات للرسل. وقد ألحق أبو الحسن الكرخي مسألة الصحابة بهذا الأصل، وأخرناها نحن لأنها بالأصل الثالث أولى.

الأصل الثالث: ما يتعلق بالصحابة والولاة وبالأمة في أولاهم وأخراهم :

وذلك شامل للكلام على الصحابة وعدالتهم، وثقتهم فيما نقلوه، والكف عما شجر بينهم، وذم من تنقصهم...الخ، وما يتعلق بولاة الأمر وطاعتهم، والصبر على من جار منهم، وتحريم الخروج على ولاة الأمر المسلمين. وكذلك ما يتعلق بالمسلمين من ناحية التكفير وعدم التكفير، ومن ناحية الشهادة للمُعيَّن بالجنة وعدم الشهادة، ومسائل البدع وأهل البدع والفرق إلى آخره، وما أشبه ذلك من المسائل التي تتعلق بالأمة.

فهذه الأصول الثلاثة كل ما يكون في العقيدة يدور عليها.

ومسائل العقيدة عند أهل السنة حصلت بالدليل والإجماع، وإن وجد خلاف ففي فروع بعض المسائل فقط التي لا يضلل المخالف فيها. وأما العقيدة فالنقاش فيها إنما يكون مع المخالفين مع أهل البدع وما أشبه ذلك. والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

****

٢- مقدمة تتعلق التقليد في العقيدة

قال ﷺ: (وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ) وهذا دليل من قال: لا يصح التقليد في أصول العقيدة، وأما دقائق المسائل فهذه لا يدرك تفاصيلها إلا العلماء وكبار الطلبة، وأهل السُّنَّة والجماعة بعد الصحابة على عقيدة الصحابة، وهي مبنيَّةٌ على علم، وليس مجرَّد تقليد؛ لأنَّ الصحابةَ رضي الله عنهم هم الذين شهدوا التنزيل وهم أعلم بمعانيه، وهكذا من تبعهم على مر العصور.

وخالف في هذا أهل الكلام فاحتجوا بالعقل على نفي التقليد، ثم قلدوا الفلاسفة في أصول أدلتهم، وقال آخرون: جميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد، والتقليد المحض.

وقال بعضهم: إن الأصول يجب فيها اليقين والعلم دون التقليد، والفروع (الأحكام) يكفي فيها الظن. ومعنى التقليد عند أهل الكلام: هو اتباع الكتاب والسنة من غير نظر عقلي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والنبي ﷺ لم يدع أحداً من الخلق إلى النظر ابتداءً ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان كما في حديث معاذ...

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى - بعد حديث معاذ وغيره -: «ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما هي أقوال أرباب الكلام المذموم...».

وأما قول الغزالي: (جميع عقائد العوام مباديها التلقين المجرد، والتقليد المحض) فهذا ليس على إطلاقه، بل الفطرة والآيات القرآنية التي تردد عليه في الصلوات، والآيات الكونية تجعله على عقيدة بكثير من أصول الاعتقاد، إلا أن يبتلى بمبتدع يفسد عقيدته من خوارج ورافضة ومعتزلة وأشاعرة وماتريدية وحزبية ونحوهم، فهؤلاء هم قطاع الطريق بين المسلمين وبين العقيدة الصحيحة واليقين بها.

وقولهم: (إن الأصول يجب فيها اليقين والعلم دون التقليد، والفروع يكفي فيها الظن) وهذا مبني على التفريق بين الأصول والفروع وهو باطل فالحكم واحد في الجملة، ويكثر في كلامهم: (غالب الفقه ظنيات) ونحو ذلك، وتجد أن غالب المتمذهبة من المبتدعة مقلدة في الفقه تقليدًا أعمى.

ويبنى على ما سبق تقريره من جواز التقليد فيما يعجز عن فهمه: أن العذر بالتقليد الجائز من جنس العذر بالتأول والجهل.[١]

وقال الشيخ صالح آل الشيخ وفقه الله تعالى: والتقليد في الاعتقاد فيه تفصيل: فما كان مما يُشْتَرَطُ لصحة الإسلام والإيمان فلا ينفع فيه التقليد؛ بل لابُدَّ فيه من أخذ القول بدليله وجوباً؛ لأنَّ هذا هو العلم الذي أمر الله عز وجل به في قوله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد:١٩]، مثل العلم بالشهادتين، وأركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة. أَمَّا التقليد في الاستدلال فلا بأس به؛ يعني أن يَعْلَمَ وجه الدليل من الحُجَّةْ ويُقَلِّدُ العالم في الاقتناع بهذا الدليل يعني بوجه الاستدلال، فهذا لا بأس به لأنَّ المجتهد في فهم الدليل في هذا قليل في الأمة...أ.هـ من شرح الطحاوية.



(١) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٦٧) (٢٠/ ٣٢، ٣٣).

٣- مقدمة في التعريف بالطوائف[١]

١- الخوارج: فرقة جدلية تُكفِّر بالمعاصي وتخرج على أئمة المسلمين وجماعتهم، خرجت أوائلها على علي رضي الله عنه وكفرته.

فكل من خرج على أئمة المسلمين أوأعتقد ذلك فهو خارجي.

* مؤسسها:

أول ابتداء الفكر الخارجي علي يد ذي الخويصرة التميمي الذي اعترض على النبي ﷺ عند قسمة غنائم حنين، ثم المؤسس الفعلي هو عبد الله بن سبأ المنافق لعنه الله تعالى الذي خرج على عثمان رضي الله عنه وسعى في قتله.

ثم ظهرت كفرقه مستقلة بعد صفين، على يد عروة بن جرير وعبد الله بن وهب الراسبي في (٣٧هـ).

* معتقد هذه الفرقة:

- هم أول من أحدث المعتقد الفاسد في باب الأمة والأئمة فكفَّروا وخرجوا واستحلوا الدماء والأعراض، وطعنوا في الصحابة كما سيأتي.

- ولما ظهرت المعتزلة أخذوا عنها مسائل في الصفات والغيبيات، والإباضية اليوم على مذهب المعتزلة في غالب معتقداتهم...

والخوارج شر من المعتزلة وأضل كما قرره شيخ الإسلام وغيره.

---

(١) التعريف بالفرق مأخوذ من كتابنا: (المختصر المفيد في أصول أهل السنة وأصول أهل البدع: عرض مقارن). وللمراجع تجدها هنالك.

٢- الرافضة:

فرقة كلامية خارجية تطعن في الصحابة والخلفاء وتكفر المسلمين وتعتقد الباطل المبين، ويستتر تحت لوائها كل كائد بالإسلام والمسلمين.

- وأول الرفض: تفضيل علي على عثمان وأبي بكر وعمر والطعن في معاوية وأصحابه.

وغلاة الرافضة: هم الذين يطعنون في أبي بكر وعمر وسائر الصحابة، ويعتقدون إمامة الاثني عشر وهم (الاثنا عشرية)، وقد كفرهم العلماء.

* مؤسسها:

عبد الله سبأ المنافق اليهودي عليه لعنة الله تعالى.

* معتقدها:

أخذوا من الخوارج مسائل الخروج وتكفير المسلمين.

ومن الممثلة أولاً ثم من المعتزلة بعد ظهور الزيدية، فغالب الرافضة بعد ذلك معتزلة بل هم شر فرق الضلال. وأخذوا من اليهود ومن المجوس الكثير...

وكل باطل مبتدع له ساحل، إلا باطل الرفض والتصوف فليس له ساحل.

٣- المعتزلة:

فرقة كلامية فلسفية معطلة وعيدية عقلانية قدرية.

ظهرت في أوائل القرن الثاني وهم أفراخ الجهمية. وسموا معتزلة: لاعتزالهم الحق وأهله، كان أول ذلك اعتزال واصل بن عطاء حلْقة الحسن البصري.

* مؤسسها:

واصل بن عطاء الغزال (ت ١٣١هـ) ثم عمرو بن عبيد (ت ١٤٢هـ).

* عقيدتها:

أخذوا من الخوارج مسائل الوعيد... وتفردوا بالمنزلة بين المنزلتين.

ومن الجهمية التعطيل والفلسفة والكلام... بعد ظهور الجهمية.

ومن القدرية الأولى مسائل القدر ونفي خلق الله تعالى لأفعال العباد.

وتأولوا كثيرًا من الغيبيات ولهم انحراف في باب النبوة وغيره.

* خلاصة عقيدتهم ترجع إلى الأصول الخمسة وهي:

١) المنزلة بين المنزلتين – وسيأتي بيانه.

٢) التوحيد - نفي الصفات.

٣) العدل - نفي القدر.

٤) الوعد والوعيد.

٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الخروج على ولاة الأمر.

٤- الجهمية (أتباع جهم بن صفوان):

فرقة معطلة غلاة، جبرية غلاة، مرجئة غلاة، كلامية فلسفية عقلانية ملاحدة كل بلاء فيهم.

* مؤسسها:

الجعد بن درهم الحراني الملحد المقتول على الزندقة (١٢٤هـ) وتلميذه الجهم بن صفوان الملحد المقتول على الزندقة (١٢٨هـ).

* عقيدتها:

أخذت المعتزلة أصول الجهمية، فأكثر ما يطلق السلف لفظ الجهمية يراد به المعتزلة فهم فرقة واحدة واختلفوا في مسائل:

أ- الجهمية تنكر جميع الصفات والأسماء الحسنى، والمعتزلة تثبت الأسماء وتعطل الصفات.

ب- الجهمية جبرية مرجئة والمعتزلة قدرية وعيدية.

جـ- الجهمية مبنية على الزندقة والشك، والمعتزلة مبنية على الفلسفة والآراء الفاسدة.

د- الجهمية أشد غلواً وتعطيلاً وإلحاداً.

هـ - كل جهمي معتزلي وليس كل معتزلي جهمي.

هذه أهم الفروق وسيأتي مزيد بيان في مواضعه.

٥ - الأشاعرة:

فرقة كلامية تؤول الصفات وتقول بالجبر والإرجاء وتعطل الصفات الاختيارية وغيرها.

* مؤسسها:

أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري (ت ٣٢٤هـ)،وقد رجع عن مذهبه وتاب منه إلى مذهب أهل الحديث في الجملة إلا أنه كان قليل العلم فيه فقرر مسائل كلامية ونسبها إلى أهل الحديث، لبقاء رواسب كثيرة لدية من بدعة التمشعر.

* عقيدتها:

هم تلامذة المعتزلة في باب الربوبية والأسماء و الصفات إلا أنهم أخف انحرافًا من المعتزلة، مع ضلالهم الواسع بل هم شر من المعتزلة في باب الإيمان والقدر والنبوات.

وهم في باب الغيبيات والأمة أقرب إلى السنة.

وغالب متأخريهم صوفية قبورية.

وقد تدرجوا في الضلال كالآتي:

كان ابن كلاب (٢٤٣ هـ) والأشعري (٣٢٤ هـ) ونحوهم من القدماء يثبتون الصفات الواردة في القرآن الكريم، ويحرفون الصفات الفعلية، ويقولون بأن العقل تابع للسمع.

ثم جاء الباقلاني (٤٠٣ هـ) وهو المؤسس الثاني للأشعرية، فزاد في التعطيل، وجعل علم الكلام أصل، وقدم العقل على النقل، وقرب الأشعرية من المعتزلة، ولم يثبت إلا نحو عشرين صفة، وقدح في أهل السنة بألقاب ظالمة.

ثم جاء الجويني أبو المعالي (٤٧٨ هـ) فمال بقوة إلى الاعتزال، وقرأ في كتب أبي هاشم الجبائي، وزاد في نفي الصفات إلا سبع، فجمع ضلال من قبله وزاد عليه، وقرب الأشاعرة

من المعتزلة كثيرًا، وفي آخر أمره مال إلى التفويض، ويقال أنه تاب ولا نعلم ما يثبت ذلك، وهو الذي وضع قاعدة تفيد (وجوب تأويل النصوص التي تثبت الصفات بحجة أنها توهم التمثيل).

ثم جاء الغزالي (٥٠٥) فقرب الأشاعرة من الفلاسفة والصوفية، وكان يطالع كتاب (الشفا) للملحد ابن سيناء، فأمرضه الشفا، وجمع التصوف والتمشعر في قالب واحد.

وجاء خاتمة المطاف الفخر الرازي (٦٠٦) ابن الخطيب، فشهر الفلسفة فتم ضلال الأشاعرة، ويقال أنه تاب، والله أعلم.

والخلاصة: مذهب الأشاعرة مبني على ضلال، ومبني على خيال، فالشافعي سلفي، والأشعري تاب، وإن صحت توبة الجويني والغزالي والرازي فلم يبق لهم زعيم ينتسبون إليه.

٦- الماتريدية:

هم إخوان الأشاعرة جملة ويخالفونها في مسائل قليلة.

* مؤسسها:

أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي (ت٣٣٣هـ).

تأثر بمذهب ابن كلاب شيخ الأشعري عن طريق أتباع ابن كلاب، وكان صاحب جدل وكلام.

* عقيدتها:

سبق أنهم كالأشاعرة واختلفوا في مسائل أهمها:

أ- باب القدر هم في أكثره على مذهب السنة، وفي بعضهم على مذهب المعتزلة، وهذا الفارق الأكبر.

ب- العلو والاستواء هم فيه على مذهب المعتزلة وكذا الصفات الخبرية.

ج- يقولون بالحكمة والتعليل، والأشعري ينفيها.

د- صفات الأفعال والتكوين قديمة ولا تتعلق بالمشيئة، وعند الأشعري مخلوقة محدثة.

هـ- هم أخف ضلالًا في توحيد الألوهية فكثير منهم ينهون عن الشرك في الألوهية.

وسيأتي بيان هذه المسائل في موضعها من الكتاب، إن شاء الله تعالى.

٧- الصوفية (الصوفية وجماعة التبليغ منهم): فرقة قبورية فلسفية معطلة، أشعرية المعتقد في الغالب يبدأ ضلالهم بالزهد والورد المبتدع وينتهي بوحدة الوجود وعبادة القبور.

* مؤسسها:

أول من عُرف بالميل إلى التصوف مجموعة: أبو هاشم الكوفي وجابر بن حيان وعبدك وثلاثتهم اتهم بالزندقة ثم تتابع الشر حتى صار إلى شر عريض.

- وجماعة التبليغ أسسها محمد إلياس الهندي الصوفي في القرن الرابع عشر، وهم صوفية عصرية وغالب زعمائهم صوفية غلاة.

* عقيدتها:

أصل مذهب التصوف مأخوذ من فلسفة اليونان وعبادة البوذية وقبورية النصارى وباطنية القرامطة...فهم أشاعرة في الأسماء والصفات، وقبورية يعتقدون في الأولياء عقائد فاسدة ويعطونهم من صفات الرب جل وعلا من النفع والضر والتصرف في الكون...

وغلاة الصوفية أصحاب وحدة الوجود، ومعناه: أن كل موجود هو الله - سبحانه عما يقولون. وهم كالرافضة لا ساحل لباطلهم، ولا أساس لدينهم.

٨- المرجئة: هم طوائف كثيرة تتفق على إخراج العمل من مسمى الإيمان، ويزيد غلاتهم: إخراج القول، وعمل القلب. ومن غلاتهم الجهمية والأشاعرة.

* مؤسس الإرجاء:

جماعة أشهرهم: ذر بن عبد الله المرهبي (ت ٩٩) وتلاه حماد بن أبي سليمان الكوفي (ت ١٢٠)وتبعهم جهم بن صفوان (ت ١٢٨هـ) وهو الذي أسس الإرجاء الذي تنتهجه

الجهمية والكرامية والأشاعرة، وإن اختلفوا في بعض التفاصيل...

* عقيدتهم:

- إخراج العمل من الإيمان وتحريم الاستثناء فيه.

- القول أن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص.

٩- القدرية النفاة: هم المنكرون للقدر أو بعضه.

- منهم الغلاة الذين ينكرون علم الله تعالى السابق وكتابته ومشيئته وعموم خلقه كالغيلانية والمعبدية وبعض المعتزلة، وهؤلاء كفار.

- ومنهم دون ذلك: الذين ينفون خلق الله تعالى الأفعال العباد، وهذا مذهب المعتزلة وغيرهم وتسميه زورًا: (العدل).

* مؤسس القدرية:

أشهر من عرف أنه أول من تكلم في نفي القدر: معبد الجهني (ت ٨٠هـ) وتلاه غيلان الدمشقي (ت١٠٣هـ).

* عقيدتها:

كما سبق: نفي القدر أو بعضه.

وتفرع عن ذلك: القول بوجوب فعل الأصلح على الله كما تزعمه المعتزلة.

- إنكار الاستطاعة الشرعية.

- القول: بالتحسين والتقبيح....

وغير ذلك كما سيأتي في باب القدر.

١٠- القدرية الجبرية: هم طوائف من الجهمية والأشاعرة... تزعم أن الإنسان لا اختيار له البتة وهو مجبور على أفعاله.

* مؤسسها:

اشتهر هذا عن المشركين حيث قالوا: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام:١٤٨]، وأول من عرف بالجبر في الإسلام: الجهم الزنديق، أخذه عن طائفة فلسفية تقول بالجبر والتعطيل، وهو قول مشهور عن الفلاسفة.

* عقيدتها:

أن العبد المكلف مجبور على فعله لا اختياراً له ظاهراً وباطناً كما هو قول الجهمية

وقالت الأشاعرة: لا اختيار له باطناً، مختار في الظاهر وسموا هذا: (الكسب)، واختلافهم مع الجهمية لفظي لا حقيقي.

- الاحتجاج بالقدر على المعاصي.
- نفي الإرادة الشرعية والاستطاعة الكونية.
- نفي الحكمة والتعليل والأسباب.
- جواز تكليف ما لا يطاق، وغير ذلك.

١١- الحزبية (الإخوان المسلمون والسرورية وما تشعب منها).

والحزبية هي: التجمع على شيء معين عقيدةً أو منهجاً والولاء والبراء عليه.

والمراد بها غالبًا التجمع على باطل.

حزب الإخوان وفصائله: حركة حزبية معاصرة خارجية سياسية تهتم بالحكم والحاكمية بالفهم الحزبي، وتسعى لتحقيق أهدافها بشتى الوسائل الصحيحة والمخالفة كالديمقراطية وغير ذلك وتهمل العلم الشرعي وتصحيح العقيدة، يجمعها قضية الحكم، وعقائد أهلها مختلفة.

* الحزبي: هو المنضم إلى فرقة تخالف منهج أهل السنة والجماعة ويوالي ويعادي على منهجه وفرقته وأفكارها.

❋ مؤسسها: حسن البنا (ت ١٣٦٨هـ) وكان صوفياً سياسياً.

❋ عقيدتها:

عقائد أهلها مختلفة، فالبنا وكثير من زعماء الجماعة بمصر والشام وباكستان وأفريقيا يميلون إلى الصوفية والأشاعرة أو الماتريدية، ومنهم من يميل إلى الشيعية كالندوي ومنهم المعتزلي كأبي غدة، ومن سيد قطب وغيره يميلون للخوارج ومنهم غير ذلك.

وهم في باب الحكم والإمامة أقرب إلى الخوارج، وهم متفقون على السيف على أئمة الجور إلا من شذ منهم.

❋❋❋❋

[مقدمة المصنف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ لله الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَه بِالْهُدَى ودِينِ الحقِّ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَى بِالله شَهِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَه لاَ شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.
أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا اعْتِقَادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِالله، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الابتداء بالبسملة سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الثانية: الابتداء بالحمد والصلاة والتسليم على النبي ﷺ سنة نبوية.

الثالثة: كل خطبة ليس فيها الشهادتان فهي بتراء.

الرابعة: الشهادتان متلازمتان لا تقبل إحدهما إلا بالأخرى.

الخامسة: قول (أما بعد) بعد المقدمة سنة نبوية.

السادسة: أصل النجاة صحة المعتقد وسلامة المنهج.

السابعة: صاحب العقيدة الصحيحة منصور بالحجة والبيان في كل زمان.

الثامنة: من كان أعلم بالله تعالى فالحق في اتباعه لا في اتباع غيره.

التاسعة: دعوة أهل السنة والجماعة هي الإسلام الصافي.

العاشرة: العقيدة الصحيحة تقوم على أركان الإيمان ولوازمها.

الحادية عشر: لا يقوم بهذه الأركان على وجهه إلا أهل السنة والجماعة.

....

قال رحمه الله تعالى: (الحمد لله) هذه عادة أهل الإسلام، أن يبدأوا بالبسملة والحمد لله تعالى، والصلاة على النبي ﷺ، وهو مستحب. والحمد لله أي: التعبّد لله عز وجل بالثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، ولا يُحمد تعبّدًا إلا الله وحده لا شريك له.

(الذي أرسل رسوله بالهدى) بعثه بالحق، والهدى يأتي بمعنى الرشاد، ويأتي بمعنى الحق، ويأتي بمعنى العلم النافع، وكلها مرادة.

(ودين الحق ليظهره على الدين كله) دين الإسلام دين الحق؛ لأنه يدعو إلى عبادة الحق وحده سبحانه وتعالى، ليظهره على جميع الأديان، سواء في ذلك الأديان الكافرة أو الأديان المبتدعة.

(وأشهد أن لا إله إلا الله): أشهد بمعنى أقرّ بالقلب وأعتقد، وأنطق باللسان، فلا بد في الشهادة أن يجتمع فيها القلب واللسان. و(لا إله إلا الله) أي: لا معبود بحق إلا الله تعالى. ومن فسرها بغير هذا التفسير فقد أخطأ أو جاء بباطل، فمن قال: لا خالق إلا الله فهو مخطئ. ومن قال: لا حاكم إلا الله مخطئ. ومن قال: لا معبود إلا الله هذا باطل؛ لأن المعبودات الباطلة كثيرة. ومن قال: لا واحد إلا الله كما يقول غلاة الصوفية هذا باطل. وقد ذكرنا هذا في تفسير كلمة الإخلاص في شرح رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي (تفسير كلمة التوحيد) وغيرها. (لا شريك له) توكيد لما سبق. (إقرارًا به وتوحيدًا) هذه الشهادة هي التي يُظهر المتكلم بها التوحيد، بشرط أن يقولها وأن يعمل بمقتضاها، أما إذا أقر بها بلسانه وخالف عملُه فلا يُعتد بذلك، كما فصله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كشف الشبهات. فاليهود يقولون: لا إله إلا الله، لكن أعمالهم وعقائدهم تخالفها، وهكذا عباد القبور وغلاة الصوفية والرافضة وغيرهم.

(وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله) محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، عبده أي: المتعبِد لله عز وجل بالتوحيد والطاعة. قال ابن كثير: عبد فلا يُعبد، ورسولٌ فلا يُكذّب.

ورسوله: معنى شهادة (محمد رسول الله): أن محمدًا مبعوث من الله عز وجل بالحق إلى الإنس والجن كافة، هذا هو المعنى. ويلزم من هذا المعنى طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه.

ومن فسرها بالتفسير الأخير فهذا تفسير باللازم وهو رتبة متأخرة عن التفسير بالحقيقة.

(صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا) صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، وأما صلاتنا نحن عليه فهي دعاء لله تعالى بالصلاة عليه.

(أما بعد) كلمة يؤتى بها للفصل بين المقدمة والموضوع، وهذه سنة ذكر البخاري فيها عددًا من الأحاديث في كتاب الجمعة.

(فَهَذَا اعْتِقَادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ) اعتقاد، مأخوذ من العقيدة، والعقيدة مأخوذ من عقد القلب، أي: أن القلب يعقد عليها ويجزم بها. فالعقيدة: الاعتقاد الجازم بوحدانية الله تعالى، وقدره وخبره، ورسله، وبما أمر به فيما يتعلق بالأمة.

الفرقة الناجية التي نجت من البدع في الدنيا ومن نجى من البدع ولوازمها في الدنيا نجى من العذاب في الآخرة. فمن كان أصدق في الاتباع فهو أصدق في التوحيد، وكلما زاد في الاتباع والطاعة ازداد توحيدًا، والعكس بالعكس: كلما ازداد بدعة كلما قرب من الشرك.

فأسعد الناس بالنجاة من الضلال في الدنيا والعذاب في الآخرة هم أهل السنة والجماعة، وهم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة. انتصروا أولًا على أهوائهم فلم يجروا بعد الأهواء، ثم انتصروا أيضًا على الفرق الضالة، فثبتوا على السنة وقارعوا أهل الضلال، ونصرهم الله عز وجل على نشر الإسلام فغلبوا الكفر. فأهل السنة هم الذين نشروا الإسلام إلى المشرق والمغرب.

ما جاءت البدع إلا من بعد، وهذه البدع لما ظهرت لم تتسع رقعة بلاد الإسلام بعدها إلا قليلًا، وإلا غالبًا حصل نقص بسبب أهل البدع والضلال.

(أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ) السنة العقيدة، والجماعة الاجتماع على ولاة الأمر والعلماء.

وبهذا تعرف من هو الذي يصبح خارجًا عن السنة والجماعة، فمن خالف في العقيدة فليس بسني، ومن خالف في الجماعة فليس بسني. فيخرج الشخص من السنة إلى البدعة إذا اعتقد بدعة فأكثر ووالى وعادى من أجلها، سواء كانت في أمور العقيدة أو في أمور الجماعة.

ولا يشترط في المبتدع أن يخالف في جميع مسائل العقيدة، بل إذا خالف في بعضها ووالى وعادى عليها فهو مبتدع.

قال: (وَهُوَ الإِيمَانُ بِالله، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) هذه أركان الإيمان، جميع مسائل العقيدة تدخل تحت هذه الأركان، وقد اتفقت عليها جميع الأنبياء والرسل.

والإيمان بالله يشمل الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، وبألوهيته، وبأسمائه وصفاته.

فبالإيمان بوجوده تفارق أهل الإلحاد الذين يقولون: لا يوجد رب.

وبالإيمان بربوبيته تفارق أهل التعطيل والشرك الذين يعطلون الله جل وعلا عن أفعال الربوبية، وأهل الشرك الذين يقولون غير الله تعالى ينفع ويضر من دون الله سبحانه، أو يفعل كذا وكذا، أو ينزل المطر، أو يفرض تشريعًا غير حكم الله تعالى، إلى غير ذلك من المشركين في الربوبية.

وبالإيمان بالألوهية تفارق المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى، سواء من يدّعون الإسلام كالقبورية أو من كانوا كفارًا كاليهود والنصارى.

وبتوحيد الأسماء والصفات تفارق المعطلة الذين ينكرون الأسماء والصفات كالجهمية، وتفارق المعطلة الذين يقرون بالصفات- لكن يقولون: مخلوقة كالمعتزلة، وتفارق الذين يقرون بالصفات والأسماء ولكن يحرفون معانيها كالذي يقولون الوجه هو الثواب واليد هي النعمة وهم الأشاعرة والماتريدية ...

والإيمان بالملائكة أن نؤمن بهم إيمانًا مجملًا ومفصلًا. وهكذا الإيمان بالكتب نؤمن بهم إجمالًا وتفصيلًا على ما ورد في الكتاب والسنة.

والإيمان بالبعث الإيمان بالموت والقبر والبعث والحشر والجنة والنار والصراط والميزان والحوض إلى آخر ما يكون فيه، يكون بعد الموت.

والإيمان بالقدر خيره وشره أن نؤمن بأن الله عز وجل له مقادير كل شيء، ولا يكون إلا ما يشاء، على ما سيأتي تفصيله في باب القدر.

وقد سبق شرح هذه الأركان بالتفصيل في شرح القول المفيد فليراجع هناك.

****

[قواعد عامة في باب الأسماء والصفات]

وَمِن الإِيمَانِ بالله، الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ، بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ، وَلا يُمَثِّلونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْوَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لَهُ. وَلاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الإيمان بالأسماء والصفات لله تعالى من أصول الإيمان، فمن جحدها فقد كفر.

الثانية: إثبات الأسماء والصفات لله تعالى يكون بالكتاب والسنة لا بغيرهما.

الثالثة: الإثبات لا يقتضي التمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

الرابعة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة.

الخامسة: أصل الضلال قياس الخالق بالمخلوق، كما فعلته المعطلة والممثلة والمحرفة.

السادسة: تحريف الكلم عن معانيه الصحيحة من أصول الضلال والشرك.

السابعة: التعطيل والتحريف والتمثيل إلحاد ومخالف للإسلام.

الثامنة: من كان أعلم بالله تعالى فالحق في اتباعه لا في اتباع غيره.

التاسعة: من صحّ مصدر تلقيه صحت عقيدته وسلوكه.

....

كلام الشيخ مقدمة كالأصل يسير عليها السلفي وهي تتضمن الإقرار بما جاء عن الله عز وجل وعن رسوله عليه الصلاة والسلام، فلا ندخل في ذلك بآرائنا متأولين.

(وَمِن الإِيمَانِ باللهِ، الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ) الإيمان بالله تعالى يشمل أربعًا أمور ومنها الأسماء والصفات، كما تقدم. فالعقيدة عمومًا إنما تؤخذ من الكتاب والسنة. وهذه قاعدة من قواعد أهل السنة وهي [أصول الاستدلال عند أهل السنة: الكتاب والسنة]. و[من صحّ مصدره صحت عقيدته].

فمصدر أهل السنة في العقيدة الكتاب والسنة، ومن أجل ذلك عقيدتهم صحيحة، فالحق لا يأتي إلا بالحق، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ «إِنَّ الخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ». رواه مسلم (١٠٥٢).

فسلامة عقيدة أهل السنة بسبب ماذا؟ بسبب سلامة مصادرهم التي يتلقون منها العقيدة وهي الكتاب والسنة. والقاعدة العامة [استدل ثم اعتقد]، فيكون اعتقادك تابعًا للكتاب والسنة.

كما أن ضلال أهل البدع بسبب الخلل في مصادرهم فوقع الخلل في عقائدهم، فمصادرهم الرأي والعقل والزعماء واتباع من قبلهم إلى غير ذلك، ولما كانت عقيدتهم تقوم على آراء البشر كثر فيها التناقض والاختلاف. والقاعدة التي يسير عليها أهل البدع [يعتقدون ثم يستدلون]. يبحثون عن دليل بعد أن وقرت العقيدة في قلوبهم، فإن وجدوا دليلًا وإلا حرفوا الدليل وأوّلوه وغيّروا معناه.

قال: (مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ) هذه الأربعة أصول الضلال، فالتحريف: تغيير المعنى الحق إلى معنى باطل، ومنه تحريف معاني الأسماء والصفات من معانيها الحق إلى معاني باطلة. كقولهم: ليس لله عز وجل صفة الرحمة. أو الوجه: وإنما معناها ثوابه، ويده: نعمته، وعقابه: انتقامه، وهكذا يحرفون معاني الصفات إما تحريف جزئي كما

تفعل الأشاعرة والماتريدية بتحريف المعاني، وإما بتحريف كلي كما تفعل المعتزلة فيقولون: لله رحمة مخلوقة، لله محبة مخلوقة.

والتعطيل: هو جحد معاني الأسماء والصفات فيقول: ليس لله رحمة وليس لله محبة، وما استوى على العرش. وهذا مذهب الجهمية ووليدتها المعتزلة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات ـ إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وضُلاّل الصابئين، فإن أول من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها، فنُسبت مقالة الجهمية إليه، وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم. أ.هـ من الحموية.

وهل الأشاعرة الذين يقرون بالصفات ويحرفون معانيها هل هم معطلة؟ الجواب: نعم وضلال الأشاعرة في الأسماء والصفات أخف، لكن مؤدى كلامهم أن الله تعالى ليس له صفات إلا سبع، فحين يقولون: رحمته ثوابه، معنى هذا أنهم نفوا صفة الرحمة، فحقيقة مذهب الأشاعرة هو التعطيل لكن بسياسة وبألفاظ لينة، ولذلك استطاعوا أن يضلوا كثيرًا من المسلمين. وما عطلت المعطلة حتى توهمت التمثيل، فهم ممثلة.

والتكييف: تخيّل كيفية معينة أو صورة معينة للصفات، وهذا أيضًا باطل؛ لأن الإنسان لا يقدر على تكييف شيء إلا إذا رآه، أو رأى مثله، أو سمع خبرًا صادقًا عن كيفيته، وهذه الثلاث منتفية في حق الله عز وجل.

والتمثيل: جعل مماثل له، أو ذكر الصفة مقيدة بمماثل.

وقد وقع في هذه الأمة في أولها من الرافضة، وأصحاب مقاتل بن سليمان قالوا: إن الله تعالى جسم وإن له أعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين مصمت وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه. وقالت الفرقة الثانية أصحاب داود الجواربي مثل ذلك غير أنهم قالوا أجوف من فيه إلى صدره ومصمت ما سوى ذلك. كذا نقله الأشعري.

فهؤلاء شنّعت الأمة حتى العامة عليهم، ولجأت الرافضة بعد إلى مذهب المعتزلة والتعطيل.

فتحولت الرافضة في القرن الثالث إلى التعطيل.

قال: (بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ فَلاَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نفْسَهُ، وَلاَ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ) لأن الله نفى التمثيل وأثبت الصفات، ليس كمثله شيء في ذاته، وليس كمثله شيء في صفاته، وليس كمثله شيء في أفعاله، وليس كمثله شيء في أسمائه. فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه؛ لأن الله جل وعلا أمرهم بالتسليم ولم يأمرهم بالنفي. قال: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ .

والذين ينفون إنما وقع في قلوبهم التمثيل، قالوا: إذًا الحل ننفي. فجمعوا بين التمثيل والتعطيل. ولو لم يقع في قلوبهم تمثيل ما احتاجوا إلى تعطيل.

قال: (ولا يحرفون الكلم عن مواضعه) كما تفعل الأشاعرة والماتريدية.

(ولا يلحدون في أسماء الله وآياته) الإلحاد الميل من الحق إلى الباطل، فلا يميلون بمعاني أسماء الله تعالى وصفاته من المعنى الحق إلى المعنى الباطل.

(لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفْوَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لَهُ.) أي: لا نظير، ولا مكافئ، ولا مساوي، وهذه الكلمات الثلاث معانيها متقاربة.

قال: (وَلاَ يُقَاسُ بِخَلْقِهِ) أصل ضلال أهل البدع أنهم قاسوا الله تعالى بخلقه وقياس الخالق بالمخلوق أصل ضلال الطوائف والأمم: الأشاعرة، المعتزلة، الصوفية، الشيعة، والكفار بأنواعهم. فكفار قريش اتخذوا واسطة بينهم وبين الله تعالى لأنهم ظنوا أن الله تعالى كالمخلوق يحتاج واسطة. ومثلهم عباد القبور.

(فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً وَأَحْسَنُ حَدِيثًا منْ خَلْقِهِ) أعلم بنفسه وهو الذي أخبرنا أن له صفاتِ كمال، وخبره صادق، واجب تصديقه، فلا يسعنا إلا أن نسلم لله سبحانه وتعالى، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا﴾.



قال المصنف رحمه الله تعالى: (ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ، بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ. ولِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصَّافَّات:١٨٠- ١٨٢]، فَسَبَّح نَفْسَهُ عَنْ مَا وَصَفَهُ بِهِ المُخالِفونَ للرُّسُلِ، وَسَلَّم عَلَى المُرْسَلِينَ؛ لِسَلامةِ مَا قَالُوهُ مِن النَّقصِ وَالعَيْبِ).

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: أعلم الناس بالله تعالى هم الرسل والأنبياء عليهم السلام.

الثانية: من أصول الشرك والضلال مخالفة الرسل عليهم السلام.

الثالثة: من أصول الضلال القول على الله تعالى بلا علم.

الرابعة: تنزيه الله تعالى عن النقص والباطل من أصول التوحيد.

الخامسة: من كان أتبع للرسل كان أصح توحيداً لله تعالى.

السادسة: لا يكون النفي كمالًا إلا إذا تضمن إثباتًا، أو جُمع مع الإثبات.

....

قال: (ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ)؛ صادقون في أنفسهم، وصادقون في بلاغهم عن الله سبحانه، ومصدقون يصدقهم المؤمنون والواقع، فالمؤمن إذا جاءه خبر عن الله سبحانه وتعالى، أو عن رسول الله ﷺ فإنه يصدق. ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

قال: (بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ). هؤلاء إيمانهم ضعيف، وتصديقهم بخبر الله عز وجل ركيك، وهذا هو الذي دعاهم إلى التأويل والتحريف. يقرؤون الآية ثم لا يصدقون أن معناها على ظاهرها كما أنزل الله تعالى، فيحاولون أن يحرفوا المعنى الظاهر ويأتوا بمعنى من عندهم يرون أنه أنسب من المعنى الظاهر لكلام الله سبحانه.

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصَّافَّاتِ: ١٨٠ - ١٨٢]، فَسَبَّح نَفْسَهُ عَنْ مَا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخالِفونَ للرُّسُلِ، وَسَلَّم عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلامةِ مَا قَالُوهُ مِن النَّقصِ وَالعَيْبِ) معنى الآية، أي: تنزّه الله تعالى عما يصفه المخالفون الجاهلون من النقص، وسلّم على المرسلين لسلامة ما قالوا في صفة الله تعالى وتوحيده وشرعه. فلو كان في نفي الصفات خلل ونقص لما سلّم الله تعالى على الرسل عليهم السلام، بل سلامه عليهم يدل على أن هذه الصفات حق، وأنها مرادة لله سبحانه وتعالى.

﴿وَالحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ حمد نفسه لكماله، كمال صفاته وأسمائه وأفعاله، فجمع بين التنزيه والإثبات. وهذه تعتبر قاعدة من قواعد الأسماء والصفات، فلا نفي إلا بإثبات، كما سيأتي.

****

[الجمع بين النفي والإثبات]

قال: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ؛ فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلونَ. فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِن النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهداءِ وَالصَّالِحِينَ. وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾)

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: **لا يكون النفي كمالًا إلا إذا تضمن إثباتًا كمال ضده، أو جُمع مع الإثبات.**

الثانية: **أسعد الناس بالحق أتبعهم للرسول ﷺ، [وهم أهل السنة والجماعة].**

الثالثة: **التوحيد والإثبات لصفات الباري سبحانه جاءت به جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام.**

الرابعة: **صفات الله تعالى وكلامه تتفاضل.**

الخامسة: **تنزيه الله تعالى عن النقص من أصول التوحيد.**

السادسة: **إثبات الصفات كمال لله تعالى، [ولذلك مدح نفسه بها].**

السابعة: **صفات الله تعالى لا تماثل صفات الخلق.**

الثامنة: **الأصل في أسماء الله تعالى وصفاته الإثبات المفصل والنفي المجمل.**

التاسعة: **الإثبات المجمل يراد به العموم في الكمال.**

العاشرة: **الأصل في النفي الإجمال ليفيد العموم في نفي النقائص.**

....

قال: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ) لا يكون النفي كمالًا إلا إذا تضمن إثباتًا كما ضده، أو جُمع مع الإثبات، ننفي عن الله تعالى النقائص ونثبت له

الكمال، ننفي عن الله تعالى النوم والموت ونثبت له كمال الحياة. ننفي عن الله عز وجل العجز ونثبت له كمال القدرة. وهكذا. هذه هي طريقة القرآن الكريم.

والإثبات أكثر من النفي في القرآن، وإنما يُفرد النفي لدفع إيهام أو رد على شبهة أو رد قول من أقوال أهل الباطل. مثال ذلك الرد على اليهود: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾. ومثال دفع التوهم: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ﴾، وهكذا. فالقاعدة: لا نفي إلا بإثبات. وغالبًا ما يفصل النفي بعد إثبات أو قبله كما في سورة الإخلاص وآية الكرسي.

وهذا بخلاف أهل البدع فطريقتهم خلاف الكتاب والسنة.

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: « طريقة أهل الكلام المذموم، فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل يقولون: ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولادم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض...»[(١)]. وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فإن فيه إساءة أدب.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «أما المخالفون من المشركين والصابئين ومن اتبعهم من الجهمية والفلاسفة والمعتزلة ونحوهم فطريقتهم: نفي مفصل وإثبات مجمل، ينفون صفات الكمال ويثبتون ما لا يوجد إلا في الخيال فيقولون: ليس بكذا ولا كذا فمنهم من يقول: ليس له صفة ثبوتية بل إما سَلبية وإما إضافية وإما مركبة منهما كما يقول من يقوله من الصائبة والفلاسفة كابن سيناء وأمثاله، ويقول: هو وجود مطلق بشرط سلب الأمور الثبوتية عنه[(٢)].

(١) «الطحاوية» (١/ ٦٩).

(٢) «منهاج السنة» (٢/ ١٨٧).

قال: (فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ المُرْسَلونَ. فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِن النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينِ وَالشُّهداءِ وَالصَّالِحِينَ) المرسلون جاءوا بالنفي والإثبات، ينفون النقص ويثبتون الكمال، كما تقدم. وهذه الطريقة التي ذكرناها هي الصراط المستقيم الذي أمر الله جل وعلا باتباعه، وكان عليه الأنبياء والرسل والصالحون وغيرهم ممن رضي الله عنهم. وهذا هو الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، لا في العقائد ولا في الأحكام ولا في الأخلاق، ومن آمن أن دين الله جل وعلا مستقيم، سلم لله تعالى فيما قال وفيما أمر وفيما نهى. لكن أولئك الذين يرون أن الطرق التي أحدثوها أحسن حالًا واستقامة تجد أنهم دائمًا يقولون: وهذا لا يليق بالله، وهذا لا يصلح في حق الله، وهكذا. وكأنهم أعلم بالله رب العزة والجلال سبحانه وتعالى من نفسه.

قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاَصِ الَّتِي تَعدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾).

هذه السورة سميت: سورة الإخلاص؛ لأنها أخلصت التوحيد لله جل وعلا بأنواعه الثلاثة ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ أي هو المتفرد بالربوبية و الألوهية والأسماء والصفات فهذه الآية وحدها دلت على جميع أنواع التوحيد. ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾؛ أي الكامل من جميع الوجوه، الذي لا يحتاج إلى أحد، وكل من سواه محتاج إليه. ففيها إثبات الكمال لله تعالى.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ أي ليس له والد ولا أولاد ولا زوجة من باب أولى، لأن الذي يحتاج إلى والد وولد إنما هو الذي عنده نقص، والله سبحانه وتعالى له الكمال، وهذا النفي لرد ما فتراه المشركون والنصارى وغيرهم. فلم يلد ولم يولد لكمال ربوبيته وغناه.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هذا نفي مجمل يفيد العموم، والذي قبله نفي مفصل. كما أن قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ إثبات مجمل، ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ إثبات مفصل. فهذه السورة جمعت بين

الإثبات المجمل والمفصل، والنفي المجمل والنفي المفصل، دل ذلك على أن النفي لا يمنع من الإثبات، وأن الإثبات يقتضي النفي. فالله تعالى له الكمال المطلق وهو منزه عن جميع النقائص.



[آية الكرسي]

ومَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ حَيثُ يَقُولُ: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ منْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ منْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا- أَيْ لاَ يُكْرِثُهُ وَلاَ يُثْقِلُهُ- وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، وَلِهَذَا كَانَ منْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِن اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾ [الْفُرْقَانِ: ٥٨].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: كلام الله تعالى يتفاضل.

الثانية: لا يكون النفي كمالًا إلا إذا تضمن إثباتًا كما ضده، أو جُمع مع الإثبات.

الثالثة: النفي المفصل يراد به دفع توهم أو رد على مبطل.

الرابعة: الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد.

الخامسة: كيفية الصفات مما لا يحيط بعلمه الخلق.

السادسة: أسماء الله تعالى كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

السابعة: اقتران الأسماء الحسنى أو الصفات يدل على كمال فوق كمال.

الثامنة: صفات الله تعالى كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

التاسعة: أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية.

العاشرة: إثبات العلو لله تعالى من الإيمان بكماله تعالى.

قال: (وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» رواه مسلم (٨١٠). وذلك لما اشتملت عليه من المعاني والتوحيد بجميع أقسامه، وهذه الآية فيها أكثر من مائة فائدة، منها ما يتعلق بالعقيدة ومنها ما يتعلق بغير العقيدة.

﴿اللهُ﴾ لفظ الجلالة، ومعناه: المعبود الحق، وهو علم على ذات الله سبحانه وتعالى، وهو اسم الله الأعظم على الراجح. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا معبود بحق إلا الله تعالى. وكلمة التوحيد جمعت بين النفي والإثبات، فـ(لا إله) نفي العبادة الحق عن سوى الله تعالى، (إلا الله) إثبات العبادة الحق لله تعالى وحده. ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾؛ الحي: الذي له صفة الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال، حياة كاملة من جميع الوجوه. القيوم: القائم بنفسه لكماله وكمال صفاته وأفعاله، المقيم خلقه: حياتهم، أرزاقهم، تدبير أمورهم، وكل شيء لا يكون إلا منه، تنبيه: ولا تقل: (القائم بغيره)؛ لأن هذا قد يوهم بعض الناس معنًى غير المقصود.

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾؛ نفي للنقص في الأسماء والصفات بعد الإثبات، والسِّنة: النعاس ومقدمة النوم. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ كلهم عبيده وخلقه. ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾. والله جل وعلا لا يأذن إلا لأهل التوحيد، الشافع لا بد أن يكون من أهل التوحيد، والمشفوع له لا بد أن يكون من أهل التوحيد، فالذين يطلبون الشفاعة من المقبورين طلبوها بطريقة شركية ازدادوا بها بُعدًا عن الشفاعة، فالشفاعة لا تقبل لمشرك ولا من مشرك، ولكنهم لا يعقلون. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أي ما يكون في المستقبل، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ أي ما مضى. وبعضهم يفسرها بالعكس، وهو رد على غلاة القدرية الذين ينفون العلم، وهم كفار. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾. نأخذ منها قاعدة أنه لا يحاط بكيفية أي

صفة من صفات الله تعالى، فقد أعجز خلقه عن الإحاطة به. ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾؛ مثل العلم الذي جاء عن طريق الرسل عليهم السلام وهو وحي من الله سبحانه وتعالى.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾. والكرسي غير العرش بإجماع أهل السنة، وما جاء عن بعض السلف أن الكرسي هو العرش لا يصح سنده. والكرسي بهذه العظمة أكبر من السماوات والأرض، وإنما هو يسير بالنسبة لعرش الرحمن، فالعرش أعظم من الكرسي بكثير.

﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾، لا يؤوده يعني لا يثقله حفظ السماوات والأرض والعرش والكرسي، وذلك لكمال قوته وقدرته تعالى، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾؛ العلي في صفاته، العلي بذاته فوق جميع خلقه، العلي بقدرته وقهره، وهو العظيم في كل ذلك.

قال: (وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِن الله حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ) وفي الحديث المشهور: (إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ) رواه النسائي في الكبرى (١٠٧٢٩) وغيره وهو صحيح. فقراءتها مستحبة عند النوم، وفي أذكار الصباح والمساء، وتقرأ دبر الصلوات فتكون سببًا لدخول الجنة، ولها فضائل أخرى بسطت في غير هذا المقام.

قوله: (وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾) ودلالاتها على الجمع بين النفي والإثبات ظاهر كما تقدم.

****

[ذكر بعض الأسماء والصفات من القرآن الكريم]

[صفة العلم]

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ١ - ٢]، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: تفسير النبي ﷺ للقرآن يغني عن غيره، [كما فسر الآية الأولى، وسيأتي].

الثانية: العلو لله تعالى لا ينافي المعية.

الثالثة: تعدد الأسماء والصفات لا يلزم منه تعدد الموصوف.

الرابعة: صفات الله تعالى وأسماؤه أولية أزلية كذاته تعالى.

الخامسة: من استدل بدليل على باطل كان في ذلك الدليل ونحوه رد عليه.

السادسة: الحكمة والعدل وضع الشيء في موضعه المناسب.

السابعة: اقتران الأسماء الحسنى يدل على كمال فوق كمال.

الثامنة: صفات الله تعالى ذاتية غير متعلقة بالمشيئة، وفعلية تتعلق بالمشيئة.

التاسعة: الكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر.

....

قال: (وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾) هذه الآيات التي ساقها المؤلف هي شروع في ذكر الصفات، فبدأ بصفة العلم، وعلم الله تعالى صفة كمال، لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، ولا يعتريه جهل ولا ذهول.

في الآية إثبات خمسة من أسماء الله تعالى: الأول والآخر والظاهر والباطن والعليم، وتفسيرها الذي لا معدل عنه، تفسير النبي ﷺ: (اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ) رواه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه. فالظاهر الموصوف بالعلو، والباطن بمعنى المعية، فالله تعالى مع العباد بعلمه وقدرته، ولذلك ختم الآية باسمه العليم، وه دليل على أن علوه تعالى لا ينافي معيته على ما فسرنا. ودليل على أن تعدد الأسماء والصفات لا يلزم منه تعدد الموصوف، ودليل على أن صفات الله تعالى وأسماؤه أولية أزلية كذاته تعالى، وعلى أن اقتران الأسماء الحسنى ببعضها كمال فوق كمال.

وفيه رد على من زعم أن الله تعالى في كل مكان، وعلى أهل الحلول من صوفية وغيرهم، فقد وصف نفسه تعالى بالعلو، وأنه بائن عن خلقه وهو معهم بعلمه لا بذاته، ومن استدل بدليل على باطل كان في ذلك الدليل ونحوه رد عليه، فاستدل بعضهم بالآية على ما سبق، وقد بينا لك كيف كانت الآية رد عليهم.

وصفة العلم لله عز وجل ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع. قال أهل السنة: إن صفة العلم من الصفات الذاتية؛ لأن صفات الله عز وجل تنقسم إلى ثلاثة أقسام أو ثلاثة أنواع: صفات ذاتية: كالعلم والسمع والبصر والعظمة والكبرياء والقدرة وما أشبه ذلك، ولا تتعلق بالمشيئة، ولكن لا يمنع ذلك أن يقع في بعضها تجدد آحادها كالعلم والسمع والبصر...

وصفات ذاتية خبرية: كالوجه واليدين والعينين والأصابع والقدم والساق والحقو. فهذه سبع صفات ثبتت من الصفات الخبرية.

وصفات ذاتية فعلية: وهي المتعلقة بالمشيئة كالمحبة والغضب والفرح والنزول والمجيء والاستواء وما أشبه ذلك.

ومن الصفات الفعلية الصفات التي لا يوصف الله تعالى بها إلا على جهة الكمال، لا مطلقًا كالمكر ونحوه، كما سيأتي توضيحه في موضعه.

وصفات الله عز وجل كلها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه. والكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر، فمن أثبت البعض ونفى البعض فقد تناقض.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِن السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾) وهذه الآيات أيضاً تدل على أن علم الله تعالى مقرون بالحكمة، وحكمته تعالى مقرونة بالعلم، والحكمة: وضع الشيء في موضعه المناسب. وأعمال العباد سواء كانت خيرًا أو شرًا تصعد إلى السماء. والذي ينزل من السماء من مطر أو عذاب وغيره وفيه الخير وفيه الشر، ومنكر ذلك كافر بالإجماع.

قال: (﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾)دلالة على إحاطة علمه تعالى بكل شيء، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ أي خزائن الغيب، ﴿لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ﴾ إذا كان يعلم بسقوط الورقة أو نبات الزرع فعلمه بغير ذلك من باب أولى، ﴿إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ سبق علم الله عز وجل بذلك وكتب كل شيء في اللوح المحفوظ.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾) وأهل البدع من المعتزلة يعطلون صفة العلم، ويقولون: علمه ذاته، ومنهم من يقول: عليم بلا علم، وهؤلاء أضل ممن قبلهم.

ويرد عليهم بالكتاب والسنة، وإجماع السلف، وبوجه رابع: وهو أن العقل يدل على أن العلم صفة كمال، ومعطي الكمال أولى به، وبوجه خامس، وهو أن حقيقة قولهم كقول القدرية التي تنكر العلم وهو كفر، ولهذا كفَّر أهل العلم الجهمية ومنهم المعتزلة.

وأما الكلابية والأشاعرة والماتريدية فيثبتون صفة العلم لكنهم ينكرون تجددها، ويرد عليهم بالكتاب والسنة والإجماع، فقولهم مخالف لذلك، ومن خالف بالكتاب والسنة والإجماع فهو ضال مضل، ملحد في أسماء الله تعالى وصفاته، ويأتي توضيحه عند تكرار الكلام على السمع والرؤية بمشيئة الله تعالى.



[صفة القوة والسمع والبصر]

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشُّورَى: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النِّسَاءِ: ٥٨].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الرزق بأنواعه من الله تعالى.

الثانية: صفات الله تعالى تدل على عظمته وكماله.

الثالثة: إثبات الصفات لا يلزم منه التمثيل.

الرابعة: صفات الله تعالى تدعو إلى المحبة لله تعالى التوكل والخشية.

الخامسة: القوة والسمع والبصر صفات كمال.

السادسة: السمع والبصر مما تتجدد آحاده.

....

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾) فيها إثبات صفة القوة كما يليق بجلاله، وهي صفة كمال، وفيها أيضاً إثبات اسم الرزّاق والرازق، القوي والمتين لله عز وجل. والقوة تقابل الضعف، والقدرة تقابل العجز، وفيها أن الله عز وجل قد علم الخلق وعلم أرزاقهم وعلم طرق إيصال الأرزاق إليهم، والرزق حلاله وحرامه من الله تعالى، لا رازق سواه ، لكن الرزق الحرام لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه، والقول فيه كالقول في سائر المعاصي، وكالقول في أفعال العباد.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾) هذه الآيات فيها إثبات صفات البصر والسمع فالله عزّ وجل يسمع كما

يليق بجلالة، يسمع كل شيء لا يخفى على الله عز وجل شيء. والبصير بمعنى أن الله عز وجل يرى كل شيء ويعرض عمن شاء، فلا يخفى على الله عز وجل شيء، سواء كان في ظاهر الأرض أو باطنها أو في الصدور أو في السماوات، سواء من هذا العالم أو من غيره. فالله جل وعلا يسمع كل شيء ويبصر ويرى سبحانه وتعالى، إلا من شاء تعالى الإعراض عنهم، كما سيأتي.

وخالف المعتزلة فعطلوا هذه الصفات كما عطلوا صفة العلم، وأثبتها الأشاعرة والماتريدية ونحوهم، وحرفوا معناها كما حرفوا معنى العلم.



[صفتا المشيئة والإرادة لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ﴾ [الْكَهْفِ: ٣٩]
وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المَائِدَةِ: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمنْ يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأَنْعَامِ: ١٢٥]،

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: المشيئة بمعنى الإرادة الكونية.

الثانية: الإرادة كونية وشرعية.

الثالثة: إثبات الإرادة والمشيئة اتفقت عليه الرسل والأنبياء عليهم السلام.

الرابعة: الإرادة الشرعية تتعلق بما يحبه الله تعالى ويرضاه.

الخامسة: الإرادة الكونية مقرونة بالحكمة والعدل.

السادسة: الإرادة الشرعية مقرونة بالحكمة والفضل.

السابعة: كل كائن فهو تحت مشيئة الله تعالى.

الثامنة: من غلط في التفريق بين الإرادتين ضل في مسائل القدر.

التاسعة: الهداية فضل الله تعالى، والإضلال عدله.

العاشرة: القدر سر الله تعالى، ومبناه على التسليم.

....

هذه الآيات فيها إثبات صفتي المشيئة والإرادة لله سبحانه وتعالى، والمشيئة لا تكون إلا كونية، والإرادة تنقسم إلى إرادة شرعية وإرادة كونية، وهذه تعتبر قاعدة من قواعد القدر، وعلى هذا

التقسيم يقع خلاف كبير مع أهل الطوائف.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله تعالى، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعَيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع.

(شفاء العليل ١/ ٤٣)

والفرق بين الإرادتين كالتالي:

١ - الإرادة الكونية لابد من وقوعها كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦].

- والإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء:٢٧] وإن كان كثير لا يتوب: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة:١٠٠].

٢ - الإرادة الكونية تشمل ما يحبه الله تعالى ويرضاه وما لا يحبه...

- والشرعية متعلقة بما يحبه فقط. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

٣- الإرادة الكونية متعلقة بالربوبية والأمر الكوني...

والإرادة الشرعية متعلقة بالعبادة والأمر الشرعي... كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ [المائدة:٦] أي: بالدين والعبادة.

٤ - الإرادة الكونية قد تكون مقصودة لذاتها كالخير، وقد تكون مقصودة لغيرها لحكمة يعلمها الله تعالى؛ مثل خلق إبليس وسائر الشرور كما سيأتي في بابه.

- والإرادة الشرعية مقصودة لذاتها، فالله تعالى أراد الطاعة وأحبها وشرعها ورضيها لذاتها.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ﴾) وهذه مشيئة كونية، فلا يكون في هذا الكون وغيره إلا ما شاءه الله عز وجل. فصفة المشيئة لله عز وجل متعلقة بعلم الله تعالى، فالله عز وجل يعلم كل شيء، فما شاء أن يكون كان، وما شاء أن لا يكون فلا يكون، فالمشيئة عامة.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾) ولكن الله عز وجل أراده كونًا فكان ما أراده الله تعالى كونًا، ولله تعالى في كل شيء حكمة.

وقال: (وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾) الحكم والأمر والإذن ونحوها كالإرادة نوعان: شرعي وكوني، وقد بسط ذلك الشيخ ابن عثيمين في شرحه، والحكم في هذه شرعي لأن المقام مقام تشريع، ويجوز أن تكون إرادة شرعية كونية، ونحمل الحكم على الحكم الكوني والشرعي، فما أراده كوناً، حكم به وأوقعه، وما أراده شرعاً، حكم به وشرعه لعباده.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾) الأولى إرادة شرعية، والثانية إرادة كونية، فهذه الآيات دلت على أن الإرادة منها الكونية ومنها الشرعية.

مثال توضيحي: ما اجتمعت فيه الإرادتان الكونية والشرعية: إسلام أبي بكر رضي الله عنه.

فوقوعه دليل الإرادة الكونية، وأمر الله تعالى بالإيمان ومحبته لذلك دليل الإرادة الشرعية.

ومثال ما تفردت به الإرادة الكونية: كفر أبي لهب، فوقوعه دليل الإرادة الكونية، والله تعالى لم يرده شرعًا، لأنه تعالى لا يحب الكفر، ولم يرد إرادة شرعية.

ومثال ما تفردت به الإرادة الشرعية: إسلام أبي طالب، فأمر الله تعالى بالإيمان ومحبته لذلك دليل الإرادة الشرعية، وعدم وقوعه دليل على أن الله تعالى ما شاءه ولا أراده كونًا فلم يقع.

والإرادة الكونية مقرونة بالحكمة والعدل، والإرادة الشرعية مقرونة بالحكمة والفضل، فالهداية فضله والإضلال عدله، آمنا بالله تعالى. فالواجب علينا هو التسليم لما أراده الله تعالى شرعًا وكونًا. فالمسلم يؤمن ولا يقول: لماذا؟ في باب القدر، بل يقول: آمنا بقدر الله تعالى، وسيأتي الكلام على القدر في غير هذا الموضع.

وخالفت القدرية المعتزلة ونحوهم فلم تثبت إلا الإرادة الشرعية، ومع ذلك فهي إرادة مخلوقة على مذهبهم في تعطيل الصفات، أو يقولون: مريد بإرادة حادثة لا في محل.

وخالفت الجبرية الجهمية والأشاعرة ونحوهم فلم تثبت إلا الإرادة الكونية، ونفت تعلق الأفعال بها على مذهبهم في نفي الصفات الفعلية، فعندهم أنها إرادة واحدة أولية.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وجهم ومن وافقه من المعتزلة اشتركوا في أن مشيئة الله تعالى ومحبته ورضاه بمعنى واحد، ثم قالت المعتزلة: وهو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان فلا يشاؤه، فقالوا: إنه يكون بلا مشيئة. وقالت الجهمية: بل هو يشاء ذلك فهو يحبه ويرضاه»[(١)].

* **والجواب على القدرية:**

١ – أن هناك فرقاً بين الإرادة والمحبة، فالمحبة بمعنى الإرادة الشرعية، والإرادة الكونية أعم من ذلك، فهي تشمل ما يحبه الله تعالى وما لا يحبه – كما سبق – وبهذا التقسيم يندفع الإشكال.

٢ – ويقال أيضاً جواباً على قولهم: كيف يريد أمراً ولا يحبه؟ والجواب: إن المراد نوعان: مراد لذاته، ومراد لغيره.

فالمراد لذاته مطلوب محبوب لذاته، وما فيه من الخير فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

---

(١) «الفتاوى» (٨/ ٤٧٤ – ٤٧٥).

- والمراد لغيره قد لا يكون مقصوداً لذاته، فهو مكروه من حيث نفسه وذاته، لكنه مراد لغيره من المحبوبات فيبغض من وجه ويحب من وجه آخر، كالدواء المُر يراد به الشفاء.

٣- لا تلازم بين الإرادة والمحبة، فقد تقع إحداهما دون الأخرى، فليس معنى كونه أراده أنه يحبه، ولا يدل عدم محبة الشيء أن الله تعالى لم يخلقها ويريدها كوناً.

والأدلة الكثيرة تدل على ما سبق تقريره، ولكن أهل البدع يأخذون طرفاً ويتركون الآخر.

* **وأما الجبرية فالرد عليهم:**

أن لفظ الأمر مجمل فقد يراد به الأمر الكوني، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس:٨٢]، وقوله: ﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ﴾ [الإسراء:١٦]، ونحوها وهو يستلزم الإرادة الكونية القدرية.

وقد يراد به الأمر الشرعي الذي يستلزم الإرادة الشرعية والمحبة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠] ونحو ذلك، وعندئذ فلا تلازم بين الأمر الديني والإرادة الكونية.

وأما الإرادة الشرعية فالتلازم حاصل بينها وبين الأمر الديني، وهذا رد على الجبرية نفاه الشرع، والأول رد على القدرية نفاه القدر.

والأشاعرة مع قولهم أن كل ما أراده فقد أحبه، إلا أن منهم من يقول في الكفر والمعاصي: لا يحبها ولا يرضاها ديناً كما لا يريدها ديناً، ولا يشاؤها ديناً[(١)].

ومعناه عندهم: أن الله تعالى يحب الكفر ولم يأمر به عباده، وهذا تناقض، فالكافر عندهم واقع فيما يحبه الله ومعاقب على كفره لأنه لم يؤمر به.

****

(١) انظر «المنهاج» لشيخ الإسلام (٣/ ١٨١).

[ذكر بعض الصفات المتعلقة بالمشيئة]

[صفة المحبة لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٥]، ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحُجُرَاتِ: ٩]، ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التَّوْبَة: ٧]، ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٣١]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المَائِدَة: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصَّفّ: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: المحبة وسائر الصفات الاختيارية متعلقة بالمشيئة.

الثانية: الصفات الاختيارية كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

الثالثة: إثبات المحبة كالإرادة، فالكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر.

الرابعة: التفريق في الإثبات بين صفات الفعل وصفات الذات من علامات أهل البدع.

الخامسة: أصل الضلال قياس الخالق بالمخلوق.

السادسة: تكرار لفظ الصفة وأدلتها ينفي المجاز.

السابعة: المجاز مطية المعطلة من المعتزلة والأشاعرة ونحوهم.

الثامنة: إثبات الصفات لله تعالى من أصول التوحيد.

التاسعة: أسعد الناس بمعرفة صفات الله تعالى هم أهل السنة.

العاشرة: الإيمان بالصفات مبناه على التسليم لا على الرأي والاعتراض.

الحادية عشر: صفات الخالق سبحانه لا تماثل صفات الخلق.

الثانية عشر: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

....

بعد أن ذكر المؤلف الكلام على المشيئة، ذكر الصفات التي تتعلق بها لأن الصفات المتعلقة بالمشيئة هي التي اشتد إنكار أهل البدع لها. فمن أقر بالصفات الفعلية أقر بغيرها من باب أولى. وأول هذه الصفات المحبة، وذكر عددًا من الآيات التي فيها إثبات المحبة لله عز وجل، فالله سبحانه يحب من شاء كما يشاء، ومحبة الله عز وجل لعباده تتفاضل، فيحب بعض الصالحين أكثر من بعض، ويحب الرسل أكثر من الأنبياء، ويحب الأنبياء أكثر من الصحابة وهكذا.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾) الذين يتقنون أعمالهم وعباداتهم بالإخلاص والاتباع.

قال: (﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾) المقسط: الذي يعدل في حكمه وقوله عمله.

قال: (﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾) المتقي: هو الذي يؤدي حق الله تعالى وحق عباده وخلقه. والتواب صيغة مبالغة تعني كثير التوبة.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾) هذه الآية علامة على صدق محبة العبد لربه تعالى، وذلك باتباع شرعه والتمسك بتوحيده.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾) يحبهم حقيقة لا مجازًا، ويحبونه حقيقة، وهذا ينفي المجاز المزعوم.

قال: (﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾) وصف الله تعالى نفسه بالمحبة والمودة والخلة، ولم يصف نفسه بغيرها، فلا

تطلق عليه غيرها إلا بدليل صحيح، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وهكذا المحبة وصف نفسه منها بأعلاها وأشرفها فقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، ... ولم يصف نفسه بغيرها من العلاقة والميل والصبابة والعشق والغرام ونحوها، فإن مسمى المحبة أشرف وأكمل من هذه المسميات، فجاء في حقه إطلاقه دونها. وهذه المسميات لا تنفك عن لوازم ومعانٍ تنزه تعالى عن الاتصاف بها. (طريق الهجرتين ١/ ٣٢٩).

من القواعد في الصفات أن صفات الخالق سبحانه لا تماثل صفات الخلق. فانتفى النقص وانتفى التمثيل. فما بقي للتعطيل بعد هذا معنى؛ فإن المعطلة إنما نفوا لأنهم توهموا التمثيل، وقاسوا الخالق على المخلوق.

وخالف المعطلة المعتزلة ووليدتها الأشاعرة والماتريدية ونحوهم، ولهم في ذلك شبه كثيرة، منها: قالوا: إن المحبة لا تكون إلا بين متناسبين. فيقال لهم: ماذا تريدون بهذه الكلمات والعبارة؟ إن أرادوا بالتناسب التوافق فهذا حق في حق الله عز وجل، فالله جل وعلا يحب من وافق أمره ونهيه، وإن أرادوا بالتناسب العلاقة التي تكون بين المخلوقين، فقد تقدم أن الله عز وجل لا يقاس بالخلق. ويرد عليهم أيضًا بأن الذي جاءوا به، خلاف الكتاب والسنة، وخلاف ما أجمع عليه السلف، والعقل، فالعقل يثبتها ويمدحها إذا كانت في محلها.

وقالت الأشاعرة: المحبة فيها نوع من الميل إلى الطرف الآخر. يقال لهم: كما أن ذات الله عز وجل لا تماثل الذوات، فكذلك الصفات؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات. وجميع الطوائف متفقة أن ذات الله عز وجل لا تماثل ذوات الخلق. وأيضًا بالنسبة للأشاعرة الذين يثبتون الإرادة، يقال لهم: الكلام على المحبة كالكلام على الإرادة. فإن القاعدة تقول: الكلام في بعض الصفات كالبعض الآخر. فما يقال في صفة المحبة والسمع والبصر، يقال أيضًا في صفة الإرادة والقدرة وما أشبه ذلك مما أثبتوه. فهم يتناقضون، يثبتون الإرادة وينفون المحبة

الثابتة لله عز وجل، ويتكئون على المجاز، و المجاز مطية المعطلة من المعتزلة والأشاعرة ونحوهم. وهو باطل، والإيمان بالصفات مبناه على التسليم لا على الرأي والاعتراض والمجاز.

****

[صفات الرحمة والمغفرة والحفظ والرضى لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النَّمْلِ: ٣٠]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غَافِر: ٧]، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأَحْزَاب: ٤٣]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأَعْرَاف: ١٥٦]، ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأَنْعَام: ١٥٤]، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يُونُس: ١٠٧]، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يُوسُف: ٦٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المَائِدَة: ١١٩].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الرحمة والرضا وسائر الصفات الاختيارية متعلقة بالمشيئة.

الثانية: الصفات الاختيارية كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

الثالثة: إثبات الرحمة والرضى كالإرادة، فالكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر.

الرابعة: التفريق في الإثبات بين صفات الفعل وصفات الذات من علامات أهل البدع.

الخامسة: أصل الضلال قياس الخالق بالمخلوق.

السادسة: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

السابعة: الرحمة صفة عامة كالعلم، والرضا خاص بالموحدين.

الثامنة: لا يجب على الله تعالى إلا ما أوجب على نفسه.

التاسعة: الجزاء من جنس العمل، مع نفي التمثيل.

العاشرة: تفسير الصفات باللازم طريقة كلامية ضالة.

الحادية عشر: الاستعاذة بالصفات دليل على أنها غير مخلوقة.

....

هذه الآيات في إثبات صفة الرحمة والمغفرة والحفظ والرضى لله عز وجل، والكلام عليها كالكلام على المحبة، فبابها واحد، وهي صفات كمال ثابتة بالكتاب والسنة، وأجمع عليها

سلف الأمة. وقد وردت أدلة الرحمة في أكثر من مائتي دليل من القرآن والسنة، وأدلة المغفرة أكثر، وأدلة الرضا والحفظ كذلك كثيرة. وأول آية في القرآن الكريم فيها إثبات صفة الرحمة: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. الرحمن ذو الرحمة الواسعة التي شملت جميع الخلق، المسلم والكافر وغيرهما، بالرزق والعطاء وتدبير أمور الخلق وغير ذلك ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾، والرحمة الخاصة بالمؤمنين وتكون بالهداية والصلاح والحفظ ودفع الشبه والضلال إلى غير ذلك. ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾، هذه من معاني الرحمة الخاصة.

والرحمة صفة كمال ليست ضعفًا ولا نقصًا، كما يدعي أهل البدع من المعتزلة، يقولون: إن الله لا يتصف بالرحمة؛ لأنها صفة ضعف. وهذا باطل؛ فإن الضعف غير الرحمة. ولذلك مدح الله عز وجل الرحمة وذم الضعف، ومدح الذين لا يضعفون أمام عدوهم.﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾، ولما بكى النبي صلى الله عليه وسلم على ولده وغيره، قالوا: يا رسول الله وأنت؟ قال: «إنها رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء».

قال: (وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾). كتب بمعنى أوجب، والله جل وعلا يوجب على نفسه ما شاء كرمًا وتفضلًا وعدلًا وله الحكمة البالغة، وحرم على نفسه أموراً لمنافاتها لكماله كالظلم. فأوجب على نفسه الرحمة، وأوجب على نفسه العدل، وأوجب على نفسه أن يكرم الطائعين.. وليس للخلق أن يوجبوا على الله عز وجل شيئًا، ولا أن يمنعوا على الله تعالى شيئًا، فالرجل الذي قال: «والله لا يغفر الله لك»، يريد أن يمنع رحمة الله عن هذا الشخص، قال الله تعالى: «من هذا الذي يتألى علي؟» ثم أدخله النار، والحديث في الصحيح (م ٢٦٢١) عن جندب رضي الله عنه.

أما المعتزلة فإنهم يوجبون على الله أشياء، ويقولون: وهذا الحُسْن واجب على الله تعالى، بمعنى: أن الله تعالى يجب عليه أن يفعل ما استحسنه العقل، ويحرم عليه أن يفعل ما استقبحه

العقل. وهذا باطل، ويرجع إلى ضلالهم في مسألة القدر، كما سيأتي إن شاء الله سبحانه وتعالى.

وأما الأشاعرة فقالوا في صفة الرحمة: إن الرحمة صفة لله عز وجل ومعناها يعطي الثواب، والثواب مخلوق. فالرحمة بمعنى إعطاء الثواب وهما مخلوقان، فرجع قولهم إلى قول المعتزلة. فخالفوا ظاهر القرآن والسنة، وخالفوا إجماع السلف، وخالفوا العقل، ونفوا صفة الكمال عن الله عز وجل، ووافقوا المعتزلة. ولهم ردود كثيرة على المعتزلة، لكن يلتقون مع المعتزلة بسبب تحريفهم.

قال: (﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾)

في الآية الأولى اثبات اسم (الحافظ) لله تعالى وصفة الحفظ، فهو سبحانه حافظ لخلقه وعالم بهم وبأعمالهم، وقد ورد أيضًا اسمه الحفيظ: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾.

وفي الآية الثانية إثبات صفة الرضى لله تعالى، وهي صفة كمال، والرضى غير الثواب، فالثواب مخلوق وصفات الله تعالى غير مخلوقة، بل الثواب من آثار رضى الله تعالى، وتفسير الصفات باللازم طريقة كلامية ضالة، ويرد عليهم بأنهم خالفوا الكتاب والسنة والإجماع واللغة، وقد قال ﷺ: (اللَّهُمَّ أعُوذُ بِرِضَالك مِنْ سَخطِكَ) ولا يستعاذ بمخلوق.

****

[صفات الغضب والكره لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النِّسَاءِ: ٩٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [مُحَمَّدٍ: ٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٥٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التَّوْبَةِ: ٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّفِّ: ٢].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الغضب والكره وسائر الصفات الاختيارية متعلقة بالمشيئة.

الثانية: الصفات الاختيارية كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

الثالثة: إثبات الغضب والكره كالإرادة، فالكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر.

الرابعة: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

الخامسة: تفسير الصفات باللازم طريقة كلامية ضالة.

السادسة: إضافة الصفات إلى الله تعالى من إضافة الصفة إلى موصوفها.

السابعة: من عطَّل فقد توهم التمثيل قبله.

الثامنة: جمع معاني الصفات في صفة واحدة طريقة غير مرضيَّة.

....

في هذه الآيات ذكر صفات الغضب، والكراهية، والسخط، والمقت، والأسف، وكلها من الصفات الاختيارية، ولا يقال: إن الكره والسخط والمقت تعود إلى صفة واحدة إلى صفة الغضب. فالصفات التي وردت متعددة تبقى كما وردت من غير جمع لها في صفة واحدة، وإنما الجمع طريق غير سلفية، وهذه الطريقة ليست فاضلة، وكأن فيها أثراً من طريقة متكلمة

الصفاتية، الذين أرجعوا جملةً من الصفات إلى صفة الإرادة.

والسخط هو الغضب مع الكره، ولم يرد في القرآن الكريم إلا في حق الكفار.

والمقت هو أشد البغض والكره.

وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فيغضب ليس كغضب الخلق.

فالله عز وجل صفاته صفة كمال، والخلق صفاتهم صفات نقص.

والكراهية معناها في لغة العرب بمعنى معلوم، وهي أيضًا صفة كمال لله عز وجل كما يليق بجلاله. فنثبت هذه الصفات دون تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، يغضب على من شاء ويسخط على من شاء، ويكره من شاء.

أما المعتزلة فيعطلونها، ويقولون: هذا من صفات المخلوق، والمخلوق إذا غضب يغلي دمه، وهذا لا يليق بالله تعالى. وهذا ناتج من القاعدة المنحرفة التي ضل أهل البدع جميعًا بسببها، وهي قياس الله عز وجل على خلقه. فتوهموا التمثيل أولًا ، ثم لجأوا إلى التعطيل. فهذه ثلاثة أخطاء وقعوا فيها تباعًا. ولو أنهم سلموا لله تعالى ما وقعوا في هذا الضلال.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لا في محبته ولا في غضبه ولا في رضاه ولا في سخطه ولا في غير ذلك من الصفات، بل نثبت له صفة الكمال.

والأشاعرة يقولون: الغضب بمعنى الانتقام، والأسف بمعنى الانتقام. والله جل وعلا قد فرق بينهما في هذه الآية: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ الأسف: شدة الغضب والسخط، ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾. فالانتقام من آثار غضبه وسخطه عليهم.

ورد عليهم شارح الطحاوية بقوله: ويقال لمن تأول الغضب والرضا بإرادة الإحسان: لم تأولت ذلك؟ فلا بد أن يقول: لأن الغضب غليان دم القلب والرضا الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى، فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن صفة الغضب، لا أنه من

الغضب، ويقال له أيضاً: وكذلك الإرادة والمشيئة فينا هي ميل الحي إلى الشيء، أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده، ومفتقر إليه، يزداد بوجوده، وينقص بعدمه، فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء، فإن جاز هذا جاز ذاك، وإن امتنع هذا امتنع ذاك.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فإن كان المخاطب ممن يقرّ بأن الله حي بحياة، عليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة. ويجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته، فيجعل ذلك مجازًا، ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات. قيل له: لا فرق بين ما نفيتَه وبين ما أثبتَّه، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر، أ.هـ (الفتاوى ٣/ ١٧).



[صفات الإتيان والمجيء لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [البَقَرَة: ٢١٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأَنْعَام: ١٥٨]، ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الْفَجْرِ: ٢١، ٢٢]، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلاَئِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الْفُرْقَانِ: ٢٥].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الإتيان والمجيء وسائر الصفات الفعلية متعلقة بالمشيئة.

الثانية: الصفات الفعلية كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

الثالثة: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

الربعة: تفسير الصفات باللازم طريقة كلامية ضالة.

الخامسة: من عطَّل فقد توهم التمثيل قبله.

السادسة: إضافة الفعل إلى الله تعالى من إضافة فعل إلى فاعله المتصف به.

السابعة: ظاهر أدلة الصفات هو مراد الله تعالى.

الثامنة: الأصل عدم الإضمار، ولا يصح التأويل إلا بقرينة صحيحة.

....

لا يزال المؤلف رحمه الله تعالى يذكر الصفات المتعلقة بالمشيئة، التي يفعلها ربنا جل وعلا متى شاء. ومنها صفة المجيء والإتيان.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾) إتيان حقيقي كما يليق بجلاله، ليس كإتيان الخلق؛ لأن الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. فنثبت الصفة وننفي التمثيل. ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ قال بعض أهل التفسير: الغمام يكون قبل

مجيء الله عز وجل. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ أي: والملائكة تأتي حقيقة، وعطف إتيان الملائكة على إتيان الله تعالى ينفي المجاز والإضمار، فكون إتيانه تعالى حقيقة أولى من ذلك في الملائكة.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾): يخاطب المعارضين لدعوة الرسل عليهم السلام، تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم. فإن ماتوا وبعثوا فإن الأمر أشد من ذلك. ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: لفصل القضاء يوم القيامة، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾. تأتيهم بعض آيات الله تعالى في الدنيا التي تحذرهم من الكفر، ومنها أشراط الساعة الكبرى كطلوع الشمس من مغربها. فهذه الآية جمعت أكثر من معنى.

قال: (﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾) وهذا يوم القيامة. وَجَاءَ رَبُّكَ تعالى مجيئًا حقيقيًّا يليق بجلاله. ﴿وَالْمَلَكُ﴾ الواو هنا واو الحال، أي حال كون الملائكة صفوفًا، ففي يوم القيامة ينزل الملائكة إلى أرض المحشر ويصفون، ثم يأتي ربنا جل وعلا بعد ذلك لفصل القضاء بين العباد. وهو ظاهر في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: (فَيَأْتِيهِمُ اللهُ تَعَالَى فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ) متفق عليه (خ ٧٤٣٧) (م ١٨٢)، وحديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ» (م ١٩١). فهذا الحديث صريح أن الله عز وجل يأتي نفسه. وجميع الصفات الفعلية والذاتية الخبرية كمال، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

قال: (﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾) تشقق السماء ويخرج غمام عظيم من السماء وذلك لمجيء الله عز وجل للفصل بين عباده، فهو يوم رهيب عظيم.

وقد تأول المبتدعة هذه الصفات لعلل ضعيفة سيأتي ردها عند صفة النزول بعون الله تعالى.

[ذكر بعض الصفات الخبرية]

[صفة الوجه لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [الْقَصَصِ: ٨٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٥٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٦٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطُّورِ: ٤٨]، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [الْقَمَرِ: ١٣ - ١٤]، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طَهَ: ٣٩].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصفات الخبرية كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

الثانية: الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

الثالثة: ظاهر أدلة الصفات هو مراد الله تعالى.

الرابعة: الصفات معلومة المعنى، مجهولة الكيف.

الخامسة: إضافة الصفة لذاته تعالى ووصفها بأوصاف يدل على أنه صفة حقيقية.

السادسة: لا يزال باب الضلال في اتساع وتناقض.

السابعة: الاستعاذة بالصفة دلالة أنها غير مخلوقة.

الثامنة: الصفات الخبرية لا تتعلق بالمشيئة.

....

بدأ بذكر صفة الوجه لله تبارك وتعالى. ومعنى الوجه في اللغة معروف، وهو ما تحصل به المواجهة. وأما وجه ربنا جل وعلا فهو وجه عظيم كما يليق بجلاله. ولا نعلم كيفية هذه

الصفات. لكن وردت بعض الصفات المتعلقة بالوجه. كالآية الأولى (ذُو) بالرفع صفة للوجه. ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. صفة لوجه الله سبحانه وتعالى. فوجه ربنا وجه عظيم موصوف بالجلال والإكرام، والنور كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره». فهذه من صفات الوجه: النور، وعظمة هذا النور لو كشف الحجاب لأحرق الكون كله.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ أي: كل شيء هالك إلا الله تعالى، الموصوف بالوجه. فيعبر بالبعض ويراد به الكل.

وأهل البدع من المعتزلة تعطل الصفات، والمبتدعة الأشاعرة ومن وافقهم يفسرون الوجه بالثواب، وهذا غلط من جهة اللغة وأيضًا من جهة الدليل، ومن جهة كلام السلف.

أما من جهة اللغة فإنه لا يراد بالوجه الثواب، ونحو قول القائل: "أنا أعمل لوجه الله" أي: أنا أعمل لله عز وجل الموصوف بالوجه.

وأيضًا قولهم مخالف لظاهر الكتاب والسنة، مخالف لكلام السلف وللغة.

وأيضًا الأوصاف التي وردت ترد قولهم، هل يقال في الثواب: موصوف بالجلال والإكرام؟ وحجابه النور وأحرق سبحاته ما انتهى إليه بصره؟ كل هذا لا يوصف به الثواب.

وإضافة الصفة كالوجه واليد لذاته تعالى ووصفها بأصاف يدل على أنه صفة حقيقية.

وأيضًا الاستعاذة بالصفة دلالة أنها غير مخلوقة، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، (خ ٤٦٢٨). ولكن أهل البدع لا يفقهون، وقد كان قدماء الأشاعرة والكلابية لا ينكرون الصفات الخبرية، حتى جاء المذهب الباقلاني والجويني فأنكروها، ولا يزال باب الضلال في اتساع وتناقض.

[صفة اليدين لله تعالى]

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٥٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾).

والصفات الخبرية الواردة في الكتاب والسنة سبع: الوجه، والعينان، واليدان، والأصابع، والقدم، والساق، والحَقو . هذه سبع صفات وردت في الأدلة الصحيحة.

وصفة اليدين صفة كمال لله عز وجل، لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وَرَدَ لَفْظُ الْيَدِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ مَوْضِعٍ وُرُودًا مُتَنَوِّعًا مُتَصَرَّفًا فِيهِ مَقْرُونًا بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا يَدٌ حَقِيقَةً مِنَ الْإِمْسَاكِ وَالطَّيِّ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالحَثَيَاتِ وَالنَّضْحِ بِالْيَدِ، وَالخَلْقِ بِالْيَدَيْنِ وَكَتْبِ التَّوْرَاةِ بِيَدِهِ وَغَرْسِ جَنَّةِ عَدْنٍ بِيَدِهِ ...الخ .

قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. فلله عز وجل يدان وأجمع السلف على ذلك. والله عز وجل خص آدم بالخلق بيديه الكريمتين وبهذا شرُف آدم عليه السلام، لو كان آدم خُلق بقول ربنا جل وعلا: (كُنْ)، فما هي الميزة التي لآدم في هذه الآية وأمثالها؟ فكل الخلق خلقوا بقوله تعالى: (كُنْ)، وإنما لآدم ميزة زائدة وهي أنه مخلوق بيد الله عز وجل.

ولا يصح تفسيرها بيديه: بأمري؛ لأن اليد لا تكون بمعنى الأمر. ولا يصح تفسيرها بالنعمة، بيدي بنعمتي. فإن النعمة لا تـخلُق، إنما الخالق الله جل وعلا.

وأهل المجاز من المعطلة متناقضون، يقولون: إن كثرة الأوصاف تنفي المجاز. ثم مع هذا يغالطون ويمكرون ويحتالون فيقولون: "إن اليد ليست حقيقة، وإنما المقصود بها النعمة".

وهذه القاعدة التي يقررونها يبطلونها مثل قاعدة الآحاد والمتواتر. قالوا: "إن الصفات لا تثبت إلا بالمتواتر". ثم لما جاءت أحاديث متواترة في إثبات الصفات قالوا: إنما هي متواترة

سندًا، - أي: كثرة طرق - وأما دلالة اللفظ فليست قطعية.

ثم تطور الأمر بهم فقالوا: دلالة ألفاظ القرآن غير قطعية. وهكذا في المجاز فإنهم يثبتون للمجاز قواعد فإذا جاءوا إلى الصفات نقضوها. فحقيقة قولهم هو تعطيل الصفات. لكن الأشاعرة أكثر احتيالًا من المعتزلة. فمذهب المعتزلة بعد القرن الرابع كاد أن يموت أو مات، ولم يبق إلا أفراد، وكانت الأمة تنظر إلى المعتزلة على أنهم أشرار. فجاء ابن كلاب والأشاعرة فجعلوا يتأولون ويحرفون الصفات فأغووا خلقًا كثيرًا.



[صفة العينين لله تعالى]

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾، ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾) إثبات صفة العينين لله عز وجل كما يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تعطيل، وأما قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ونحوها فالجمع أحيانًا يطلق على الاثنين. و﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ عين مفرد، لكنه مضاف، فهو عام، ومما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليس بأعور » فالله عز وجل له عينان لأن الأعور هو فاقد إحدى العينين قال عثمان الدارمي: الأعور ضد البصير بالعينين.

وأما المعتزلة فعطلوا الصفات كما تقدم.

وأما الأشاعرة والماتريدية ونحوهم فحرفوا معناها وقالوا: العين الرعاية والحفظ.

ويقال لهم فهل تثبتون لله تعالى صفتي الرعاية والحفظ!!

وهم مع هذا خالفوا ظاهر القرآن والسنة وإجماع السلف، وخالفوا ما قرره قدماء فكرِهم من إثبات الصفات الخبرية، وفي نفي صفة العينين وصف الله تعالى بالنقص، ويرد عليهم بحديث عَبْدِ الله بن عمر رضي الله عنه، قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ» (خ ٧٤٠٧)، وأشار لتقريب المعنى لا التمثيل.



[تجدد أحاد صفات السمع والبصر والرؤية والعلم ونحوها]

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المُجَادَلَةِ: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٨١]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٨٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طَهَ: ٤٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ [الْعَلَقِ: ١٤]، ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٢١٨ - ٢٢٠]، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التَّوْبَةِ: ١٠٥].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصفات كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

الثانية: تجدد آحاد الصفات كمال فوق كمال.

الثالثة: السمع والبصر صفات ذاتية أولية (أزلية).

الرابعة: السمع والبصر ونحوه تتعلق بالموجودات، لا بالمعدومات.

الخامسة: نفي الصفات أو تحريف معناها سِمة المشركين وورثيهم.

السادسة: من أعمل التوهم جنى تحريف الصفات.

السابعة: إثبات تجدد آحاد الصفات لا ينفي الكمال الأزلي.

....

السمع هو إدراك المسموعات، والبصر رؤية المبصرات، وهما صفات ذاتية، والسمع والبصر ونحوه تتعلق بالموجودات، لا بالمعدومات، بمعنى أن الله تعالى يرى بعد أن يخلق، ويسمع الصوت حين يوجد، وهو مع ذلك يعلم كل شيء، ما كان وما سيكون، فيكون من باب

الكمال بعد الكمال، وهذا ظاهر القرآن الكريم والسنة، وكلام السلف.

فمن الكتاب الآيات التي ذكرها المصنف، وقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾، ونحوها، لنعلم: علم مشاهدة مع العلم السابق.

ومن السنة قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ) متفق عليه.

قال شيخ الإسلام حول هذه الآيات: وعامة من يستشكل الآيات الواردة في هذا المعنى، كقوله: (إِلَّا لِنَعْلَمَ) و (حَتَّى نَعْلَمَ)، يتوهم أن هذا ينفي علمه السابق بأن سيكون، وهذا جهل؛ فإن القرآن قد أخبر بأنه يعلم ما سيكون في غير موضع، بل أبلغ من ذلك أنه قدر مقادير الخلائق كلها وكتب ذلك قبل أن يخلقها، فقد علم ما سيخلقه علمًا مفصلًا وكتب ذلك وأخبر بما أخبر به من ذلك قبل أن يكون، وقد أخبر بعلمه المتقدم على وجوده ثم لما خلقه علمه كائنًا مع علمه الذي تقدم أنه سيكون، فهذا هو الكمال، وبذلك جاء القرآن في غير موضع، بل وبإثبات رؤية الرب له بعد وجوده كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ فأخبر أنه سيرى أعمالهم.

وقد دل الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة ودلائل العقل على أنه سميع بصير، والسمع والبصر لا يتعلق بالمعدوم فإذا خلق الأشياء رآها سبحانه، وإذا دعاه عباده سمع دعاءهم وسمع نجواهم، كما قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أي: تشتكي إليه وهو يسمع التحاور والتحاور تراجع الكلام بينها وبين الرسول ﷺ.أ.هـ (١/ ٤٦٤) من الفتاوى.

وقال: و الْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّهُ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ إذَا خَلَقَ الْمَخْلُوقَاتِ رَآهَا وَسَمِعَ أَصْوَاتَ عِبَادِهِ وَكَانَ ذَلِكَ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ؛ إذْ كَانَ خَلْقُهُ لَهُمْ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَبِذَلِكَ صَارُوا يُرَوْنَ وَيُسْمَعُ كَلَامُهُمْ وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ أَنَّهُ يَخُصُّ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ كَقَوْلِهِ: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: مَلِكٌ كَذَّابٌ وَشَيْخٌ زَانٍ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ) وَكَذَلِكَ فِي الِاسْتِمَاعِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾أَيْ اسْتَمَعَتْ. وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ كَإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ) فَهَذَا تَخْصِيصٌ بِالْإِذْنِ وَهُوَ الِاسْتِمَاعُ لِبَعْضِ الْأَصْوَاتِ دُونَ بَعْضٍ. وَكَذَلِكَ (سَمِعَ) الْإِجَابَةَ كَقَوْلِهِ: (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ) وَقَوْلِ الْخَلِيلِ: ﴿إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ وَقَوْلِهِ: ﴿إنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يقتضي التَّخْصِيصَ بِهَذَا السَّمْعِ فَهَذَا التَّخْصِيصُ ثَابِتٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهُوَ تَخْصِيصٌ بِمَعْنَى يَقُومُ بِذَاتِهِ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ - كَمَا تَقَدَّمَ - وَعِنْدَ النُّفَاةِ هُوَ تَخْصِيصٌ بِأَمْرِ مَخْلُوقٍ مُنْفَصِلٍ لَا بِمَعْنَى يَقُومُ بِذَاتِهِ. وَتَخْصِيصُ مَنْ يُحِبُّ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ الْمَذْكُورِ يَقْتَضِي أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مُنْتَفٍ عَنْ غَيْرِهِمْ. لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ هَلْ يُقَالُ: إنَّ نَفْسَ الرُّؤْيَةِ وَالسَّمْعِ الَّذِي هُوَ مُطْلَقُ الْإِدْرَاكِ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ فَلَا يُمْكِنُ وُجُودُ مَسْمُوعٍ وَمَرْئِيٍّ إلَّا وَقَدْ تَعَلَّقَ بِهِ كَالْعِلْمِ؟ أَوْ يُقَالُ: إنَّهُ أَيْضًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَيُمْكِنُهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ إلَى بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ؟ هَذَا فِيهِ قَوْلَانِ: وَالْأَوَّلُ قَوْلُ مَنْ لَا يَجْعَلُ ذَلِكَ مُتَعَلِّقًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ يَجْعَلُونَهُ مُتَعَلِّقًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَقَدْ يَقُولُونَ: مَتَى وُجِدَ الْمَرْئِيُّ وَالْمَسْمُوعُ وَجَبَ تَعَلُّقُ الْإِدْرَاكِ بِهِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ جِنْسَ السَّمْعِ وَالرُّؤْيَةِ يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَيُمْكِنُ أَنْ لَا يَنْظُرَ إلَى شَيْءٍ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ وَهَذَا هُوَ الْمَأْثُورُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ السَّلَفِ. (الفتاوى ١٣/ ١٣٣).

قال:(﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾). سمعها حين تكلمت واشتكت.

(﴿لقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾) النجوى: الكلام المنخفض الذي يكون بين اثنين أو جماعة. الله عز وجل يسمع حتى أدنى الأصوات، يسمع صوت حركة النمل على ظهر الصخر الأصم في الليل المظلم، والشاهد: أن السمع إدراك المسموعات حين تحدث.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، وَقَوْلُهُ:﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾، ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾) والرؤية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف، فيسمع ما تقولون وما يرد به عليكم ويراكم حين تذهبون وفي كل وقت وحين.

والمعتزلة تعطل هذه الصفة. تقول: سمعه مخلوق. وبعضهم يقول: سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر. وهذا في الحقيقة من جهة تناقض، ومن جهة تعطيل للصفات. ومذهب المعتزلة كاد أن يموت وتحاول الرافضة والإباضية أن يحيوا بعض هذه المذاهب الباطلة.

وأما الأشاعرة فإنهم يثبتون السمع والبصر ضمن الصفات السبع، لكن لهم تفسيرات حقيقتها المخالفة لإثبات هذه الصفات، كما تقدم. ويقولون إن الصفات أزلية لا تتجدد، فينكرون تجدد صفة العلم والسمع والبصر، وينكرون تعلقها بالموجودات بعد حدوثها كما تقدم.

****

[القول في صفات المكر والكيد ونحوها]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرَّعْدِ: ١٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ واللهُ خيرُ المَاكرين﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ [النَّمْلِ: ٥٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطَّارِقِ: ١٥ - ١٦].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصفات كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

الثانية: صفات المكر ونحوها لا تثبت لله تعالى إلا على جهة الكمال.

الثالثة: صفات المكر ونحوها فعلية تتعلق بالمشيئة.

الرابعة: إذا كان معنى الصفة كمال من وجه ونقص من وجه أثبتناها لله تعالى في حال الكمال فقط.

الخامسة: نفي الصفات أو تحريف معناها ضلال.

السادسة: من أعمل التوهم جنى تحريف الصفات.

السابعة: باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

الثامنة: الأسماء الحسنى لا تشتق من الصفات الفعلية.

....

انتقل المؤلف رحمه الله تعالى وأعلى درجته من الصفات المطلقة إلى الصفات التي تذكر على سبيل مخصوص كما دلت عليه الآيات.

أولًا نقول: باب الصفات أوسع من باب الأسماء، لأن الصفات تشتق من الأسماء، وهناك صفات لا تشتق من الأسماء بل ثبت فيها دليل آخر كالمحبة والمجيء والنزول والاستواء وما أشبه ذلك.

ثم القاعدة الثانية: صفات الله عز وجل نوعان: صفات مطلقة وهو الأصل والأكثر، ومنها الصفات الخبرية. ومنها صفة العلم والبصر وما أشبه ذلك من الصفات، ومنها المجيء والنزول وما أشبه ذلك من الصفات الفعلية.

صفات لا تطلق على الله عز وجل إلا في كمال المعنى، لأنها تكون كمالًا في حال، ونقصًا في حال أخرى، فإذا كانت كمالًا صح إطلاقها على الله تعالى، وإذا كانت نقصًا لم يصح.

ومنها صفة المكر، والكيد، والاستهزاء، والملل، والمماحلة، ونحوها.

فاحتمال هذه الصفات للنقص إنما هو في حق المخلوق لأنه يفعلها بالحق والباطل، وأما الله تعالى فاتصافه بها كمال، لأنه لا يفعلها إلا بالحق.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾) أي: شديد الأخذ بالعقوبة. والمعنى من احتال ومكر فإن الله تعالى يمكر به بما يكون عقوبة له، ولهذا أدخلت في هذه الموضع.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا ومَكَرَ اللهُ واللهُ خيْرُ المَاكرين﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾) المكر هو الاستدراج بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالخصم.

و«الجزاء من جنس العمل».

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾) الكيد: قريب من معنى المكر. فمن كاد للآخرين بغير حق فهو مذموم، ومن رد الكيد فهو ممدوح. إذًا فهذه الصفات تطلق على الله عز وجل في مكره بأعدائه. فيقال الله جل وعلا يمكر بمن يمكر به، أو بمن يمكر بأوليائه وعباده. وهكذا يكيد لمن يكيد به أو يكيد بعباده.

ولا نشتق منها أسماء. فلا نقول: "الماكر"، ولا نقول: "المخادع"، ولا "الكائد". لأن الأسماء الحسنى كمال من كل الوجوه، لفظًا ومعنى. وهذه الصفات إنما تكون كمالًا في حال دون حال، فلا يشتق منها أسماء.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَصِفْ نَفْسَهُ بِالْكَيْدِ وَالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ

إِلَّا عَلَى وَجْهِ الجَزَاءِ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ المُجَازَاةَ عَلَى ذَلِكَ حَسَنَةٌ مِنَ المَخْلُوقِ، فَكَيْفَ مِنَ الخَالِقِ سُبْحَانَهُ، (مختصر الصواعق ١/ ٣٠٧).

وقال: فهذا منه سبحانه في أعلى مراتب الحسن، وإن كان من العبد قبيحاً سيئاً، لأنه ظالم فيه، وموقعه بمن لا يستحقه، والرب تعالى عادل فيه، موقعه بأهله ومن يستحقه، سواء قيل: إنه مجاز للمشاكلة الصورية، أو للمقابلة، ... (إغاثة اللهفان ١/ ١٤٤).

وقال: فَلَمَّا كَانَ غَالِبُ اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ فِي الْمَعَانِي الْمَذْمُومَةِ ظَنَّ الْمُعَطِّلُونَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ حَقِيقَتُهَا، فَإِذَا أُطْلِقَتْ لِغَيْرِ الذَّمِّ كَانَ مَجَازًا، وَالحَقُّ خِلَافُ هَذَا الظَّنِّ، وَأَنَّهَا مُنْقَسِمَةٌ إِلَى مَحْمُودٍ وَمَذْمُومٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا مُتَضَمِّنًا لِلْكَذِبِ وَالظُّلْمِ فَهُوَ مَذْمُومٌ؟ وَمَا كَانَ مِنْهَا بِحَقٍّ وَعَدْلٍ وَمُجَازَاةٍ عَلَى الْقَبِيحِ فَهُوَ حَسَنٌ مَحْمُودٌ، فَإِنَّ الْمُخَادِعَ إِذَا خَادَعَ بِبَاطِلٍ وَظُلْمٍ، حَسُنَ مِنَ الْمُجَازِي لَهُ أَنْ يَخْدَعَهُ بِحَقٍّ وَعَدْلٍ، وَذَلِكَ إِذَا مَكَرَ وَاسْتَهْزَأَ ظَالِمًا مُتَعَدِّيًا كَانَ الْمَكْرُ بِهِ وَالِاسْتِهْزَاءُ عَدْلًا حَسَنًا، كَمَا فَعَلَهُ الصَّحَابَةُ بِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَابْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ وَأَبِي رَافِعٍ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ كَانَ يُعَادِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَادَعُوهُ حَتَّى كَفُّوا شَرَّهُ وَأَذَاهُ بِالْقَتْلِ، وَكَانَ هَذَا الْخِدَاعُ وَالْمَكْرُ نُصْرَةً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ... (الصواعق ١/ ٣٠٤).

وقال الشيخ يوسف الغفيص وفقه الله تعالى: وفيما يظهر أن قولهم: (إن هذا على سبيل المقابلة) ليس فاضلاً؛ لأنه يوحي بقدرٍ من التضييق لمعنى الصفة...، ولأنه يفهم منه أن هذا الصفة لا تقع إلا بعد وقوعها منهم، وهذا ليس بلازم، ومن قال هذا فقد تكلف ذكر ما لم تذكره النصوص ولا تقتضيه أصول الكمال الذي يتصف الرب به، والفاضل في مثل هذه الصفات: أن تذكر ويذكر سياق الآية معها، فيقال مثلاً: ومن صفاته أنه يمكر بالكافرين، ...أ،هـ من شرحه للواسطية.

****

[صفة العفو والقدرة والمغفرة والعزة والجلال لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النِّسَاءِ: ١٤٩]، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النُّورِ: ٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الْمُنَافِقُونَ: ٨]، وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصفات كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

الثانية: نفي الصفات أو تحريف معناها ضلال.

الثالثة: باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

الرابعة: صفات الله تعالى كلما كثرت وتنوعت ظهر من كمال الموصوف ما هو أعظم.

الخامسة: اجتماع الأسماء الحسنى أو الصفات يدل على كمال زائد عما دلت عليه بمفردها.

....

ومن صفات الله تعالى العفو والمغفرة والرحمة وقد تقدمت والعزة والقدرة والجلال والإكرام، كما دلت عليه الآيات، والقول فيها كالقول فيما تقدم من الصفات الذاتية.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾) العفو: عدم المؤاخذة على الذنب، وعفوًّا أي: كثير العفو، وقديرًا عظيم القدرة، والعفو مع القدرة أبلغ، فلا يخرج عن قدرة الله عز وجل شيء. والمغفرة، هي: محو الذنب مع الستر.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾) إثبات صفة العزة لله عز وجل، وهي: القدرة وعلو الشأن، وتأتي بمعنى القهر.

فالله عز وجل له هذه الصفات كلها. فله عزة الذات والامتناع فلا أحد يقدر على أن يضر الله عز وجل بشيء، وهذه تسمى عزة الامتناع، وله عزة الصفات والكمال بمعنى أن الله عز وجل موصوف بالكمال، وصفة العزة صفة كمال من كل الوجوه، وكثيرًا ما تقرن العزة ببعض صفات أو أسماء الله عز وجل كالحكمة؛ لأن بعض الخلق إذا عز ظلم وبطش ولم يراع الحق من الباطل، خلاف عزة الله عز وجل فهو عزيز قوي حكيم عدل في أفعاله.

واجتماع الأسماء الحسنى أو الصفات في موضع واحد يدل على كمال زائد عما دلت عليه بمفردها.



[إثبات الاسم لله تعالى ونفي الند والمثيل]

وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٧٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإِخْلاَصِ: ٤]، ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لله أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَنَدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله﴾ [البَقَرَةِ: ١٦٥].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: أسماء الله تعالى الحسنى كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

الثانية: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف.

الثالثة: باب الصفات أوسع من باب الأسماء.

الرابعة: أسماء الله تعالى غير مخلوقة.

الخامسة: اجتماع الأسماء الحسنى يدل على كمال فوق ما دلت عليه بمفردها.

السادسة: ليس لله تعالى مثيل في أسمائه وصفاته وأفعاله.

السابعة: من عرف معاني الأسماء الحسنى وعمل بها كان أكثر توحيداً.

الثامنة: نفي الشريك والمثيل عن الله تعالى من لوازم الإيمان بربوبيته.

التاسعة: أصل الشرك تسوية غير الله تعالى بالله سبحانه في شيء من خصائصه.

....

اشتملت الآيات على أمرين: الأول: إثبات أسماء الله سبحانه وتعالى. والأمر الثاني: نفي الند والمماثل عن الله عز وجل. وفيهما رد على المعطلة والممثلة والمحرفة ونحوهم.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾) فيها إثبات الاسم لله سبحانه وتعالى. وتبارك بمعنى: تعاظم وعلا قدره وذاته، ولا يقال تبارك إلا لله عز وجل. وأما في حق المخلوق فيقال: بارك الله، وأما تبارك بمعنى تعاظم وتقدس وعلا، فهذه تكون في حق الله وحده.

وأسماء الله عز وجل كمال من جميع الوجوه. هذه إحدى القواعد التي ذكرها ابن القيم وشرحها ابن عثيمين في القواعد المثلى، وأسماء الله سبحانه وتعالى غير مخلوقة لأنها أسماء للخالق سبحانه، وهو سمى نفسه بها قبل إيجاد الخلق، وأسماؤه أسماء لذاته سبحانه.

وكما أن ذاته عز وجل أولية لا أول لها، كذلك أسماؤه، فالكلام في الأسماء كالكلام في الصفات إلا ما خصه الدليل، وأسماء الله عز وجل يشتق منها صفات. وهذا هو المراد في قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ حسنى في لفظها، وحسنى في معناها، أي فيما اشتملت عليه من الصفات، ومن قال: أسماء الله عز وجل لا يشتق منها صفات. فقد وصفها بالنقص، وشر منه من قال: أسماء الله عز وجل مخلوقة. فهذا باطل يلزم منه لوازم خطيرة. فأسماء الله عز وجل من كلامه سبحانه، وكلامه عز وجل ليس بمخلوق.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾) بمعنى: لن تعلم له مثيلًا، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله. (﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾) يعني: ليس لله تعالى مكافئ ولا ند ولا مماثل، فهو الخالق وحده، وما عداه مخلوق.

(﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾) الند: المساوي ونحوه، فنهى عن اعتقاد ذلك، أو اتخاذ شركاء في العبادة أو في الربوبية، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، تعلمون أن الله عز وجل لا مثيل له. وليس من شرط التنديد والشرك أن يكون عامًا، بل من جعل للمخلوق شيئًا من خصائص الخالق فقد أشرك؛ ولو كان في أمر واحد كالمحبة، ومثال الذبح: من ذبح للمخلوق ولو كان موحدًا في جميع أموره فقد أشرك بالله تعالى، فصرفُ هذه العبادة التي هي حق الله تعالى لغيره فهو شرك وتنديد.

فننفي عن الله عز وجل الشريك والمثيل والند جملة وتفصيلًا.

****

[نفي الشريك عن الله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإِسْرَاءِ: ١١١]، ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التَّغَابُنِ: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ١، ٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ٩١،٩٢]، ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحْلِ: ٧٤]، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأَعْرَافِ: ٣٣].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: التوحيد إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

الثانية: الشرك اعتقاد الند لله تعالى في ربوبيته أو إلهيته أو أسمائه وصفاته.

الثالثة: لا يصح التوحيد إلا بنفي الشريك والبراءة من الشرك.

الرابعة: ننفي عن الله تعالى النقائص ونثبت له الكمال.

الخامسة: ننزه الله تعالى عن الوالد والولد لكمال ربوبيته.

السادسة: أصل الشرك والتعطيل ضرب الأمثال بالقياس بين الخالق والمخلوق.

السابعة : القول على الله تعالى بلا علم صحيح أصل كل شر وشرك .

الثامنة : نفي الشريك والمثيل عن الله تعالى من لوازم الإيمان بربوبيته .

التاسعة : من كمال ربوبيته تعالى اتصافه بصفات الكمال كالعلم والخلق والملك وغيرها .

العاشرة : نفي الصفات قدح في الربوبية.

....

هذه الآيات في نفي الشريك عن الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وصفاته، فالشرك هو تسوية غير الله بالله تعالى فيما هو من خصائص الله تعالى من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، كما قال المشركون: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ذكر ابن القيم هذا فقال: وهو القياس الذي اعترف أهل النار في النار ببطلانه حيث قالوا: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وذم الله أهله بقوله: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١] أي يقيسونه على غيره ويسوون بينه وبين غيره في الإلهية والعبودية، وكل بدعة ومقالة فاسدة في أديان الرسل فأصلها من القياس الفاسد، فما أنكرت الجهمية صفات الرب وأفعاله وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه وكلامه وتكليمه لعباده ورؤيته في الدار الآخرة إلا من القياس الفاسد، وما أنكرت القدرية عموم قدرته ومشيئته وجعلت في ملكه ما لا يشاء وأنه يشاء ما لا يكون إلا بالقياس الفاسد، وما ضلت الرافضة وعادوا خيارَ الخلق وكفروا أصحاب محمد ﷺ وسبوهم إلا بالقياس الفاسد، وما أنكرت الزنادقة والدهرية معاد الأجسام وانشقاق السماوات وطي الدنيا وقالت بقدم العالم إلا بالقياس الفاسد، وما فسد ما فسد من أمر العالم وخرب ما خرب منه إلا بالقياس الفاسد، وأول ذنب عصي الله به القياس الفاسد، وهو الذي جر على آدم وذريته من صاحب هذا القياس ما جر، فأصل شر الدنيا والآخرة جميعه من هذا القياس الفاسد، وهذه الحكمة لا يدريها إلا من له اطلاع على الواجب والواقع وله فقه في الشرع والقدر. أ.هـ

(إعلام الموقعين ٢/ ٧).

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ الحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾، ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾) فالآية الأولى نفي للشريك في الربوبية. وفي الآية الثانية أن كل من على الأرض وكل المخلوقات تنزه الله عز وجل أن يوجد له مثيل أو شريك لكماله وعظمته إلا عصاة الجن والإنس.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾) وفي الآية الأولى، تبارك: أي تعاظم وتعالى سبحانه. ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذه من صفات الربوبية. ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ نفي الولد عن الله عز وجل لكماله، إنما يحتاج الولد من عنده نقص أو ضعف أو حاجة، أما الله عز وجل فلا يحتاج إلى أحد، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ نفي لأن يكون هناك شريك في الربوبية. فالملك والخلق من صفات الربوبية.

والآية الثانية: رد على النصارى فإن نسبة الولد لله عز وجل شرك في الربوبية، فالله تعالى منزه عن الولد لكماله. ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ ليس هناك مماثل ولا شريك لله عز وجل، لأنه المتفرد. لو فرض أن هناك ربًّا يخلق غير الله عز وجل لكان كل خالق يحكم ما خلق، ولم يكن هذا العالم بأكمله تحت حكم الله عز وجل. ثم نزه نفسه تعالى عن شركهم وضلالهم.

قال: (﴿فَلاَ تَضْرِبُوا للهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾) أصل الشرك قياس الخالق والمخلوق، وأصل التعطيل والتمثيل قياس الخالق على المخلوق أو العكس.

(﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾) هذه الآية فيها أن الله عز وجل نهى

عن الشرك بجميع أنواعه، ونهى عن القول عليه بلا علم، فأصل الشركيات والبدع والضلالات القول على الله بلا علم. من أين جاء التعطيل؟ ونفي الصفات؟ وإحداث الحزبيات؟ كل بدعة وضلالة وشرك يرجع إلى القول على الله عز وجل بلا علم. ولذلك كان من أعظم الذنوب كما ذكر ابن القيم قال: فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثـمًا، فإنه يتضمن الكذب على الله، ونسبته إلى ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبته وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حققه، وعداوة من والاه وموالاة من عاداه، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله.

(المدارج ١/ ٣٧٨).



[صفة الاستواء لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ:

فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ [٥٤] قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ: [٤٠]: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وقال فِي سُورَةِ الرَّعْدِ [٢]: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ طَهَ [٥]: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ [٥٩]: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ الم السَّجْدَةِ [٤]: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ الحَدِيدِ [٤]: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصفات الفعلية كلها كمال لا نقص فيها.

الثانية: ثبوت صفة الاستواء لله تعالى ومعناه: ارتفع وعلا.

الثالثة: لا يصح التوحيد إلا بإثبات الصفات الفعلية.

الرابعة: الصفات الفعلية متعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته.

الخامسة: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

السادسة: لصفات الله تعالى كيفية يعلمها تعالى دون خلقه.

السابعة: من نفى صفة الاستواء ونحوها فهو معطل.

....

هذه الآيات فيها إثبات صفة فعلية لله عز وجل وهي الاستواء. والاستواء معناه في لغة العرب: استوى ارتفع وعلا، ولهذا كان السلف يقولون الاستواء معلوم والكيف مجهول، فيثبتون العلم بالاستواء وهو التأويل الذي بمعنى التفسير وهو معرفة المراد بالكلام حتى يتدبر ويعقل ويفقه ويقولون الكيف مجهول وهو التأويل الذي انفرد الله بعلمه وهو الحقيقة التي لا يعلمها إلا هو. أ.هـ (درئ التعارض ٥/ ٣٤٢).

فالاستواء علو خاص، أي خاص بالعرش، والله عز وجل قبل أن يستوي على العرش كان عاليًا فوق العرش وفوق جميع المخلوقات، وتكرر هذا في سبعة مواضع من القرآن الكريم، فهو يدل على التأكيد والحقيقة.

وقد تأول أهل البدع الاستواء بتأويلات، منها أن معنى استوى: قصد. استوى على العرش يعني قصد إلى العرش بمعنى خلق العرش مثلًا أو ما أشبه ذلك. وهذا باطل، لماذا؟ لأن الاستواء إذا قرن بـ "على" دل على العلو والارتفاع. وإذا قرن بـ "إلى" دل على القصد: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: قصد فسوهن.

وقالت المعتزلة: استوى بمعنى استولى، وجاءت الأشاعرة وأخذوا هذا القول من المعتزلة ونصروه، والأشاعرة بنت المعتزلة من الرضاعة الكلامية السامة، والمعتزلة وليدة الجهمية، والجهمية وليدة الفلاسفة الملاحدة. وهذا القول أن الاستواء بمعنى الاستيلاء باطل شرعًا ولغة وعقلًا وفطرة. فالله عز وجل له ملك السماوات والأرض، فلا يقال استولى، فلمن كان العرش حتى استولى عليه؟ في ملك من؟ ففي هذا القول لوازم باطلة. كأن العرش كان في ملك غيره ثم استولى عليه. وليس لقولهم شواهد في اللغة العربية، والعقل والفطرة تأباه.

خالفوا ظاهر القرآن والسنة وخالفوا فهم السلف وإجماعهم وخالفوا اللغه العربية وخالفوا العقل، وبعد هذا كله أخذوا بشِعر النصارى وجعلوها دليلًا، قاتلهم الله تعالى.

[صفة العلو لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿يا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النِّسَاءِ: ١٥٨]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فَاطِرٍ: ١٠]، ﴿يا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غَافِرٍ: ٣٦، ٣٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [المُلْكِ: ١٦ – ١٧].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصفات الذاتية كلها كمال لا نقص فيها.

الثانية: ثبوت صفة العلو لله تعالى أزلًا وأبدًا.

الثالثة: لا يصح التوحيد إلا بإثبات الصفات الذاتية.

الرابعة: الصفات الذاتية غير متعلقة بمشيئة الله تعالى.

الخامسة: نفي العلو باب من أبواب الزندقة والحلول ونحوه.

السادسة: لصفات الله تعالى كيفية يعلمها تعالى دون خلقه.

السابعة: من نفى صفة العلو ونحوها فهو معطل.

....

هذه الآيات في إثبات علو الله سبحانه وتعالى وصفة العلو من الصفات الذاتية، وصفة العلو صفة أزلية الله عزّ وجل منذ الأزل وإلى الأبد عالٍ على جميع خلقه.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿يا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٥٥]، ﴿بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾). وردت أدلة العلو في أكثر من ثلاثمائة

دليل، من الكتاب والسنة والعقل والفطرة، ومنها التصريح بالعلو، والتسمي به، ومنها ذكر الرفع إليه، ومنها غير ذلك، وقد أفردت هذه الصفة بمؤلفات مستقلة.

قال: (﴿يا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾) كان فرعون ينكر العلو لله تعالى تبعًا لجحوده للرب تعالى، وقوله هذا إنما أراد به توكيد النفي، فمن نفى علو الله تعالى فهو فرعوني.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾) السماء: مطلق العلو، والله تعالى لا أعلى منه. ومن السنة فقول النبي صلى الله عليه وسلم للجارية أين الله؟ قالت في السماء. تعني في العلو، ولما قال: (اللهم اشهد) يشير إلى السماء ولما دعا رفع يديه إلى السماء فأثبت العلو بالقول والفعل. والعقل يدل على أن العلو أكمل من السفول ومن الأماكن المخلوقة، والفطرة تدل بضرورتها أن الله تعالى في العلو. وعندنا من الأدلة: حديث الإسراء والمعراج وغيره.



[القول في معية الله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ: ٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المُجَادَلَةِ: ٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ [التَّوْبَةِ: ٤٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طَهَ: ٤٦]، ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النَّحْلِ: ١٢٨]، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأَنْفَالِ: ٤٦]، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصفات الذاتية كلها كمال لا نقص فيها.

الثانية: ثبوت صفة المعية لله تعالى من ثبوت الكمال له.

الثالثة: المعية العامة في اللغة والشرع تكون بالعلم ونحوه.

الرابعة: المعية الخاصة تكون بمعنى العون والنصرة.

الخامسة: نفي العلو باب من أبواب الزندقة والحلول ونحوه.

السادسة: من فسر المعية بالاختلاط فهو جهمي أو صوفي غالٍ.

السابعة: صفات الله تعالى تتفق ولا يناقض بعضها بعضًا.

الثامنة: لا يتحقق التوحيد إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم السلف.

التاسعة: العلم الصحيح يورث الإيمان الصحيح بالله تعالى وبأسمائه وصفاته.

العاشرة: سلامة المعتقد صلاح للقلب واستقامة للعمل.

....

هذه الآيات في إثبات معية الله سبحانه وتعالى لخلقه. والمعية نوعان:

١. معية عامة لجميع الخلق بعلمه وسمعه وبصره وقدرته وقهره.. يعلم كل شيء، ويعلم ما يقول جميع الخلق، يعلم حركاتهم وسكناتهم، وما في قلوبهم، وما يظهرون وما يبطنون. فهو معهم على كل حال، فهو معهم بعلمه على كل حال. وهذا ما دلت عليه آية الحديد والمجادلة.

٢. معية خاصة. بمعنى: الإعانة والنصر والتسديد والحفظ كما دلت عليه آية التوبة وما بعدها. فالمعية بنوعيها تُثبَت بالكتاب والسنة والإجماع والفطرة والعقل. ومعية الله عز وجل لا تقتضي أنه مختلط بالخلق، لأن الشرع والعقل ينزه الله عز وجل أن يختلط بخلقه، والله تعالى لا يحتاج إلى خلقه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ولفظ (مع) جاءت في القرآن عامة وخاصة، فالعامة في هذه الآية (يقصد آية الحديد) وفي آية المجادلة فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حبل: هو معهم بعلمه.

وأما "المعية الخاصة" ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ وقوله تعالى لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه. فهو مع موسى وهارون دون فرعون، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين.

وقال الأشعري في قال في "رسالة إلى أهل الثغر" : ... وأنه يعلم السر وأخفى من السر، ولا يغيب عنه شيء في السموات والأرض حتى كأنه حاضر مع كل شيء، وقد دل الله عز وجل

على ذلك في قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ وفسَّر ذلك أهل العلم بالتأويل أن علمه محيط بهم حيث كانوا. أ.هـ

فخلاصة قول أهل السنة: أن الله فوق سماواته، عالٍ على خلقه، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وصفات الله تعالى يصدق بعضها بعضًا ولا تناقض، ولا يتحقق التوحيد إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم السلف، فإنه العلم الصحيح الذي يورث الإيمان الصحيح بالله وبأسمائه وصفاته، وسلامة المعتقد صلاح للقلب واستقامة للعمل.

وقد ضل في هذا طوائف المعطلة الذين ينفون الصفات، وضل في هذا أيضًا غالب الصوفية وحلولية الجهمية وبعض الأشاعرة الذين يقولون: إن الله تعالى معنا بذاته وليس على العرش، ومنهم من يقول: إن الله بذاته فوق العرش وهو بذاته في كل مكان. ولهم مقاصد خبيثة وكبيرة، خلاصتها أنهم يريدون هدم عقائد الإسلام. ولهذا قال غير واحد من السلف: من قال: إن الله ليس في السماء أو مخالط لخلقه فهو كافر. وكثير من السلف يكفرون المعتزلة والجهمية، أما الجهمية فبالإجماع. والمعتزلة هم الذين حكى اللالكائي كفرهم عن خمسمائة من العلماء، وهم الذين كانوا في عهد المأمون، وكانت الفتنة فتنة المعتزلة.

ومن علمائنا المعاصرين الشيخ ابن باز يقول إن المعتزلة كفار، وعلى كلٍّ فمسألة تكفير المعتزلة والخوارج فيها خلاف. ومن فسر المعية بمعية الذات مخالف للكتاب والسنة واللغة والعقل والفطرة، وقد سبق الكلام على إبطال قولهم في القواعد المثلى، فراجعه.

****

[صفة الكلام لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ [النِّسَاءِ: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ [النِّسَاءِ: ١٢٢]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ﴾ [المَائِدَةِ: ١١٠]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ [الأَنْعَامِ: ١١٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النِّسَاءِ: ١٦٤] ﴿مِنْهُم مَن كَلَّمَ اللهُ﴾ [البَقَرَةِ: ٢٥٣]، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأَعْرَافِ: ١٤٣]، ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مَرْيَمَ: ٥٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١٠]، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأَعْرَافِ: ٢٢]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القَصَصِ: ٦٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَةِ: ٧٥]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفَتْحِ: ١٥]، ﴿وَاتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكَهْفِ: ٢٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النَّمْلِ: ٧٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأَنْعَامِ: ٥٥]، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [الحَشْرِ: ٢١]، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النَّحلِ: ١٠١ - ١٠٣].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصفات الفعلية كلها كمال لا نقص فيها.

الثانية: ثبوت صفة الكلام لله تعالى بحرف وصوت.

الثالثة: صفة الكلام متعلقة بالمشيئة.

الرابعة: الله تعالى أعلم بصفاته من غيره.

الخامسة: نفي صفة الكلام باب من أبواب الكفر.

السادسة: من فسر الكلام بالنفسي فهو معطل.

السابعة: المعطلة مخالفون لجميع الرسل والأنبياء عليهم السلام.

الثامنة: نثبت الصفات وننفي المماثلة.

التاسعة: إضافة الكلام إلى الله تعالى إضافة صفة إلى موصوف.

العاشرة: غالب ضلالات المبتدعة مأخوذة من أمم كافرة.

الحادية عشر: كل آية أضيف فيها القول أو النداء إليه سبحانه هي دليل على إثبات الكلام.

الثانية عشر: كل آية فيها أمر أو نهي ونحوهما هي دليل على إثبات الكلام.

الثالثة عشر: كلام الله تعالى يتفاضل.

الرابعة عشر: كلام الله تعالى الحروف والمعنى.

الخامسة عشر: ظاهر القرآن والسنة هو مراد الله تعالى.

السادسة عشر: من أصول الإيمان بالله تعالى الإيمان بكتبه وكلامه.

السابعة عشر: كل ما ورد في مجيء كلام الله تعالى أو وزنه يوم القيامة فالمراد به الثواب.

الثامنة عشر: اللوح المحفوظ لا يطلع عليه جبريل ولا غيره.

التاسعة عشر: امتحن أهل البدع بصفة الكلام.

العشرون: لا يظهر الباطل إلا على ظهر الشُّبه والتلبيس.

....

قال: (﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ ، ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ﴾) القول والحديث: لفظ مفيد، فهو دليل على أن كلام الله تعالى صوت وكلمات وحروف، وهذا بإجماع أهل العلم واللغة إلا من ضل.

قال: (﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾، وَقَوْلُهُ:﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ﴿مِنْهُمْ مَن كَلَّمَ اللهُ﴾، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾) الكلام إذا أضيف إلى الله تعالى فهو صفته، وهي من الصفات الاختيارية الفعلية المتعلقة بالمشيئة، فالله جل وعلا يتكلم متى شاء ومع من شاء، كما كلم موسى عليه السلام حين جاء لميقاته.

وقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ تأكيد الفعل بالمصدر يدل على أنه كلام حقيقي ليس مجازاً، فأهل المجاز يقولون: إن التوكيد ينفي المجاز، ثم هم مع الأدلة يتناقضون.

قال: (﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾) فالنداء والنجوى كلاهما بصوت مسموع، فكلامه تعالى يسمعه المخاطب كما سمعه موسى ويسمعه من شاء الله تعالى يوم القيامة.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾ [التَّوْبَةِ: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَةِ: ٧٥]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفَتْحِ: ١٥]، ﴿وَاتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾) نسب الكلام إلى عز وجل نسبة صفة إلى موصوفها، وما يُنسب إلى الله عز وجل على قسمين:

(١) إن كانت لا تقوم بذاتها فهي صفات. فإضافتها إلى الله عز وجل إضافة صفة إلى موصوفها مثل: علم الله، كلام الله، وجه الله، يد الله، عين الله، ...

(٢) وإن كان المضاف يقوم بذاته فإنه من باب إضافة المخلوق إلى الخالق مثل: بيت الله، عبد الله، روح الله، فهذه ذات مستقلة ، فيكون من باب إضافة المخلوق إلى الخالق للتشريف أو للتخصيص ونحو ذلك.

وفي الآيات أن كلام الله تعالى هو الوحي الذي نزل به جبريل عليه السلام، وهو المتلو الذي سمعه الناس من رسول الله ﷺ، وهو المكتوب في المصاحف، والمحفوظ في الصدور.

وكلام الله عزّ وجل صفة فعلية فمن أثبت هذه الصفة سيثبت جميع الصفات لأن الخلاف الأكبر بين أهل السنة وبين الطوائف في الصفات الفعلية، والجهم بن صفوان - كما قال بعض أهل العلم: رؤساء أهل البدع دهاة - نظر إلى أصل الصفات ووجد أنها تُثبت بالوحي، والوحي إنما هو كلام الله تعالى، فعمد الجهم إلى صفة الكلام فعطلها فإذا عُطلت صفة الكلام عُطلت سائر الصفات، فيقال كلام الله مخلوق وجميع الصفات الفعلية مخلوقة لأنها كالكلام باب واحد، ثم الصفات الذاتية كذلك.

ومذهب المعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والرافضة ونحوهم أن كلام الله تعالى مخلوق، ولهم شبه كثيرة، قال الأشعري: «والخوارج جميعاً يقولون بخلق القرآن...» أ.هـ.

قال محسن الأمين الرافضي الكبير: قالت الشيعة والمعتزلة: القرآن مخلوق.

وقال القاضي عبد الجبار المعتزلي: وأما مذهبنا فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وهو مخلوق محدث.

وأما الأشاعرة والماتريدية والكلابية، فقالوا كلام نفسي، فقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «لكن الأصل العقلي الذي بنى عليه ابن كلاب قوله في كلام الله وصفاته هو أصل الجهمية والمعتزلة بعينه»(١).

وقال الأنصاري في شرح «أم البراهين»: وحقيقة الكلام هو المعنى القائم بالذات المعبر عنه بالعبارات، وكلام الله ليس بحروف؛ لأن الحروف حادثة، ولا بصوت؛ لأن الأصوات حادثة، وكلام الله منزه عن التقديم والتأخير، والكتب المنزلة يطلق عليها كلام الله لأنها دالة على بعض مدلولات الكلام النفسي الأزلي أ.هـ.

وقال الباجوري في شرح الجوهرة: القرآن خلقه الله تعالى أولًا في اللوح المحفوظ، ثم أنزله صحائف إلى السماء الدنيا، ببيت العزة، ...الخ. وقال بعضهم: خلقه في نفس جبريل.

وخلاصة قولهم أن ما في المصاحف مخلوق وليس كلام الله تعالى حقيقة.

وقد خالفوا بهذه العقيدة الفاسدة الكتاب والسنة والإجماع والفطرة واللغة والعقل، ووافقوا الجهمية الذين هم أصل ضلالهم.

ومن شبههم، الشبهة الأولى: القرآن شيء، وقد قال الله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، ولفظ (كل) للعموم، فالقرآن داخل في عموم ما خلق الله من الأشياء.

جوابها: ومعنى الآية: خالق ما من شأنه أنه مخلوق، وصفات الله تعالى غير مخلوقة.

ثم فساد قولهم غير خافٍ على من له أدنى علم بالعربية، وذلك أن صيغة (كل) وما يشبهها من صيغ العموم، عموم كل منها إنما هو بحسبه، فلا تعم كل شيء لا يدخل تحت خطاب الجملة.

الشبهة الثانية: القرآن مجعول، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ والجعل: الخلق.

وجوابها: لفظ (جعل) لا يأتي بمعنى (خلق) إلا إذا تعدى لمفعول واحد، وهنا تعدى لمفعولين

(١) حديث النزول (ص ١٧٣).

فهو بمعنى صير. وأما قول الأشاعرة فهو ظاهر البطلان والتناقض، وسيأتي مزيد رد عليهم. ومن أحسن الكتب التي ذكرت عقيدة أهل السنة وردت على أهل البدع في مسألة الكلام هو كتاب لبعض المعاصرين: (العقيدة السلفية في إثبات كلام رب البرية) جمع الأقوال وناقشها ورد عليها. وقد ذكر اللالكائي في كتابه أصول أهل السنة بابًا طويلًا في مسألة الكلام، ونقل عن خمسمائة من العلماء كفر من قال إن القرآن مخلوق.



[رؤية المؤمنين لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الْقِيَامَةِ: ٢٣]، ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ: ٢٣]، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونُسَ: ٢٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، وهَذَا البابُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى كثيرٌ منْ تَدَبَّرَ القُرآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى منْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: رؤية المؤمنين لله تعالى حق.

الثانية: النظر يكون إلى وجه الرب تعالى.

الثالثة: نعيم النظر إلى الله تعالى على قدر الأعمال.

الرابعة: الله تعالى أعلم بصفاته من غيره.

الخامسة: نفي الرؤية باب من أبواب الكفر.

السادسة: من فسر الرؤية بغير ظاهرها فهو معطل.

السابعة: الرؤية لا تقع إلا في الآخرة لا في الدنيا.

الثامنة: نثبت الصفات وننفي المماثلة.

التاسعة: أدلة الرؤية كثيرة لا يمكن دفعها.

العاشرة: النظر إلى الله تعالى لأهل التوحيد دون غيرهم.

الحادية عشر: الرؤية أمر وجودي لا تتعلق إلا بموجود لا بالعدم.

الثانية عشر: وجود الله تعالى أكمل من كل موجود، ومن كان أكمل وجود كان أولى أن يُرى من غيره.

الثالثة عشر: من قال يرى لا في العلو فقد تناقض.

الرابعة عشر: كلام الله تعالى لا يخالف بعضه بعضاً.

الخامسة عشر: البدعة تجر إلى التحريف.

....

هذه المسألة الأخيرة التي أوردها شيخ الإسلام من القرآن الكريم. وما سيأتي بعدها فمن السنة. والرؤية تكون للمؤمنين، والمرئي هو الله سبحانه وتعالى.

قال: (وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾) ناضرة: جميلة سعيدة وهذا في الجنة.

﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنظر إليه بالأعين، كما في حديث جَرِيرِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً البَدْرَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا» يعني: بالأعين. هكذا في صحيح البخاري في كتاب التوحيد، «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ» متفق عليه (خ ٧٤٣٤ ، ٧٤٣٥) (م ٦٣٣). وقوله: (كما ترون هذا القمر) شبَّه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي سبحانه وتعالى.

وإنما شبه الرؤية برؤية البدر؛ لمعنيين: أحدهما: أن رؤية القمر ليلة البدر لا يشك فيه ولا يمترى. والثاني: يستوي فيه جميع الناس من غير مشقة.

قال يزيد بن هارون: من كذب بهذا الحديث فهو بريء من الله تعالى ورسوله ﷺ.

وقال وكيع: من رد هذا الحديث فعدُّوه من الجهمية.

قال: (﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾) ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ ينظرون إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ فسرها النبي صلى الله عليه وسلم الحسنى: الجنة. والزيادة: النظر إلى الله جل وعلا (م ١٨١). وعَنْ أَبِي بكر رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾ الْجَنَّةُ ، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ قَالَا: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الله.. (صحيح).

(وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾) المزيد هو يوم من أيام الجنة، يجتمع المؤمنون خارج منازلهم في وادٍ أفيح، ويرون الله جل وعلا، وهذه الرؤيا في هذا الوادي -وادي المزيد- هي رؤية زائدة على الرؤية التي تكون في الجنة وهم في بيوتهم.

والأدلة على ذلك كثيرة. ذكر ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية أن أدلة الرؤيا تزيد على ثلاثمائة دليل من القرآن ومن السنة.

وقد حجب الله جل وعلا أهل الكفر والنفاق عن رؤيته، ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، وَقَالَ الحَسَنُ، وَمَالِكٌ، وَابْنُ عَبْدِ الحَكَمِ: «إِنَّهُ لَا يَرَاهُ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، وَالْكُفَّارُ لَا يَرَوْنَهُ».

وأول رؤيا لله عز وجل في أرض المحشر، ثم في الجنة. ولا يُرى الله جل وعلا في الدنيا بإجماع أهل السنة. قال عليه الصلاة والسلام: (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) (م ١٦٩).

وقد خالف أهلَ السنة في هذه المسألة جميع طوائف الضلال.

أما الرافضة والخوارج فإنهم على مذهب المعتزلة. والمعتزلة ينفون جميع الصفات بما فيها العلو لله سبحانه، وينفون عن الله عز وجل صفة الوجه، وبالتالي يقولون إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة. وقالوا: [إن الله قال: ﴿لَن تَرَانِي﴾]. وأجيب بأنه قال هذا لموسى عليه السلام في الدنيا، وهو نفي للرؤية في الدنيا لا في الآخرة.

والزمخشري المفسر المبتدع لما وصل عند هذه الآية قال: [و"لن" تفيد التأبيد]. وهو عالم من علماء اللغة، يعرف أن "لن" لا تفيد التأبيد. لكن البدعة تجر إلى التحريف. فرد عليه صاحب اللغة السلفي ابن مالك وأيضًا ابن هشام.

وقالوا: [لا تراه الأبصار لقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾]. ويرد عليهم: بأن الإدراك بمعنى الإحاطة، وهو منفي. وليس معنى: لا تدركه لا تراه. فإن كلام الله تعالى لا يخالف بعضه بعضًا.

وبالنسبة لقدماء الأشاعرة الذين هم ابن كُلاب والأشعري والقلانسي وغيرهم، فهؤلاء يثبتون العلو ويثبتون الرؤية.

والأشاعرة أصحاب الباقلاني وغيره ومن بعده قالوا: إن الله يرى. لكنهم يتفقون مع الأشاعرة المتأخرين في نفي الجهة. فيقولون: [إن الله في العلو ويرى في العلو لكن ليس في جهة]. تناقض.

أما أبو المعالي فإنه نظر إلى كلام السابقين فوجده متناقضًا فقال: [يرى لا في جهة] ونفى العلو، وهذه من علوم المعتزلة التي تلقاها الجويني. وقال بعضهم: [يرى في كل مكان]. فلما ضحك الناس عليهم من هذا الكلام قالوا: [يرى ولا ندري كيف]. وقد ضحك العقلاء عليهم فإن الرؤيا تقتضي أن يرى في العلو.

وهذا الذي قاله الأشاعرة والمعتزلة مخالف للكتاب والسنة والإجماع والتواتر.

والله المستعان.



[ذكر بعض الأسماء والصفات من السنة النبوية]

[حجية السنة في باب الصفات]

فَصْلٌ: ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ ﷺ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِن الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي نَقَلَهَا، وَتلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفةِ بِالْقَبُولِ، وَجَبَ الإِيمَانُ بِها كَذَلِكَ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الأسماء والصفات توقيفية.

الثانية: لا تثبت الأسماء والصفات إلا من الكتاب وصحيح السنة.

الثالثة: السنة حجة كالقرآن في الاستدلال.

الرابعة: الحديث الصحيح حجة بنفسه في العقائد والأحكام.

الخامسة: لا فرق في الحُجية بين الآحاد والمتواتر.

السادسة: السنة وحي من عند الله يجب اتباعها.

السابعة: من أنكر حجية السنة فقد كفر، فلا إسلام بدون سنة.

الثامنة: خبر الثقة عن مثله غير معل حجة في ثبوت ذلك عن النبي ﷺ.

التاسعة: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

العاشرة: أسعد الناس بالسنة هم أهل الاتباع والتوحيد.

الحادية عشر: الحديث الصحيح مقدم على العقل في العقيدة وغيرها.

الثانية عشر: تقسيم الحديث إلى متواتر وآحاد بدعة كلامية.

الثالثة عشر: حجية السنة ثابتة بالقرآن الكريم.

الرابعة عشر: كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لا يخالف بعضه بعضًا.

الخامسة عشر: السنة الأصل الثاني في التشريع.

السادسة عشر: العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح.

السابعة عشر: البدعة تفسد العقول، وتبلد الأفهام.

الثامنة عشر: أحاديث الآحاد إذا اقترنت بها قرينة تفيد العلم.

....

انتقل رحمه الله تعالى إلى الأدلة من السنة، وهي: أقوال النبي ﷺ وأفعاله وإقراره.

فالسنة حجة كالقرآن في الاستدلال، والحديث الصحيح حجة بنفسه في العقائد والأحكام، ولا فرق في الحُجية بين الآحاد والمتواتر، والسنة وحي من عند الله يجب اتباعها، ومحفوظة بحفظ الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. ومن أنكر حجية السنة فقد كفر، فقد ثبتت حجية السنة بالقرآن الكريم، فمنكرها مكذب بالقرآن الكريم.

قال: (فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ) تفسره: بمعنى توضح معناه، كما في تفسير الظلم بالشرك، وتفسير الخيط الأبيض والأسود بالليل والنهار، وتفسير الزيادة بالرؤية إلى الله تعالى، وأمثال ذلك. (وَتُبَيِّنُهُ) تبين ما أجمل في القرآن الكريم مثل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فكيفية الصلاة وأوقاتها ونحو ذلك هذا جاء بيانه في السنة.

ومنه ما كان مبينًا في القرآن الكريم لكن يحتاج إلى زيادة إيضاح فقد ورد في السنة زيادة إيضاح مثل الفرائض وقسمة الميراث. (وَتدُلُّ عَلَيْهِ) وذلك بما وافقت السنة القرآنَ، فتؤكد ما دل عليه، والمراد أن دلالة السنة توافق دلالة القرآن الكريم، فالقرآن دل على التوحيد والسنة دلت على التوحيد. القرآن حذر من الشرك والسنة حذرت من الشرك. (وَتُعَبِّرُ عَنْهُ) تعبر عما عبر عنه القرآن، فتكون موافقة للقرآن فيكون الحكم مما دل عليه الكتاب والسنة كأسماء الله وصفاته.

وأيضًا السنة تأتي بأحكام زائدة عما في القرآن الكريم، فالأسماء الحسنى التي من زيادات السنة نحو ثمانية عشر اسمًا، وهكذا في الصفات، والأحكام وغير ذلك، وهذا هو معنى قوله ﷺ: (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ) رواه أحمد (١٧١٧٤) وغيره وصححه الألباني.

وقال الله عز وجل قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾. ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾. وأدلة كثيرة. وأيضًا من جهة الإجماع، فقد أجمع الصحابة على أن السنة حجة بنفسها. وقد ألف العلماء في هذا مؤلفات في الماضي وفي الحاضر.

أما كون السنة رويت بطرق متواترة أو آحاد، فهذا إنما هو زيادة في أدلة ثبوتها، وإلا فما ثبت من السنة ولو بسند واحد كحديث: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» فإنه حجة. فلا ننظر إلى التقسيم الذي أحدثه أهل الضلال: متواتر وآحاد وكذا، بل ننظر إلى جودة الإسناد. فما ثبت كأحاديث الصحيحين من المتواترة أو المشهورة أو الفرد فإنه يفيد العلم. فأحاديث الآحاد تفيد العلم إذا اقترنت بها قرينة، مثل أن يروى بإسناد صحيح كالشمس وليس له علة، ومثل أن يتفق الأئمة على تصحيحه، ومثل أن يكون في الصحيحين. هذه كلها قرائن تدل على إفادة العلم.
وأما مثل الأحاديث التي هي حسن لغيره وما أشبه ذلك مما يختلف فيه، فهذه تفيد الظن. هذه خلاصة المسألة.

أما بالنسبة لأهل البدع والضلال، فالجهمية والخوارج والرافضة ترد السنة جملة وتفصيلًا.
يرون أن هذه السنة لا حجة فيها. وأضف إليهم طائفة رابعة وهي ما تسمى بـ الطائفة القرآنية، وهي مما ظهر في عصرنا، وطائفة خامسة وهم العقلانيون، وغالبهم منافقون، ومن أنكر السنة فقد كفر، وخالف الأدلة الصحيحة وإجماع السلف القطعي.
وأما بالنسبة للمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومن لف لفيفهم فيقولون: إنما نقبل من السنة في العقيدة ما تواتر دون الآحاد. وبعد هذا يقولون: إن التواتر يفيد الحديث في صحته، أما في دلالة لفظه فإنه ظني. بل يقول بعضهم: إن دلالة ألفاظ القرآن الكريم ظنية.
فتأمل كيف يتلاعبون بدين الله تعالى، فأولًا أوْهوا وأضعفوا الاستدلال بالسنة لتقسيمها إلى آحاد ومتواتر. ثم أضعفوا دلالة المتواتر بحجة أنها ظنية. وقدموا العقل على الكتاب والسنة.

وقد رد عليهم شيخ الإسلام بكتاب عظيم في عدد من المجلدات، وهو (درء تعارض العقل والنقل) وبين بأن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح، ولكن البدعة أعمت عقولهم.

قال: (وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ ﷺ بِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِن الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي نَقَلَهَا، وَتلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفةِ بِالْقَبُولِ، وَجَبَ الإِيمَانُ بِها كَذَلِكَ) لأنها وحي من الله تعالى، نزلت على من وصفه الله سبحانه بقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾. وقد تقدم توضيحه غير مرة، ولله تعالى الحمد والمنة.

(الَّتِي نَقَلَهَا، وَتلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفةِ بِالْقَبُولِ) نقلها الرواة الثقات، وقبلها أهل الحديث الذين يميزون صحيح الحديث من سقيمه، وهؤلاء هم الذين حفظ الله تعالى بهم الدين والسنة.



[صفة النزول لله تعالى]

مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: (يَنْزِلُ ربُّنا إِلَى سَماءِ الدُّنيا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَه؟ منْ يَسْتَغفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ؟) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (١).

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصفات الفعلية حق على ظاهرها.

الثانية: إثبات الصفات من صحيح السنة حقٌّ.

الثالثة: صفة النزول لله تعالى صفة كمال لا نقص فيها.

الرابعة: نزول الله تعالى لا ينافي علوه.

الخامسة: إثبات الصفات لا يلزم منه التمثيل.

السادسة: توهم التمثيل مطية التعطيل.

السابعة: الأصل عدم الحذف والتقدير.

---

(١) (خ ١١٤٥) (م ٧٥٨)، ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ). وقد روى أحاديث النزول: أبو بكر الصديق وعلي وابن مسعود وأبو سعيد وجبير بن مطعم ورفاعة الجهني وأبو الدرداء وعثمان بن أبي العاص وجابر بن عبد الله وعبادة بن الصامت وعقبة بن عامر وعمرو بن عبسة وأبو الخطاب وأنس بن مالك وأبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وأبو ثعلبة الخشني وعائشة وابن عباس وأم سلمة وابن عمر وأبو أمامة وحذيفة ولقيط بن صبرة وعوف بن مالك وثوبان وعبد الله بن عمرو و وجد عبد الحميد بن سلمة رضي الله عنهم أجمعين. وذكر صاحب كتاب (صفة النزول الإلهي) أن جميعها صحيحة وحسنة، وبعضها يتقوى بالشواهد، واحا حدبث أسماء بنت يزيد فضعفه شديد وليس له متابعات. أ.هـ (ص ٥٤).

الثامنة: التأويلُ بغيرِ دليلٍ صحيحٍ تحريفٌ وإلحاد.

التاسعة: كلامه تعالى بالمغفرة ينفي احتمال أن المراد غيره تعالى.

العاشرة: من نفى صفة النزول فهو جهمي.

الحادية عشر: لا يقال في الصفات: كيف؟، ولا في القدر: لمَ؟.

الثانية عشر: الأصول الباطلة تؤدي إلى العقائد الفاسدة.

الثالثة عشر: الاشتراك في الألفاظ لا يلزم منه الاشتراك في الصفات.

الرابعة عشر: مجالسة أهل البدع ضررها كبير على المسلم في دينه.

....

في هذا الحديث أن الرسول ﷺ وصف ربه عز وجل وهو أعلم الناس بالله سبحانه بصفة النزول إلى سماء الدنيا، وهو نزول حقيقي كما يليق بجلال الله تعالى، ونزوله لا ينافي علوه، وهو على كل شيء قدير، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتكلم وعبد الله بن عمرو يكتب. قال: فقال ﷺ: «اُكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقًّا». رواه أبو داود (٣٦٤٦) وهو صحيح. وقال ﷺ: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا» (خ ٢٠) عن عائشة رضي الله عنها.

وهذا الحديث الذي ابتدأ به شيخ الإسلام حديث متواتر جاء عن نحو ثلاثين صحابيًا. في الصحيحين من ذلك أكثر من خمس أحاديث، وقد تقدم في تخريج الحديث عد من رواه من الصحابة. فأحاديث النزول كثيرة. وألفاظها متنوعة. فجاء بلفظ: [ينزل ربنا]. وجاء بلفظ: [يهبط]. وجاء بلفظ: [يتنزل]. و[يدنو]، وهذا ينفي المجاز المزعوم.

والأصل أن الله جل وعلا ينزل في ثلث الليل الآخر، وينزل متى يشاء سبحانه وتعالى.

ولأهل البدع في هذا الحديث أقوال كثيرة. فهو أشد حديث في الصفات على أهل البدع، يتمنون أن لو محوه من السنة، وهكذا البدع في تمدد مستمر.

أما الجهمية والمعتزلة فعطلوا صفة النزول والصفات الفعلية بحجة نفي التمثيل، وهؤلاء وقعوا في التمثيل والتعطيل معًا.

وأما الأشاعرة ونحوهم فيقولون: ينزل ربنا، لكن معناه: ينزل أمره. أو تنزل رحمته. أو ينزل ملك. ولهم شبهات. ومن أكثرهم شبهات الرازي في كتابه (تقديس التأسيس).

فقد أورد شبهات كثيرة على هذا الحديث. ويرد عليهم بأن الحديث صريح، قال: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟» من الذي يستجيب الدعاء؟ رب العزة والجلال. وهكذا أيضًا: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» من هو الغفار؟ من هو الذي يغفر إلا الله سبحانه وتعالى، ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

وأما قولهم: النزول يستلزم الحركة والانتقال وهي من صفات المخلوقين والأجسام.

فهذا قول مبني على توهم التمثيل فشابهوا المعتزلة، ثم يقال لهم: إن لفظ الجسم والحركة من الألفاظ التي لم ترد شرعًا، ومعناها محتمل للحق والباطل، فإن قصدتم أن إثباتها يلزم منه أن الله تعالى يفعل بذاته ما شاء فهذا حق، وهو على كل شيء قدير وليس كمثله شيء.

وإن أردتم أن هذه الأوصاف تماثل صفات الخلق فهذا غير لازم، والاشتراك في الألفاظ لا يلزم منه الاشتراك في الصفات. وهؤلاء سلكوا طريق جهم في نفي الصفات وقد رد عليهم شيخ الإسلام في كتابه (بيان تلبيس الجهمية).

وفي الحديث أيضًا إثبات صفة العلو، وإثبات صفة الكلام لله سبحانه. وهذا قول أهل السنة. خالف في هذا الحديث بعض الحنابلة، والأصل أن الحنابلة سنة. ابن عقيل الحنبلي ويقال إنه تاب في آخر عمره. وابن الجوزي من مشاهير الحنابلة الذين تأثروا بالمعتزلة، ما السبب؟ قالوا كان ابن عقيل الحنبلي يختلف إلى بعض المعتزلة يدرس عندهم بعض العلوم، فتأثر بهم ووصل به الأمر إلى أن ينفي بعض الصفات. فذمه الحنابلة. فاختفى فترة ثم رجع فأعلن توبته.

فمجالسة أهل البدع فيها ضرر كبير على المسلم في دينه. والله المستعان.

****

[صفة الضحك والفرح والعجب لله تعالى]

وَقَوْلُهُ ﷺ: (للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ) فَالحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(١)]. وَقَوْلُهُ ﷺ: (يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٢)]. وَقَوْلُهُ: (عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزَلِّينَ قَانِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ، يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قريبٌ) حَدِيثٌ حَسَنٌ[(٣)].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصفات الفعلية حق على ظاهرها.

الثانية: إثبات الصفات من صحيح السنة حقٌّ.

الثالثة: صفة الضحك والفرح والعجب لله تعالى صفة كمال لا نقص فيها.

الرابعة: ضحك وفرح الله تعالى لا ينافي كماله.

---

(١) (خ ٦٣٠٨) (م ٢٧٤٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه، و (خ ٦٣٠٩) (م ٢٧٤٧) عن أنس رضي الله عنه، و(م ٢٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، و(م ٢٧٤٥) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، و(م ٢٧٤٦) عن البراء رضي الله عنه،.

(٢) (خ ٢٨٢٦) (م ١٨٩٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الحديث بلفظ (ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ، قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا) رواه ابن ماجه (١٨١) وغيره، وفيه وكيع بن حدس فيه جهالة، وضعفه الألباني في السنن، لكن ذكره في الصحيحة (٢٨١٠) كأنه تراجع عن تضعيفه، وضعفه الوادعي والأرنؤوط في المسند.

وجاء عن لقيط بن صبرة رضي الله عنه بلفظ (وَعَلِمَ يَوْمَ الْغَيْثِ يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ آزِلِينَ مُشْفِقِينَ، فَظَلَّ يَضْحَكُ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» قَالَ لَقِيطٌ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ لَنْ نَعْدَمَ مَنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا) رواه الحاكم (٨٦٨٣) وفي سنده يعقوب بن محمد بن عيسى الزهري ضعيف.

الخامسة : إثبات الصفات لا يلزم منه التمثيل.

السادسة : توهم التمثيل مطية التعطيل.

السابعة : الأصل عدم الحذف والتقدير.

الثامنة : صفة العجب لله تعالى لا تنافي علمه.

التاسعة : جمع الصفات الفعلية في صفة الإرادة تعطيل.

العاشرة : من نفى صفة الضحك والفرح والعجب فهو جهمي.

الحادية عشر : دلالة اللغة العربية لا تقتضي التماثل في الصفات لتشابه الألفاظ، وإنما يفهم المعنى بحسب التركيب والسياق والإضافة.

....

في هذه الأحاديث إثبات صفة الفرح والضحك لله عز وجل، كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وهي صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه. وكذلك لا تماثل فرح وضحك المخلوق، فدلالة اللغة العربية لا تقتضي التماثل في الصفات لتشابه الألفاظ، وإنما يفهم المعنى بحسب التركيب والسياق والإضافة، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

أهل البدع تأولوا هذه الصفات بـ الرضا، قالوا: ضحك وفرح بمعنى "رضي وأثاب"، فإذا قيل لهم: هل تثبتون صفة الرضا لله سبحانه وتعالى؟ قالوا: لا، الرضا معناه الإرادة؛ أراد إثابتهم أو أراد إسعادهم. فلا يزالون يتأولون ويتنقلون من صفة إلى صفة. مع أن الإرادة والضحك والمحبة وغيرها من الصفات ولا فرق بينها، فالكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر. فالمخلوق له إرادة، والله جل وعلا له إرادة، فإذا قلتم: إرادة الله لا تماثل إرادة المخلوق، نقول كذلك: ضحكه ونزوله ومحبته وغضبه لا يماثل المخلوق. فالصفات باب واحد، فالكلام في بعض الصفات كالكلام في بعض الآخر.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «(العشرون) وهي الجامعة لما تقدم من والوجوه وهو معرفة الإلحاد في أسمائه حتى لا يقع فيه... والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها..» (١).

وأما صفة العجب لله تعالى: فالحديث مختلف فيه، وقد ورد في إثبات صفة العجب بأدلة أخرى من الكتاب وإجماع السلف. قال الله عز وجل:﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: ١٢]. هكذا قرأ حمزة والكسائي: "عجبتُ"، بضم التاء يعني أن المتعجب هو الله سبحانه وتعالى.

والعجب على معنيين:

١- وعجب سببه خروج الشيء عن نظائره مع علم المتعجب بذلك، وليس الجهل وإنما خروج الشيء عن نظائره، فيكون تعجب رضا أو إنكار بحسبه. وهذا هو الذي يوصف الله جل وعلا به، فنثبت لله عز وجل صفة العجب بهذا المعنى، وهي صفة كمال كما يليق بجلاله.

٢- عجب سببه الجهل من قِبل المتعجب، فينظر إلى الشيء نظر استغراب؛ لأنه رآه على غير ما يفهم أو على خلاف ما يعلم، وهذا ينزه ربنا جل وعلا عنه، لماذا؟ لأن الله جل وعلا بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء.



(١) «البدائع» (١/ ١٦٩) ط الكتاب العربي. «القواعد المثلى: القاعدة السابعة للأسماء»، «شرح القواعد» (ص ١٠٦-١١٠)، «تفسير البغوي» (٢/ ٥٧٦)، «القواعد الطيبات» (ص ٣٧-٣٩)، «منهج أهل السنة ..» (٢/ ٣٩٦-٣٩٩).

[صفة القدم والكلام لله تعالى]

وَقَوْلُهُ ﷺ: (لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ منْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ – وَفِي رِوَايَةٍ– عَلَيْهَا قَدَمَهُ؛ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(١)]. وَقَوْلُهُ:(يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ منْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٢)]. وَقَوْلُهُ: (مَا منْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَه تُرْجُمَان)[(٣)].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصفات الفعلية حق على ظاهرها.

الثانية: الصفات الخبرية حق على ظاهرها.

الثالثة: صفة القدم والساق صفة كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

الربعة: صفات الله تعالى كلها لا تقاس بصفات الخلق.

الخامسة: الصفات الخبرية ومنها القدم لا مجال للعقل فيها.

السادسة: كلام الله تعالى بصوت وحرف حق على ظاهره.

....

في الحديث الأول إثبات صفة من الصفات الخبرية، وهي القدم والرجل لله عز وجل.

وإثبات القدم وأنها صفة كمال لله جل وعلا وارد في الكتاب والسنة والإجماع.

---

(١) (خ ٤٨٤٩) (م ٢٨٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظ رجله له فيهما معًا: (خ ٤٨٥٠) (م ٢٨٤٦/ ٣٦). و(خ ٤٨٤٨) (م ٢٨٤٨) عن أنس رضي الله عنه بلفظ القدم. ومعنى: (قط قط) يكفيني.

(٢) (خ ٧٤٨٣، ٤٧٤١) (م ٢٢٢) واالفظ للبخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) (خ ٧٤٤٣، ٧٥١٢) (م ١٠١٦) عن حذيفة رضي الله عنه.

وجاء بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الكرسي موضع القدمين.

والعقل لا ينفي إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى.

وقال ابن خزيمة في كتاب التوحيد: باب ذكر إثبات الرجل لله عز وجل، وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا عز وجل التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ.

أما المعتزلة والأشاعرة فعلى عادتهم في إنكار الصفات، وزعموا أن القدم جماعة من أهل النار. وهذا باطل مخالف لظاهر القرآن والسنة وإجماع السلف، وأيضًا فطلب المزيد إنما يكون بعد مصير أهل النار إليها، وبعد خروج الموحدين منها، وسياق الحديث يدل أنه يضع قدمه سبحانه، وكونه يضع فيها ناسًا من أهل النار، فلماذا ينزوي بعضها إلى بعض. وقولها: "قط قط"، يعني: يكفي يكفي. كل هذا ينفي أن يراد بالقدم شيئًا آخر غير الصفة الذاتية الخبرية لله سبحانه وتعالى.

وأما صفة الكلام فقد تقدم الكلام عليها في الفصل الأول، وفي الحديث غاية الصراحة، قال: "فينادي بصوت"، الأصل أن النداء لا يكون إلا بصوت، والصوت هو اللفظ بحروف وكلمات، لكن زاد هنا "بصوت" ليبطل أي احتمال.

وحديث حذيفة: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه"، صريح في أن المتكلم هو الله سبحانه وتعالى. وقوله: "ليس بينه وبينه ترجمان" لا ملك ولا غير الملك. ثم هؤلاء المبتدعة يقولون: ينادي ملك يتكلم معه ملك! ما لهؤلاء؟! لا يعجبهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يذهبون إلى آراء الفلاسفة وغيرهم من أهل الكفر، نعوذ بالله من الخذلان.

****

[صفة العلو والاستواء لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ: (رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هذا الوَجَعِ، فَيَبْرَأُ). حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[(١)].

وَقَوْلُهُ: (أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ) حَدِيثٌ صَحِيحٌ[(٢)].

وَقَوْلُهُ: (وَالْعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[(٣)].

وَقَوْلُهُ للجارية: (أَينَ اللهُ؟) قَالَتْ: فِي السمَاءِ. قَال: (مَنْ أَنَا؟) قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: (أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٩٢) من حديث فضالة رضي الله عنه وفي سنده زيادة بن محمد منكر الحديث، وله طريق عند أحمد (٦/ ٢١) وفيه ابن أبي مريم متروك، وضعفه الألباني والوادعي وغيرهما.

(٢) (خ ٤٣٥١) (م ١٠٦٤) عن أبي سعيد رضي الله عنهما.

(٣) رواه ابن خزيمة (٧٨٧) واللالكائي (٦٥٩) وغيرهما من حديث ابن مسعود موقوفًا عليه، وصححه الذهبي والألباني، وقد ورد مرفوعًا ولا يصح، ولفظ أبي داود (٤٧٢٦) مرفوعًا من حديث جبير بن مطعم: «إِنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ») وضعفه الألباني والأرنؤوط، فيه: محمَّد بن إسحاق مدلس ولم يُصرِّح بالتحديث وشيخه مجهول.

(٤) (م ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه، وقد شغب بعض أهل البدع في تضعيف هذه اللفظة فلم يفلح.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: السماء عند الإطلاق يراد بها العلو لا سماء بعينها.

الثانية: من أنكر السؤال بـ (أين الله تعالى؟) فهو مخالف لهذا الحديث.

الثالثة: صفات الله تعالى كلها لا تقاس بصفات الخلق.

الرابعة: الاختبار لمعرفة الاعتقاد عند الحاجة المعتبرة سنة.

الخامسة: من لم يعتقد أن الله تعالى في العلو فليس بمؤمن.

....

تقدم الكلام على صفتي العلو والاستواء، وإنما كرره المؤلف لبيان دلالة السنة عليهما.

وقوله للجارية: (أين الله؟...) قال عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى في (الاقتصاد في الاعتقاد): ومن أجهل جهلاً، وأسخف عقلاً، وأضل سبيلاً ممن يقول: إنه لا يجوز أن يقال: أين الله؟ بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله: (أين الله). أ.هـ وجهم بن صفوان والمعتزلة هم المانعون من السؤال عن الله تعالى بـ(أين)، ووافقهم على ذلك بعض من ينفي علو الله تعالى من متأخري الأشاعرة.



[صفة المعية لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: (أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ) حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

وَقَوْلُهُ: (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَلاَ يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَقَوْلُهُ: (اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ، فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ، فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٣).

وَقَوْلُهُ لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهم بِالذِّكْرِ: (أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٤).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٨٧٩٦) والبيهقي (٩٠٨) وغيرهما وضعفه الألباني، في سنده نعيم بن حماد ضعيف.

(٢) (خ ٤٠٦) (م ٥٤٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) (م ٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) (خ ٢٩٩٢) (م ٢٧٠٤) عن أبي موسى رضي الله عنه.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: معية الله تعالى لخلقه لا تنافي علوه.

الثانية: من زعم أن المعية تفيد الاختلاط فهو حلولي جهمي.

الثالثة: ما عرف عظمة الله تعالى من قال: الله في كل مكان.

الرابعة: ليس في اللغة المعية بمعنى الاختلاط.

الخامسة: الله تعالى أعظم من أن يحيطه به شيء من خلقه.

السادسة: كل ما ورد في معية الله تعالى فالمراد منه معية العلم والقدرة ونحو ذلك.

....

هذا الفصل في إثبات المعية لله سبحانه وتعالى، وقد سبق الكلام على المعية في الجزء الأول من الكتاب. والمعية لا تقتضي المخالطة، لا لغة ولا شرعًا ولا عقلًا. فالإنسان يقول: سرت والقمر، أي: مع القمر، ومع هذا كم بينه وبين القمر؟

وقوله: (فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ): ما قال الله عز وجل بجانبه، إنما قال: "فإن الله قِبل وجهه". الشمس إذا طلعت في الصباح أليست قبل الوجه؟ وأين موقعها؟ موقعها في السماء، بيننا وبينها مسافة طويلة. إذاً فالله جل وعلا في العلو فوق العرش، وهو أمام المصلي. وهذه الصفة كسائر الصفات نثبتها ولا نتعرض للكيفية، بل الكيفية كما يليق بجلال الله عز وجل.

وأهل البدع يقولون: هناك من يصلي إلى المشرق، وبعضهم إلى المغرب، بعضهم إلى الشمال، بعضهم إلى الجنوب، كيف يكون الله سبحانه وتعالى أمام الجميع؟ الجواب: أن الله عز وجل على كل شيء قدير. انظر إلى القمر في السماء يراه أمم من الناس والدول، كل واحد ينظر إليه وكأنه أمامه وحده. وإذا كنت في دولة أخرى تجد أن القمر في تلك الساعة أمامك، وهذا مخلوق. كيف بالخالق سبحانه؟ الذي هو أعظم من هذا الكون، فالله على كل شيء قدير.

والحديث الآخر حديث علي الشاهد منه: "وأنت الباطن فليس دونك شيء". الباطن هنا بمعنى القريب. فقرب الله سبحانه وتعالى عام وخاص.

* أما القرب العام فهو بمعنى المعية: فالله عز وجل قريب من جميع خلقه، بعلمه وبصره وعلمه ورعايته إلى غير ذلك.

* وأما القرب الخاص من الله عز وجل لا يكون إلا لأهل التوحيد، كـ(قُرْبِهِ جَلَّ وَعَلَا مِن أَهْلِ عَرَفَةَ) وكقربه من الداعي: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والحديث الآخر: (إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ) هذا قرب علم وسمع وبصر. فهم يرفعون أصواتهم، لا حاجة لرفع الصوت، فإن الله جل وعلا يسمع كل شيء.

وأهل البدع منهم من ينكر المعية بالكلية، كالمعطلة من نفاة الجهمية والمعتزلة. ومنهم من يثبتها، لكن يثبت معها الاختلاط، مثل بعض الجهمية والصوفية. الجهمية منهم من عطل بالكلية، ومنهم - وهم قلة - من مال إلى التمثيل أو الاتحاد. الصوفية الغلاة من أين أخذوا مذهب الحلول والاتحاد؟ من الجهمية، والجهمية أخذته من بعض الفلاسفة أو من النصارى.

****

[رؤية الموحدين لله تعالى دون غيرهم]

وَقَوْلُهُ ﷺ: (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

تقدم الكلام على الرؤية.

وفي هذا الحديث وهو حديث جرير: "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر" في الوضوح. ثم ذكر العصر والفجر. ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى أن من حافظ على الصلوات الخمس وهاتين الصلاتين على وجه الخصوص يرى الله عز وجل مرتين.

ومن كان عنده شيء من التقصير، فإنه لا يرى الله عز وجل إلا مرة في اليوم.

الرؤية من النعيم وهذا النعيم يتفاوت من شخص إلى آخر منهم من يرى الله تعالى مرتين ومنهم من يراه مرة ومنهم دون ذلك. يتفاوت الناس بحسب منازلهم. والله المستعان.

****

---

(١) (خ ٥٥٤) (م ٦٣٣) عن جرير رضي الله عنه.

[الإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة]

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ، فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ: أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: من صحت مصارده صحت عقيدته.

الثانية: السني هو من صحت عقيدته ولزم جماعة العلماء والأمراء.

الثالثة: تعظيم دلالة الكتاب والسنة من أصول العقيدة.

الرابعة: لا تصح العقيدة حتى تُنقَّى من شوائب البدع والشرك.

الخامسة: أصول أهل البدع كلها ترجع: التَحْرِيف والتَعْطيل والتَمْثِيل.

السادسة: أسعد الناس بالكتاب والسنة هم السلفيون.

السابعة: الاستفصال في الألفاظ المجملة قبل النفي والإثبات واجب.

....

بعد أن ذكر المؤلف جملة من الآيات والأحاديث، بيّن أن أهل السنة يسيرون على هذا الأصل: إثبات ما أثبته الله عز وجل ورسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عز وجل ورسوله ﷺ، والسكوت عما لم يرد فيه نفي ولا إثبات. فإن جاء المبتدع بلفظ ما ورد في الكتاب والسنة، لا إثباتًا ولا نفيًا، فإنهم من جهة اللفظ يتوقفون فيه إلا أن يكون ظاهر البطلان فيردونه، ومن جهة المعنى ينظرون: ما هو المعنى، إن كان حقًّا قبلوه، وقالوا قد دلت عليه أدلة صريحة، وإن كان باطلًا ردوه.

فهم الفرقة التي نجت من البدع والضلال في الدنيا، ويرجى لهم النجاة بين يدي الله عز وجل.

أهل السنة الذين تمسكوا بالسنة وهي العقيدة الصحيحة، والجماعة من السنة ومن العقيدة الصحيحة، ولكن خُصت بالذكر لأن الخوارج الذين ظهروا في أول الأمر، وتبعتهم المعتزلة والرافضة وكثير من الفرق يرون عدم الجماعة الممثلة في ولي الأمر، فهم أولًا يخرجون عن العلماء وفتاوى العلماء، ثم يخرجون على الحكام. فالسُّنيُّ يلازم أهل العلم، ويصبر على ولاة الأمر كما سيأتي.



[وسطية أهل الكتاب والسنة السلفيين]

بَلْ هُم الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ.

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المُشَبِّهَةِ، وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ الله بَيْنَ الجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ، وَفِي بَابِ وَعِيدِ الله بَيْنَ المُرْجِئَةِ وَالوَعِيدِيَّةِ مِن القَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ المُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ، وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالخَوَارِجِ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الواسطية الحق هي ما وافق الكتاب والسنة.

الثانية: الإسلام هو الكتاب والسنة.

الثالثة: من لزم الحق فقد لزم الوسطية.

الرابعة: لا تصح العقيدة حتى تنقَّى من شوائب البدع والشرك.

الخامسة: أصول أهل البدع ترجع: الغلو أو الجفاء ولوازمهما.

السادسة: أسعد الناس بالوسطية هم السلفيون.

الثامنة: البدعة والشرك ولوازمهما لا تتفق مع الوسطية والاعتدال.

التاسعة: الغلو في الدين والرأي من أصول أهل البدع والشرك.

العاشرة: عقيدة أهل البدع تقوم على (اعتقد ثم استدل).

الحادية عشر: أهل البدع يسرقون أصول البدع من بعضهم.

الثانية عشر: كل أصل من أصول المبتدعة يرجع إلى فرقة كافرة.

....

هذا الفصل من أهم فصول الكتاب حتى يعرف السُّنيُّ موقع هذه الطائفة المنصورة.

قال: (بَلْ هُم الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ). وفرق الأمة كثيرة، تصل أصولها إلى اثنتين وسبعين فرقة، لكن كل الفرق ترجع إلى أمرين: إما غلو وإما جفاء وتفريط ولوازم ذلك، وأهل السنة وسط، لا غلو وتجاوز ولا إهمال وتفريط، كما أن الأمة الإسلامية ممثلة بالصحابة ومن تبعهم بإحسان هي الوسط بين الأمم. قال الله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

أي: عدولًا، خيارًا، أصحاب دين عظيم سليم، ووسطيتهم مقيدة بالكتاب والسنة، ليست إلى العقل أو النظر أو الإعلام، ينظر إذا قالوا كذا وقالوا كذا، يقول: أنا وسط، فأحيانًا الوسطية إذا بنيت على العقل ربما تكون ضالة مضلة، كوسطية ابن كُلاب، نظر إلى أهل السنة يثبتون، والجهمية ينفون، ووقع وسطًا، أثبت بعضًا ونفى بعضًا، فهذه وسطية ضلال. لكن أهل السنة وسطيتهم مقيدة بالدليل، مقيدة بكتاب الله وبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قوله: (فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المُشَبِّهَةِ) انقَسَمَ الناسَ في صفات الله عز وجل إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الجهمية والمعطلة عمومًا. والمقصود بالجهمية أهل التعطيل، يشمل الجهمية والمعتزلة، وبعضهم يلحق الأشاعرة والماتريدية فيقول: هم جهمية في باب الأسماء والصفات، وفي باب القدر. ومذهبهم نفي الصفات، فيثبتون لله عز وجل ذاتًا لا صفات لها، أو يثبتون بعض الصفات وينفون الأكثر.

القسم الثاني: أهل التمثيل المشبهة من الرافضة والكرامية وغيرهم.

الرافضة، وكانوا يقول بعض زعمائهم: إن الله يشبه المخلوق. كالسبئية والخطابية وبعض أتباع مقاتل بن سليمان وهشام بن الحكم.

وقال أبو الحسن الأشعري في "المقالات": وقال داود الجواربي ومقاتل بن سليمان: إن الله جسم وإنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم .. وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا

يشبهه غيره. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما مقاتل فالله أعلم بحقيقة حاله. والأشعري ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة، وفيهم انحراف على مقاتل بن سليمان، فلعلهم زادوا في النقل عنه. أ.هـ وأصل ضلاله في هذا الباب حاصل، فقد رماه أبو حنيفة بذلك، لكن ما ذكره الأشعري فيه مبالغة.

وكذلك الكرامية، هم يثبتون ويغلون في الإثبات، يعني عندهم نوع من التمثيل، لا نقول إنهم ممثلة لكن عندهم نوع من التمثيل. وأطلق عليهم الأشعري اسم المجسمة.

والرافضة من القرن الثالث رجعوا إلى مذهب المعتزلة.

القسم الثاني: أهل السنة وسط، لا يعطلون كما تُعطِّل المعطلة، ولا يُمثِّلون كما تُمثِّل الممثلة، بل يثبتون الصفات وينفون التمثيل، ينفون التمثيل لأن الله عز وجل نفاه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ويثبتون الصفات لأن الله تعالى أثبتها: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فهذا نفي وإثبات في موضع واحد. طيب: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، إثبات ونفي في سورة واحدة، من أقصر السور.

قوله: (وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ). المقصود في باب أفعال الله هو باب القدر، والقدر: يشمل العلم والكتابة والمشيئة والخلق. فالله عز وجل علم ما كان وما سيكون، وهذا لا يختلف فيه طوائف المسلمين. وكتبه في اللوح المحفوظ، وهذا أيضًا اتفقوا عليه.

وأما المشيئة، فقد افترقت الطوائف إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: القدرية المعتزلة ومن معهم من الإباضية والرافضة والزيدية ونحوهم، الذين عطلوا الصفات، وقالوا إن الله عز وجل شاء الخير وما شاء الشر. والعباد يخلقون أفعالهم.

القسم الثاني: وقابلهم الجبرية، وهم الجهمية الذين عطلوا الصفات، والأشاعرة الذين عطلوا عامة الصفات، وإنما أثبتوا سبعًا وبطريقة ناقصة. انضم هؤلاء إلى هؤلاء، فقالوا إن الله عز وجل يشاء كل شيء، وما خلق شيئًا إلا شاءه، ثم تجاوزوا وقالوا: إن المخلوق ليس له مشيئة بالكلية ولا إرادة، وليس له قدرة على تغيير شيء من أفعاله. وقالوا: إن الله هو الفاعل الحقيقي لأفعال العباد، والعباد إنما أفعالهم علامة على فعل الله تعالى، ليس لهم تأثير. كرأس الشجرة في مهب الرياح، وزادت الأشاعرة شيئًا سموه الكسب، ما هو الكسب؟ قالوا: الإنسان عنده كسب يحاسب عليه. ذكروا أكثر من عشرة أقوال يفسرون الكسب، حاصلها أن الكسب خرافة، حتى قال بعضهم: إن كسب الأشعري ومهدي الرافضة وطفرة النظام سواء.

فهذه خلاصة مذهب النفاة والجبرية. وسيأتي مزيد في باب القدر.

القسم الثالث: أهل السنة قالوا: نؤمن بمراتب القدر الأربع، ونقول إن الله عز وجل شاء الخير، وشاء الشر لحكمة أرادها سبحانه وتعالى، وكل شر أراده الله عز وجل إنما أراده لحكمة.

فمشيئة الله تعالى وحكمته خير؛ علمه من علمه وجهله من جهله.

وقالوا أيضًا: إن الله عز وجل خلق أفعال العباد. كيف خلق أفعال العباد؟ قالوا: خلق العباد، وهذا لا يختلف فيه أحد. وخلق لهم مشيئة وإرادة، وخلق لهم قدرة واستطاعة، وهم بهذه الإرادة والقدرة يباشرون الأعمال بأنفسهم بإرادة حقيقية وأفعال حقيقية.

ثم الله جل وعلا علم في أناس الخير فوفقهم وأعانهم على الخير واجتناب الشر، وعلم في أناس الشر فلم يعنهم. الله عز وجل، تركهم، وهذا هو معنى الخذلان، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾.

قال: (وَفِي بَابِ وَعِيدِ الله بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالوَعِيدِيَّةِ مِن القَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ).

القسم الأول: المرجئة وهم الأشاعرة والجهمية الجبرية والماتريدية والكرامية والصوفية ونحوهم ممن يخرج العمل من الإيمان، وينفي الزيادة والنقصان، فالجهمية والأشعرية هم غلاة مرجئة، والأحناف الماتريدية وهم مرجئة لكنهم أخف من الأشاعرة. وكلهم قالوا: إن العاصي مؤمن كامل الإيمان. فجعلوا الفاسق المجرم مؤمنًا كامل الإيمان.

القسم الثاني: الوعيدية وهم الخوارج وتبعهم المعتزلة والرافضة والزيدية وبعض الحزبيين ونحوهم، فقالوا: من عمل ذنبًا انتفى عنه الإيمان.

القسم الثالث: أهل السنة فقالوا: الإيمان قول وعمل واعتقاد يزيد وينقص، وقد يجتمع في العبد فسوق وإيمان. وقالوا: إن العصاة من أهل الإسلام عندهم إيمان وعندهم فسق.

فإن شاء الله عز وجل عفا عنهم، ومآلهم إلى الجنة، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم ثم يرجعون إلى الجنة.

قوله: (وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ). وهذه تابعة للمسألة السابقة. فاسم الإيمان: أي: من هو الذي يستحق اسم الإيمان؟ المرجئة قالت: كل موحد يستحق ولو كان عاصيًا اسم الإيمان الكامل.

وقالت المعتزلة: من عصى فليس بمؤمن ولا كافر في الدنيا، وهو في الآخرة خالد في النار.

وقالت الخوارج: هو كافر في الدنيا حلال الدم والمال، مخلد في النار.

وقال أهل السنة: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بمعصيته، فلا نعطيه اسم الإيمان الكامل، ولا ننفيه بالكلية.

قال: (وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالخَوَارِجِ). انقسم الناس في هذه المسألة خمسة أقسام:

القسم الأول: الرافضة كفروا الصحابة إلا نفرًا يسيرًا من آل البيت وغيرهم.

القسم الثاني: الخوارج كفروا بعض الصحابة وهم أصحاب الجمل وصفين وعثمان.

القسم الثالث: بعض المعتزلة كفروا معاوية ومن معه، ومنهم من كفَّر عليًّا ومعاوية كالخوارج، ومنهم دون ذلك، وكثير منهم يعظمون الصحابة.

القسم الرابع: النواصب من بني أمية ممن سب أهل البيت عصبية دنيوية وحمية لحكامهم وهؤلاء اندثروا.

القسم الخامس: أهل السنة أعطوا للصحابة منزلتهم الرفيعة ولأهل البيت الصالحين منزلتهم الرفيعة، سواء كانوا من الصحابة أو بعد الصحابة. فهم وسط، وستُعاد هذه المسائل مرة أخرى عند كلام المؤلف رحمه الله تعالى على الصحابة.



[تكرار الكلام على العلو والاستواء والمعية]

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِن الإِيمَانِ بِالله: الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمةِ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْله: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤] وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلاَفُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلاَفُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ، بَل الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ الله مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِه، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلاَمِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنْ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ مِثْلَ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِه : ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُقِلُّهُ، أَوْ تُظِلُّهُ وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾،

وَهُوَ ﴿يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ﴾، ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الرّوم: ٢٥].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: أصل التعطيل والتمثيل سوء الظن بالله تعالى.

الثانية: كلام الله تعالى كله حق يصدق بعضه بعضًا.

الثالثة: البدع خلاف الشرع واللغة والعقل.

....

هذا الفصل يعتبر مكرراً لفصل سابق. وصفة الاستواء على العرش، وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، إجماع السلف الصالح، وإنما خالف في هذه المسألة أهل البدع، وكان الناس متفقون أن الله عز وجل في السماء فوق العرش، حتى ظهر الجهم بن صفوان في آخر القرن الأول، وجهر ببدعة في بداية القرن الثاني، فأُخذ وقُتِلَ، وخمدت هذه البدع حتى أذاعها مرة أخرى المعتزلة، ثم الأشاعرة وهم أكثر من نشر التعطيل؛ لأن المعتزلة فرقة ضالة، تصرح بضلالها، فهم قلة، بخلاف الأشاعرة فإنهم يتلونون ويدعون التنزيه، فنشروا شراً كثيراً.

والمعية تعني أن الله تعالى مع خلقه بعلمه وإحاطته وقدرته؛ فإنها هي المذكورة في سورة الحديد، قرن الله عز وجل الاستواء بالعلم، فذكر الاستواء، وأنه فوق العرش، ثم ذكر أنه يعلم، وأنه مع خلقه أي بعلمه وإحاطته. وهذا القمر الناس في عدد من المحافظات، أي شخص يسافر أو يتحرك يرى القمر أمامه، وقريباً منه، وهو مخلوق، فالله عز وجل أعلى وأعظم وأجل، ولله المثل الأعلى، فنثبت لله جميع أفعال الربوبية ، ونقول كما قال الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.



[تكرار الكلام على العلو والقرب]

وقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: ١٨٦]، وَقَوْلُهُ ﷺ لِلصَّحَابَةِ لَـمَّا رَفَعُوا أَصْوَاتَهُم بِالذِّكْرِ: (أَيُّهَا النَّاسُ، اِرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم؛ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ)[١].

وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِه، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

وهذه الجملة أيضاً تعتبر شرحاً للكلام السابق في المعية. فالقرب العام يكون بمعنى المعية، وأيضاً قريب من عباده المؤمنين الصالحين قرباً خاصاً، كما تقدم. والحديث: تقدم الكلام عليه.

وأما أهل الضلال: فمنهم من يفسر قرب العباد بكونهم يقاربونه ويشابهونه من بعض الوجوه فيكونون قريبين منه، وهذا تفسير أبي حامد الغزالي والمتفلسفة؛ فإنهم يقولون: الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة. ومنهم من يفسر قربهم بطاعتهم، ويفسر قربه بإثابته. وهذا تفسير جمهور الجهمية؛ فإنهم ليس عندهم قرب ولا تقريب أصلًا. أ.هـ

****

---

(١) (خ ٢٩٩٢) (م ٢٧٠٤) عن أبي موسى رضي الله عنه.

[تكرار الكلام على صفة الكلام لله تعالى]

وَمِن الإِيمَانِ بِالله وَكُتُبِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلاَمُ الله مُنَزَّلٌ غَيْرُ مخلوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا القُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلاَمُ الله حَقِيقَةً لاَ كَلاَمُ غَيْرِهِ، وَلاَ يَجُوزُ إِطْلاَقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ الله أَوْ عِبَارَةٌ، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ لَمْ يَخْرجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلاَمَ الله تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الكَلاَمَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئاً، لاَ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغاً مُؤَدِّيًا، وَهُوَ كَلاَمُ الله حُرُوفُهُ وَمَعَانِيه، لَيْسَ كَلاَمُ الله الحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي، وَلاَ المَعَانِي دُونَ الحُرُوفِ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الكَلاَمَ يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَه مُبْتَدِئاً، لا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغاً مُؤَدِّيًا.

الثانية: من وصف كلام الله تعالى بالحكاية والعبارة فهو معطل.

الثالثة: كلام الله تعالى الحروف والمعنى.

الرابعة: والصفات لا تقوم إلا بموصوف.

الخامسة: أهل البدع طرفي نقيض.

....

وهذه الجملة تفصيل لما تقدم من الكلام على القرآن. فالقرآن الكريم كلام الله تعالى، أضيف إلى الله تعالى من إضافة صفة إلى المتصف بها. والصفات لا تقوم إلا بموصوف، لا تقوم بنفسها لأنها ليست ذاتًا مستقلة.

قوله: (وَلاَ يَجُوزُ إِطْلاَقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ الله أَوْ عِبَارَةٌ) القول بأنه حكاية قول المعتزلة والكلابية القدماء، والقول بأنه عبارة هو قول الأشعري.

والحكاية المماثلة؛ يعني: كأن هذا المعنى الذي هو الكلام عندهم حُكي كما يحكِي الصدى كلام المتكلم، أو أن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ وبلغه كما هو دون تصرف.

والعبارة هي اللفظ الذي يعبر به عن المعنى، فالمتكلم عبر عن كلامه النفسي بحروف وأصوات خلقها. فجعلوا الألفاظ مخلوقة، والمعاني عبارة عن الصفة القديمة. وقد رد عليهم شيخ الإسلام وبين تناقض هذه الأقوال.

وقوله: (إطلاق القول) أما مع القيد عند الحاجة فلا بأس، قال العثيمين رحمه الله تعالى: فلا يجوز أن نطلق أنه حكاية أو عبارة، لكن عند التفصيل؛ قد يجوز أن نقول: إن القارئ الآن يعبر عن كلام الله أو يحكي كلام الله؛ لأن لفظه بالقرآن ليس هو كلام الله. وهذا القول على هذا التقييد لا بأس به، أ.هـ من شرح العثيمين. فالكلام كلام الباري والصوت صوت القاري.

وقال الشيخ عبد الكريم الخضير رحمه الله تعالى: يقول شارح الطحاوية رحمه الله تعالى: اختلف الناس أو افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

أحدها: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني، إما من العقل الفعّال عند بعضهم، أو من غيره، وهذا قول الصائبة والمتفلسفة.

وثانيها: أنه مخلوق، خلقه الله منفصلاً عنه، وهذا قول المعتزلة.

وثالثها: أنه معنىً واحد، قائمٌ بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عبر عليه بالعربية كان قرآناً، وأن عبر عنه بالعبرانية كان توراةً، إلى آخره، وهذا قول: ابن كلاّب ومن وافقه كالأشعري وغيره. والأشاعرة يقولون: القرآن عبارة عن كلام الله، وابن كلاب يقول: حكاية عن كلام الله.

تنبيه: يكثر في كلام المتعلمين الآن فيما يقوله الله جل وعلا حكاية عن كذا، حكاية عن موسى،

يعني أن الله جل وعلا قاله على لسان فلان، فهذه الجملة هذه الكلمة تجتنب؛ لئلا نوافق المبتدعة.

رابعها: أنه حروفٌ وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام.

وخامسها: أنه حروفٌ وأصوات، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً، وهذا قول الكرّامية وغيرهم.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته، وهذا يقوله صاحب المعتبر، المعروف: هبة الله بن ملكى، وهو طبيب، والمعتبر مطبوع في الهند في مجلدين معروف يعني متداول، وإليه يميل الرازي في المطالب العالية.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنىً قائماً بذاته، هو ما خلقه في غيره، وهذا قول: أبي منصور الماتريدي.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات، وهذا قول: أبي المعالي ومن تبعه.

وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، ويتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام أزلي، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة، أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، ويتكلم به بصوت يسمع، يعني بصوت حرف.

قوله: (بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ لَمْ يَخْرجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلاَمَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الكَلاَمَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئاً، لاَ إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغاً مُؤَدِّيًا) كلام الله تعالى ليس بمخلوق ولو قرأه الناس، لأن الكلام ينسب إلى من قاله، ولو بلغه غيره، وبهذا تبطل حجة المبتدعة.

(وَهُوَ كَلاَمُ اللهِ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيه) كلام الله تعالى الحروف والمعاني كما قاله أهل السنة، (لَيْسَ كَلاَمُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي) كما تقوله المعتزلة والجهمية ونحوهم، (وَلاَ الْمَعَانِي دُونَ الْحُرُوفِ) كما تقوله الكلابية والأشاعرة والماتريدية ونحوهم.

وقد تقدم نقض كلامهم.



[تكرار القول في الرؤية]

وقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِن الإِيمَانِ بِهِ، وَبِكُتُبِهِ، وَبِمَلائِكَتِهِ، وَبِرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْس دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

وهذه الجملة أيضاً تأكيد لما تقدم من الكلام على الرؤية، فقد تقدم بعض الأدلة من القرآن الكريم. ووصفة هذه الرؤية في الوضوح كالشمس في نصف النهار ليس دونها سحاب، هل تخفى على أحد؟ أو هل يزدحم الناس من أجل أن يروا الشمس؟ بل هي واضحة للجميع دون أي زحام، فهكذا الناس يرون الله في الآخرة، لا يزعج بعضهم بعضاً، ولا يستر بعضهم بعضاً؛ لأن الجميع يرى الله عز وجل وهو في علوه.

****

[سؤال القبر ونعيمُه وعذابه]

وَمن الإِيمَان بِاليومِ الآخِرِ: الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ القَبْرِ، وَبِعَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الفِتْنَةُ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: (مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِين آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ المُؤْمِن: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلاَمُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي. وَأَمَّا المُرْتَابُ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ. فَيُضْرَبُ بِمَرْزَبَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصُعِقَ)[1].

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ القِيَامَةُ الكُبْرى، فَتُعادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الإيمان بالغيبيات من أصول العقيدة.

الثانية: الإيمان بنعيم القبر وعذابه وسؤاله من الإيمان باليوم الآخر.

الثالثة: تعظيم دلالة الكتاب والسنة من أصول العقيدة.

الرابعة: الغيبيات الأخروية لا تقاس على المشاهَد في الدنيا.

الخامسة: لا مدخل للعقل في الغيبيات إلا تبعًا للشرع.

السادسة: إعمال العقل في معارضة الغيبيات مدخل إلى الضلال.

---

(١) (خ ٨٢) (م ٩٠٥) عن أسماء رضي الله عنها نحوه، وأحاديث السؤال جاءت عن البراء وأنس وعائشة وأبي هريرة وغيرهم تصل حد التواتر.

السابعة: أسعد الناس بالكتاب والسنة هم السلفيون.

الثامنة: الثبات في القبر بالاعتقاد الصحيح والتقوى.

التاسعة: عذاب القبر ونعيمه على الروح والبدن تبع.

العاشرة: الغيبيات تُتلقى من الكتاب والسنة.

الحادية عشر: النقل مقدم على العقل.

الثانية عشر: والأصل في السؤال والحساب وما أشبه ذلك العموم.

الثالثة عشر: ما لم يرد من الكيفيات لبعض الغيبيات، نؤمن به ولا نخوض في ذلك.

الرابعة عشر: لا يصح في العقيدة والغيبيات: القياس ولاستحسان والمجاز والأحاديث الضعيفة.

الخامسة عشر: الغيبيات لامجال فيها للاجتهاد المحض ولا يصلح فيها التقليد.

....

الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر. والإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بالموت وسكراته، والإيمان بالقبر وسؤاله، وعذابه ونعيمه، والإيمان بالبعث والنشور، والحشر والحساب، والميزان والصراط، والجنة والنار ونحوها.

أول ما بدأ المؤلف في الكلام على اليوم الآخر هو ذكر القبر والموت. والغيبيات تُتلقى من الكتاب والسنة. فإن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه، ولا يُعلم عن الله عز وجل إلا بالوحي الذي هو الكتاب والسنة. فلا تتلقى من المنامات، ولا من الفلسفة وعلم الكلام.

والعقل لا يدرك كثيرًا من الغيبيات، قد يدرك العقل بعض الغيبيات تبعًا للشرع، فقد يدل على البعث مثلاً. يدل العقل على أن هناك بعثًا بالنظر إلى دلائل كثيرة، وقد ذكر الله عز وجل وخاطب المشركين بحجج عقلية، فضرب لهم مثلاً بالأرض ينزل عليها المطر فتحيا من جديد. والنقل مقدم على العقل، وهذا في باب الغيبيات وغيرها. والإيمان بالغيبيات من الإيمان بالله تعالى؛ لأن الله جل وعلا هو الذي أخبر بهذا الغيب، وهو سبحانه أصدق قيلاً وأحسن حديثًا. والأصل في السؤال والحساب وما أشبه ذلك العموم. مثلاً سؤال القبر يعم المسلم والكافر، والكبير والصغير، فلا يُخرج إلا ما دل الدليل على خروجه.

وقد دل الدليل على خروج الأنبياء والرسل والشهداء والمرابطين، والأطفال على الراجح.

وما لم يرد من الكيفيات لبعض الغيبيات، نؤمن به ولا نخوض في ذلك. ما ورد نؤمن به ، مثل الميزان له كفتان، كل كفة مد البصر. هذا مما ورد من كيفية الميزان. بقية الكيفية وكيف يزن؟ هذا من الغيب فلا نعلمه. وإنما نؤمن بما علمنا، وما غاب عنا نكل علمه إلى الله سبحانه. فنقول له كيفية لا يعلمها إلا الله سبحانه. وقياس الغيبيات على المشاهدات باب ضلال. بعض الناس إذا نظر إلى القبر مثلاً لا يرى فيه العذاب فيقول: ما رأينا شيئًا فلماذا نقول بعذاب القبر؟ إلى غير ذلك من القياس الفاسد.

قوله: (فَأَمَّا الفِتْنَةُ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: (مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟) وفتنة القبر هي سؤال منكر ونكير. فتنة بمعنى اختبار، يُسأل الإنسان: (من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟) ثلاثة أسئلة، وربما يُسأل غير هذه الأسئلة، لكن المقصود بفتنة القبر هذه الأسئلة، وذلك في أكثر من عشرة أحاديث صحيحة.

ومنها حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ) رواه الترمذي (١٠٧١).

(فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِين آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] قَالَ: (نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ﴾).

(خ ٤٦٩٩) (م ٢٨٧١). وجاء بأوسع من هذا في حديث البراء بن عازب عند ابن أبي شيبة وأحمد.

قال: (وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لاَ أَدْرِي،...) المرتاب هنا الكافر وكذلك المنافق. وبعضُ الموحدين قد يخطئ في الجواب، والسبب في ذلك أنه مثلاً من غلاة أهل البدع، أو من أهل الفجور. فقد يخطئ في ذلك ويحصل له العذاب، وإلا فالأصل في الموحدين أنهم يجيبون الجواب الصحيح.

قال: (سَمِعْتُ النّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ) وهذا دليل من قال: لا يصح التقليد في أصول العقيدة، وقد تقدم الكلام عليها في المقدمة.

(فَيُضْرَبُ بِمَرْزَبَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصُعِقَ) وهي القطعة من حديد التي يُضرب بها المسامير وما أشبه ذلك. فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان وهكذا الجن في حكم الإنس. «ولو سمعها الإنسان لصعق»، يعني لمات من شدة الخوف والرعب.

قال: (ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ إمَّا نَعِيمٌ، وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ القِيَامَةُ الكُبْرَى، فَتُعادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ) بعد هذا السؤال، إن كان أجاب الجواب الصحيح فيُفتح له باب من الجنة، ويُوسع له قبره، ويأتيه من روحها وريحانها. وإن كان كافرًا أو منافقًا، فيُفتح له باب إلى النار من حرها وسمومها، وقد يعذب بأكثر من هذا، من الضرب والسحب والحريق وغير ذلك، كما تقدم في

حديث أبي هريرة، وهو وارد بتفاصيله في حديث البراء الطويل، ينظر عند أحمد (١٨٥٣٤).

والصنف الثالث هم عصاة الموحدين، فهم تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى، إن شاء عذبهم، كما ورد في حديث سمرة الطويل (خ ٧٠٤٧)، وأنهم يُعذبون بأنواع من العذاب. وفي حديث أبي أمامة أيضًا في عذاب القبر نحوه (ابن خزيمة/ ١٩٨٦)، أدلة كثيرة تصل إلى حد التواتر.

فبعض عصاة الموحدين لا يغفر الله جل وعلا له بسكرات الموت وشدته، فيعذب في قبره.

وقد يطول عذابه إلى البعث، وقد يعذب برهة من الزمن، ثم بعد ذلك يغفر الله تعالى له، ويُحوَّل إلى النعيم. ويتفاوت العصاة في هذا، فهم إلى الله سبحانه وتعالى.

وعذاب القبر ونعيمه يقع على الروح والبدن، لكنه بالروح ألصق. فالنعيم يكون في حق الروح أكثر، فهي تذهب حيث شاء الله سبحانه ثم تعود إلى البدن. والعذاب كذلك يكون على الروح وعلى البدن، وهو بالروح ألصق. فالأصل في العذاب والنعيم أنه للروح، والبدن تابع لذلك، فإن الله عز وجل إذا صار العبد في القبر أعاد عليه جسده، أنشأ جسده كيف شاء.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليها في هذه الحال مجتمعين كما تكون على الروح منفردة عن البدن. نقله ابن القيم (الروح / ٥١).

وأنكر عذاب القبر بعض العقلانيين من المعتزلة كضرار بن عمرو، وبشر المريسي ومن وافقهما من معتزلة بغداد ومن تبعهم من الخوارج وبعض الرافضة، أما أكثر المعتزلة فعلى خلاف ذلك. وبعضهم كالجبائي يرى عذاب القبر لأهل التخليد من الكفار والفساق دون المؤمنين، ويرى ابن حزم رحمه الله أن عذاب القبر على الروح دون الجسد.

وقال شيخ الإسلام أيضًا: قول من يقول إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح وأن البدن لا ينعم ولا يعذب وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين

ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الأبدان لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور لكن هؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط، ويقولون إن الأرواح هي المنعمة أو المعذبة في البرزخ، فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معًا، وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم.

ويرد عليهم بأدلة كثيرة منها ما نص على ذكر البدن كالحديث الذي ذكر في المتن، فالضرب لا يكون إلا على بدن، وهكذا في حديث سمرة وأبي أمامة تعلق العذاب بالبدن مع الروح، نحو قوله: (وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ، وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي)، وهذا صريح واضح.



[البعث والحشر]

وَتَقُومُ القِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، وَتَدْنُو مِنْهُم الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُم العَرَقُ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: البعث والحشر حق من أنكره كفر.

الثانية: البعث يكون للروح والبدن.

الثالثة: نؤمن بما ورد من كيفية البعث.

الرابعة: أهوال القيامة لا تقاس على شدائد الدنيا.

الخامسة: البعث عام لكل المكلفين وما شاء ربك.

السادسة: تنشا الأبدان على صفة تتناسب مع الحياة الأبدية.

....

القيامة وهي البعث، وهو إخراج الخلق من قبورهم. يخرجون من قبورهم حفاة عراة غُرلاً، ليس عليهم ثياب، ولا خُتِنوا. فيمشون إلى أرض الحشر الأول، حيث شاء الله تعالى من الجسر، كما في حديث ثوبان رضي الله عنه (فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ الناس حين تبدل الأرض غير الأرض والسَّماوَات؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ) (م ٣١٥). عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ: «عَلَى الصِّرَاطِ» (٢٧٩١). تُبَدَّلُ: تغير صفتها لا ذاتها.

ثم يخرجون إلى هذه الأرض بعد تسويتها كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾، وآيات أخرى.

وأهل السنة يؤمنون أن الله عز وجل يبعث الأرواح والأجساد، لكن الأجساد تفنى في القبر ولا يبقى إلا عَجْب الذَّنَب، ومنه يُركب الخلق يوم القيامة. فأصل الجسد هو الجسد الذي كان في الدنيا، لكن يُنشأهُ نشأة أخرى مُعدة للبقاء، نشأة مناسبة للآخرة، ليست كالنشأة التي كانت في الدنيا معرضة للفناء، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾.
وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وفي الحديث: « لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ» متفق عليه. وهو عظم كالخردلة آخر سلسة الظهر.
وأما أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة فيقولون بأن البعث إعادة ما تفرق بذراته، وهو أشبه بقول الفلاسفة أن الذرية لا تفنى ويسمونها: (الجواهر المفردة).

(وَتَدْنُو مِنْهُم الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُم العَرَقُ) وهذا في أرض المحشر، عن الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلجَامًا» قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ. (م ٢٨٦٤) وجاء عن أبي أمامة وعقبة أيضًا.

[الإيمان بالميزان]

(فَتُنْصَبُ المَوَازِينُ فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ العِبَادِ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ١٠٢ – ١٠٣])

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الإيمان بالميزان من الإيمان بالغيب.

الثانية: الميزان الأخروي حق على ظاهره.

الثالثة: توزن الأعمال وعمالها والصحائف.

الرابعة: نؤمن بما ورد من كيفية الميزان، وبما لم يرد.

الخامسة: من فسر الميزان بالعدل فهو عقلاني.

....

الميزان هو: ما يوزن به الأعمال يوم القيامة، وله كفتان كما في حديث البطاقة. وهو ميزان واحد على الراجح، وذُكر بلفظ الجمع لتعدد الوزن، فتارة يُوزن العمل، وتارة العامل، وتارة الصحف، وتارة الثواب، كما يشاء الله تعالى، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ». (خ ٦٤٠٦) (م ٢٦٩٤). وفي حديث البطاقة دلالة على أن له كفتين، كل كفة مد البصر، (الترمذي/ ٢٦٣٩)، وأجمع أهل السنة على أن له لسان، اللسان هو الرابط بين الكفتين

قال أبو إسحاق الزجاج رحمه الله تعالى[(١)]: "أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأنّ أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأنّ الميزان له لسان، وكفتان، ويميل بالأعمال...

ومما يدل على وزن العامل قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾، وحديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال في ساقيه: «مَا يُضْحِكُكُمْ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[(٢)]. فإذا جمعنا بين الأدلة نجد أن الوزن يقع للعامل والعمل الذي هو الحسنات والسيئات، وكذلك للصحائف كما في حديث البطاقة.

وأنكر بعض المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بأنفسها، وقالوا: إنما معناه العدل.

ويرد عليهم هذا مخالف للكتاب والسنة والإجماع، وبأن الله تعالى يجعلها أعراضًا كما في حديث أبي هريرة السابق، (ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ) ثوابهما، وثواب القرآن ونحوه لا خلاف أن المراد ثوابهما؛ لأن كلام الله تعالى صفة من صفات لا تنفك عنه تعالى. وأيضًا وصف الميزان بأن له كفتين وأنه يوزن به كذا وكذا، دليل على أنه ميزان حقيقي. وأدلة الميزان في الكتاب والسنة تزيد على ثلاثين دليلاً، فهذا ينفي المجاز الطاغوتي الذي نصبه أهل البدع لمعارضة الكتاب والسنة.



(١) قيل في ترجمته: كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، وكلامه نقله الحافظ في الفتح (١٣/ ٥٣٨).

(٢) رواه ابن حبان (٧٠٦٩) وصححه الشيخان.

[الإيمان بنشر الصحف]

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ - وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ- فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإِسْرَاءِ: ١٣ - ١٤].

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الإيمان بنشر الصحف من الإيمان بالغيب.

الثانية: الأخذ للصحف حسب العمل في الدنيا.

الثالثة: الأصل أن الأخذ بالشمال في حق الكفار.

الرابعة: نؤمن بما ورد من كيفية الصحف، وبما لم يرد.

الخامسة: الكتابة عامة لعمل القلب والجوارح.

....

تنشر الدواوين ؛ أي: تفرق وتفتح لقارئها. وهي السجل الذي تكتب فيه الأعمال، وهي صحائف الأعمال التي كُتبت في الدنيا، كتبها رقيب وعتيد. هذه الدواوين يؤتى بها يوم القيامة ثم يُعطى كل إنسان كتابه، فآخذ باليمين ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ وهم من أراد الله جل وعلا نجاتهم، وآخذ بالشمال ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ وهم من أراد الله سبحانه وتعالى عذابهم. وقال: وكون بعض الناس يأخذ من وراء ظهره، لعله قسم ثالث، ويقال: إنه يفر بيده إلى ورائه فتقع صحيفته في يده وهي وراء ظهره. وقيل بل تُلوى من باب التعذيب تُلوى شماله إلى وراء ظهره، والله المستعان. وقوله تعالى: (أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ) أي عمله فلا ينفك عنه، ثم يراه في صحيفته يوم القيامة.

[الإيمان بالحساب]

ويُحاسِبُ اللهُ الخلائِقَ، ويخلو بعبدِه المؤمِنِ فيقرره بذنوبه كما وُصِفَ ذلك في الكِتَاب والسُّنةِ. وأمَّا الكفارُ فلا يُحاسبونَ مُحاسبةَ مَن تُوزَنُ حسناتهُ وسيئاته؛ فإنَّهُ لا حَسناتٍ لهم، ولكن تُعَدُّ أعمالُهم فتُحصى فيوقفون عليها، وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ عَلَيْهَا.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الإيمان بالحساب من الإيمان بالغيب.

الثانية: شدة الحساب يكون حسب العمل في الدنيا، ويعفو عن كثير.

الثالثة: الأصل أن حساب المؤمن يسير، إلا من شاء ربك.

الرابعة: نؤمن بما ورد من كيفية الحساب، وبما لم يرد.

الخامسة: الحساب عام للمكلفين إلا ما دل الدليل على خلافه.

....

الحساب: إطلاع العباد على أعمالهم يوم القيامة.

ويُحاسب الله تعالى الخلائق والحساب على ثلاث طرق:

أولاً: حساب غير المكلفين. ويكون بالاقتصاص للمظلوم من الظالم، كما في حديث: «حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» (م ٢٥٨٢)، ثم بعد ذلك تصير ترابًا.

ثانيًا: حساب الكفار. تُعرض عليهم أعمالهم، ويُقرَّعون عليها، ويُذَمون على فعلها. كما في حديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي)،... وهؤلاء الكفار،

وأما المنافق: (ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ).(م ٢٩٦٨). ثم بعد أن يُقرروا بذنوبهم يطلبون الرجعة من أجل أن يُحسنوا العمل، ولكن لا يُقبل منهم.

ثالثًا: حساب المؤمن. والمؤمنون على أقسام ثلاثة:

* **القسم الأول**: لهم حسنات تكون سببًا في العفو عنهم. وهؤلاء هم الواردون في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ».

(خ ٢٤٤١) (م ٢٧٦٨). فيُعطى صحيفته بيمينه.

* **القسم الثاني**: بعض المؤمنين، لا سيما إذا كانت عنده مظالم للخلق، فإنها تعرض عليه الصغائر والكبائر. كما في حديث البطاقة قال: «فيُعرض عليه تسعة وتسعون سجلاً كلها ذنوب وخطايا». تُعرض عليه الصغائر والكبائر. ثم إذا شاء الله عز وجل عذبه، كما يُعذب مانع الزكاة وغيره في أرض المحشر. وإذا لم يفِ عذاب المحشر بذنوبه أُدخل النار.

وبعض الموحدين يفضحه الله عز وجل على رؤوس الخلائق، كما في حديث أنس رضي الله عنه (خ ٣١٨٦) (م ١٧٣٧): (لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، قَالَ أَحَدُهُمَا: يُنْصَبُ، يَوْمَ القِيَامَةِ، يُعْرَفُ بِهِ) وهو حديث مستفيض، نسأل الله تعالى الستر والعافية.

القسم الثالث: وهو من لا حساب عليهم كالأنبياء والرسل، والسبعين ألفًا أصحاب عكَّاشة، وغيرهم ممن شاء الله تعالى، اللهم اجعلنا منهم.

وقوله: (وأمَّا الكفارُ فلا يُحاسبونَ مُحاسبةَ مَن تُوزَنُ حسناتهُ وسيئاته...) هذا الأصل، لكن قد يوزن الكافر نفسه، كما في الآية السابقة، وحديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، ﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا﴾)، (خ٤٧٢٩) (م ٢٧٨٥).



[الإيمان بالحوض المورود]

وَفِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ الحَوْضُ المَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: (مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِن اللَّبنِ، وَأَحْلَى مِن الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَن يَشْرَبْ مِنْهُ شَرْبَةً لاَيَظْمأْ بَعْدَهَا أَبَدًا) (١).

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الإيمان بالحوض من الإيمان بالغيب.

الثانية: الأولوية في الشرب تكون حسب العمل في الدنيا.

الثالثة: الأصل أن الموحدين يشربون من الحوض، إلا من شاء ربك.

الرابعة: نؤمن بما ورد من كيفية الحوض، وبما لم يرد.

الخامسة: الأصل أن الشرب عام للمكلفين وغيرهم كالأطفال.

السادسة: الحوض كرامة لأهل التوحيد خاصة.

....

(١) ورد الحوض وصفته في حديث أبي ذر رضي الله عنه (م ٢٣٠٠)، وجاء من حديث ثوبان رضي الله عنه (م ٢٣٠١)، وجاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أكثره (خ ٦٥٧٩) (م٢٢٩٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه (م ٢٤٧).

وجاء ت أحاديث الحوض عن أبي سعيد وسهل بن سعد وعقبة وجندب وأسماء وأنس وحارثه وابن مسعود وابن عمر وجاء عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وحذيفة وعائشة وأم سلمة وجابر بن سمرة والمستورد وكلها في الصحيح، وخارج الصحيح عن الصُّنَابِحِ الأَحْمَسِيِّ رواه ابن ماجه، وجاء عن آخرين، وأوصلها بقي بن مخلد في كتابه (ما روي الحوض والكوثر) إلى (٤٣).

هذه الجملة في إثبات الحوض أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الحوض الذي أكرم الله تعالى به نبينا ﷺ في عرصات يوم القيامة، يشرب منه المؤمنون من أمته دون معوّق أو مكدر، فلا ينالهم بعد ذلك نَصَب ولا وَصَب ولا ظمأ، كما صحت بذلك الأخبار عنه.

والحوض لغة: هو مجمع الماء. وشرعًا: هو حوض نبينا صلى الله عليه وسلم الذي يكون في عرصات القيامة.

وهذا الحوض هل يوجد قبل أن تُبدل السماوات والأرض؟ يعني يوجد على هذه الأرض بهذه الصفة عند أن يخرج الناس من قبورهم فيمرون على الحوض ويشربون؟ أم أنه يكون بعد أن تُسوى الأرض، فيخرج الناس من ظلمة الجسر فيشربون من هذا الحوض؟ الله أعلم، ليس هناك دليل ينص على هذا أو هذا. لكن الناس يخرجون من قبورهم، عُطاشًا فناسب أن يمر أهل التوحيد والإيمان فيشربون من الحوض قبل أن يصيروا إلى ظلمة الجسر. ومن قدّم وأخر، فهذا مجرد اجتهاد، ليس هناك نص في هذه المسألة. وقد اختلف أهل السنة في ترتيب الأعمال أو القضايا في يوم القيامة، والخلاف في هذا ليس مما يُبدع به المخالف.

ونؤمن بما ورد من صفة الحوض أن طوله وعرضه مسيرة شهر. وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك أمثلة فقال: «من عمان إلى المدينة»، وقال: «من صنعاء إلى المدينة»، وقال: «من المدينة إلى عمان »، التي في الأردن، وغير ذلك من الأمثلة. مجموعها يدل على ما جاء بلا إشكال أنه مسيرة شهر. وهذا حوض عظيم كبير.

ومن صفاته أن ماءه ينزل من نهر الكوثر. قال: «يصب فيه ميزابان من نهر الكوثر».

ومن صفاته أن ماءه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل.

ومن الصفات التابعة أيضًا للحوض أن الآنية وهي الكيزان التي يشرب الناس منها كعدد نجوم السماء. والشرب يكون لهذه الأمة من الإنس والجن، من أهل التوحيد خاصة.

وهل للأمم السابقة أحواض أخرى تخصهم؟ ورد في ذلك حديث: «لكل نبي حوض». فمن صحح الحديث فذاك، ومن لم يصحح الحديث فإن الأمم تشرب من حوض نبينا صلى الله عليه وسلم بعد شرب أمته. وأول هذه الأمة شربًا هم أهل اليمن، الصحابة من أهل اليمن ومن شاء الله تعالى من غيرهم. ثم الصحابة عمومًا، ثم من شاء الله عز وجل.

ويُرد عن الشرب من الحوض من ادعى الإسلام ثم ارتد، وكذلك الظلمة، وغلاة أهل البدع ممن أحدثوا في الدين، وغيرهم عدهم بعض الناس إلى ستة أو سبعة أصناف، إذا وردوا ردوا وقيل لهم: «سحقًا سحقًا، سحقًا لمن غير وبدل».

وخاض بعض المبتدعة في مسألة الحوض ومنهم من أنكره، وعامة المسلمين لم يلتفتوا إليهم.

ذكر بعضهم أصول المعتزلة ومنها: كثير منهم ينكر السمعيات كالحوض والصراط...



[الإيمان بالصراط وصفته]

وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ - وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ - يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ وَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ. فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ[(١)]. فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ..

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الإيمان بالصراط من الإيمان بالغيب.

الثانية: السرعة على الصراط تكون حسب العمل في الدنيا.

الثالثة: الأصل أن الموحدين يجوزون الصراط، إلا من شاء ربك من عصاتهم.

الرابعة: نؤمن بما ورد من كيفية الصراط، وبما لم يرد.

الخامسة: المرور على الصراط آخر أهوال الآخرة لمن تجاوزه.

السادسة: المرور على الصراط لأهل التوحيد خاصة.

السابعة: الأصل أن المرور على الصراط عام للمكلفين وغيرهم كالأطفال.

....

قال: (وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ) ممتد فوقها، (يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ) أهل التوحيد خاصة

---

(١) ورد هذا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه (خ ٧٤٣٧) (م ١٨٢) وأبي سعيد رضي الله عنه (خ ٤٥٨١ م ١٨٣) وغيرهما.

لأن الكفار يُدفعون إلى النار قبل ذلك، وبعدهم أهل النفاق قبل المرور على الراجح كما في آية الحديد: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.

وهذه المسألة وهي الإيمان بالجسر. وهو جسر حقيقي يمد على جهنم. وصفة هذا الجسر التي وردت في الأحاديث أنه ممتد على متن جهنم إلى القنطرة. وجاء من صفته في حديث أبي سعيد وغيره أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف. وأيضًا أنه مَزلَقَة، أنه دَحْضٌ، لين كالشيء المرشوش بالماء، بحيث من وضع رجله ينزلق.

والمرور على هذا الصراط يكون على قدر العمل في الدنيا: التوحيد والسنة والطاعة، فمنهم كالبرق، كالأنبياء والرسل والصالحين والصحابة. ومنهم كلمح البصر، من كان بعدهم في الصلاح، وهكذا يتناقص الناس في السرعة على قدر أعمالهم.

ومنهم من يزحف، وهؤلاء الذين يمشون أو يزحفون من هذا مَن الصنف يسقط في النار.

والكلاليب وهي خطاطيف كشوك السعدان شوكها منعطف من رأسه. فمن وقعت في جسده ألقت به في النار أعاذنا الله تعالى وإياكم.

وبعض أهل البدع أنكر صفة الصراط، قال: كيف يمشون على صراط كالشعرة؟ كيف يمشون عليه؟

وهذه علة عليلة، أليس الطير يطير في السماء؟ وهو مع ذلك لا يعتمد ولا على شعرة؟ وهكذا في زماننا الطائرات وغيرها لا تعتمد حتى على شعرة فالاعتماد على شعرة من باب أولى. ثم ربنا جل وعلا على كل شيء قدير، جعل العبور من هذا الصراط ليس بتثبيت القدم، وإنما على قدر العمل. والله أعلم.

وزعم بعض الصوفية أن أولياءهم يمرون الصراط بمن شاءوا...

وزعمت بعض الرافضة أن الصراط لا يجوزه أحد إلا بعد السؤال عن الولاية...



[الإيمان بالقنطرة]

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ. وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الإيمان بالقنطرة من الإيمان بالغيب.

الثانية: القصاص على القنطرة تتمة لحساب عرصات القيامة.

الثالثة: القصاص على القنطرة لتنقية القلوب.

الرابعة: نؤمن بما ورد من كيفية القنطرة، وبما لم يرد.

الخامسة: الوقوف على القنطرة يتفاوت زمنه بين المؤمنين.

....

القنطرة هي الجسر، لكن هذه القنطرة تكون بعد العبور من الصراط الذي يكون على جهنم، يعني: تكون بعد جهنم. فإذا وصلوا إليها أَمِنُوا من السقوط في النار، عند ذلك يُقْتَصُّ بعضهم من بعض. وهذا القصاص يكون من بعض المظالم، ويكون القصاص الأول عند الحساب، وهذا قصاص آخر؛ لإزالة ما في النفوس. فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا وأصبحوا على قلب واحد، عند ذلك ، يؤذن لهم في دخول الجنة. ويبقى المؤمنون فيها حتى تنتهي الشفاعة، وبعد الشفاعة يدخلون الجنة كما سيأتي. فإنهم إذا قيل لهم: ادخلوا الجنة، قالوا: لا ندخل حتى يخرج إخواننا من النار. كما في مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وفيه: (حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا

يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدِ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ المَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ...). ويبقى أناس يتأخرون في النار بعد ذلك، ثم يخرجون بعد أن دخل أهل الجنة الجنة، كما في أدلة أخرى.

ومما يدل على أن الوقوف بالقنطرة متفاوت حديث أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِخَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ».

(الترمذي/ ٢٣٥١)، وجاء بلفظ: «إِنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الْأَغْنِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الجَنَّةِ، بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، والتفاوت بين الفقراء بحسب العمل أو الحساب.

قوله: (فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ) وهذا يكون بعد الشفاعة، وتكون كما وقع في المحشر من التردد على آدم عليه السلام فما دونه، حتى يقوم بها نبينا محمد ﷺ، عَنْ حُذَيْفَةَ وأبي هريرة رضي الله عنهما، قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ المُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الجَنَّةُ، فَيَأْتونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتِحْ لَنَا

الجَنَّةَ...). وذكر الحديث، وهذا في القنطرة، والله أعلم.

وقوله: (وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ) كما في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ» (١٩٦). وبلفظ: (آتِي بَابَ الجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ) (م ١٩٧).

وقوله: (وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن الأُمَمِ أُمَّتُهُ) يفهم هذا من حديث أبي هريرة السابق وفيه: (فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ)، وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ أيضًا، عن رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ...)، لفظ مسلم (٨٥٥).



[الإيمان بالشفاعة والجنة والنار]

وَلَه ﷺ فِي القِيَامَةِ ثَلاَثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ المَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ: آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ، وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِي مَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ، وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِي مَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا. وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَة، بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَيَبْقَى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ عَنْ مَنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الإيمان بالشفاعة من الإيمان بالغيب.

الثانية: الشفاعة بجميع أقسامها حق.

الثالثة: الشفاعة كرامة للشافع وفضل عليه.

الرابعة: الشفاعة خاصة بالموحدين دون غيرهم.

الخامسة: من أنكر الشفاعة فهو ضال.

السادسة: من أنكر الشفاعة فقد سوى بين الموحدين والمشركين.

السابعة: البدع تدعو بعضها بعضًا.

الثامنة: ما بني على باطل فهو باطل.

التاسعة: من ضل في مسألة الإيمان ضل في مسألة الشفاعة.

العاشرة: منكرو الشفاعة من الطوائف فروخ للخوارج.

الحادية عشر: من طلب الشفاعة بالشرك فقد حرم منها.

الثانية عشر: القبورية أجهل الناس بالشفاعة الحق.

الثالثة عشر: أصل الشفاعة الدعاء الخالص لله تعالى.

....

الشفاعة عمومًا، هي: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

وأما الشفاعة إلى الله تعالى فهي: دعاء الله تعالى لجلب مصلحة أو دفع مضرة عن الغير.

وتفاصيلها كالتالي:

١- الشفاعة العظمى: وهي الشفاعة لأهل الموقف حتى يقضي الله تعالى بينهم، وهذه الشفاعة ثابتة بإجماع المسلمين، وهذا هو المقام المحمود الذي اختص الله به محمداً ﷺ.

ودل عليها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في الشفاعة، وأدلة أخرى ذكرها شيخنا في كتابه "الشفاعة".

٢- الشفاعة للمؤمنين من أمته ﷺ بدخول الجنة، قال شيخ الإسلام: وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

وهذه الشفاعة خاصة بنبينا ﷺ أيضاً، وعليها أدلة كثيرة، ففي حديث الشفاعة الطويل:

«يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»، وقد ذكر شيخنا رحمه الله تعالى أدلة كثيرة في كتابه.

٣- شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب بتخفيف العذاب عنه، كما ثبت ذلك في نحو عشرة أحاديث، ومنها حديث العباس وأبي سعيد والنعمان وابن عمر وابن عباس وسهل رضي الله

عنهم، وكلها في "الصحيح".

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: لما قام به من نصرة النبي ﷺ والدفاع عنه وعما جاء به.

٤- الشفاعة لأهل الكبائر، وهي عامة، وحظ نبينا ﷺ أوفر حظ.

٥- وذُكر أيضاً: الشفاعة لسبعين ألفاً أن يدخلوا الجنة بغير حساب، والتحقيق أن هذه داخلة في الثانية كما سبق في الحديث.

٦- وذُكر أيضاً: الشفاعة في رفع درجات من يدخل الجنة فوق درجاتهم، وقد وافق على هذه الشفاعة المعتزلة والخوارج، ودليل هذه الشفاعة: الإجماع، ولا بأس بالاستدلال بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١]. وهكذا قول النبي ﷺ في الوالد: «ترفع درجته في الجنة، فيقول: يا رب، أنَّى هذا؟! فيقالك هذا باستغفار ولدك لك». وهو حديث صحيح. وهكذا دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين» (م ٩٢٠).

٧- الشفاعة لمن أمر به إلى النار، فيشفع الشافعون لبعضهم أن لا يدخلوها، ومن ذلك شفاعة الأفراط، وشفاعة القرآن والصيام والرسل وغيرهم، والحظ الأكبر من ذلك لنبينا محمد ﷺ.

قوله: (وَيُخْرِجُ اللهُ مِن النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَة، بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ) كما تقدم في الحديث عند ذكر القنطرة. وهؤلاء أناس ما عرفهم أحد ولا شفع فيهم أحد، جاء في الحديث: «لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ»، لقلة ما فيهم من الخير، مع أن عندهم التوحيد، ما أحد عرفهم. فيأخذهم الله -عز وجل- بقبضة من قبضاته، أو حثيات، قال: «ثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي»، فيضعهم في نهر الجنة فيحيون، لكن تبقى عليهم علامات، حتى إن بعضهم يسميهم الجهنميين. جاء في بعض الآثار وينظر في صحتها أنهم يشكون إلى الله جل وعلا هذه التسمية، فيذهبها الله جل وعلا عنهم، ولا يذكرها أحد من أهل الجنة.

وأنكر الشفاعة لأصحاب الكبائر الخوارج والمعتزلة، ومن تأثر بهم كالرافضة وغيرهم.

وهذا يرجع إلى مسألة الإيمان، فإنهم قالوا: من عصى الله جل وعلا فإن الإيمان يذهب منه جُمْلَةً، فيكون من الكفار المخلدين في النار. ويستدلون بقول الله عز وجل: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]. وهذه ليست في الموحدين، إنما هي في الكفار.

وأما الموحدون فقال الله عز وجل: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، في قراءة ﴿رُبَّمَا﴾ بالتشديد. فهذا يكون عند خروج الموحدين من النار.

وأحاديث الشفاعة تزيد على مائتين حديث صحيح، والأحاديث الواردة بخصوص الذين يخرجون من النار، أكثر من سبعين حديثاً. جمعها شيخنا مقبل رحمه الله تعالى في كتابه (الصحيح المسند في الشفاعة).

والمعتزلة والخوارج أعرضوا عن كثير من الأدلة، وأخطأوا في مسألة الإيمان، وأخطأوا في مسألة التكفير، ثم أخطأوا في مسألة الشفاعة، فتراكبت وتتابعت أخطاؤهم بسبب خطئهم الأول في مسألة الإيمان، وما بني على باطل فهو باطل.

قوله: (وَيَبْقى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ عَنْ مَنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلاَ تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الجَنَّةُ: فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا). (خ ٤٨٥٠) (م ٢٨٤٦).

وهذه الجملة فيها: إثبات الجنة والنار، وقد خلقهما الله تعالى قبل خلق آدم عليه السلام، واتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبتت نابتة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت: ينشئهما الله تعالى يوم القيامة، فخالفوا الكتاب والسنة والإجماع.

وقال الإمام الآجري رحمه الله تعالى: اعلموا رحمنا الله وإياكم أن القرآن شاهد أن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم عليه السلام، وخلق للجنة أهلاً وللنار أهلاً قبل أن يخرجهم إلى الدنيا، لا يختلف في هذا من شمله الإسلام، وذاق حلاوة طعم الإيمان، دل على ذلك القرآن والسنة، فنعوذ بالله ممن كذَّب بهذا.

قوله تعالى: (﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥]) الآية. دليل صريح على أن الجنة موجودة قبل خلق آدم، وهذه الجنة هي دار المتقين وليست جنة أخرى، وهي في السماء، وليست في الأرض كما يقول المعتزلة وغيرهم، فإن الهبوط يكون من أعلى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ [البقرة:٣٨]. وقوله تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [يس:٢٦] في شأن صاحب (يس) دلالة صريحة أيضاً. وقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر:٤٦] في شأن فرعون وقومه، وهذا العرض في حياة البرزخ، وأما دخولهم إليها فيوم القيامة، والآية صريحة في وجود النار، وإلَّا كيف سيعرضون عليها. والأدلة كثيرة جداً في هذا الباب، ومنها رؤية النبي ﷺ لهما: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: خَسَفَتْ اَلشَّمْسُ فَصَلَّى رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ مَعَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ اَلحَدِيثَ. وَفِيهِ: قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ تَكَعْكَعْتَ. فَقَالَ: «رَأَيْت اَلْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ اَلدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ اَلنَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا اَلنِّسَاءَ» (خ ٢٩، ١٠٥٢)، (م ٩٠٧).



[الإيمان بالشفاعة]

وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِن الحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِن السَّمَاءِ وَالآثَارِ مِن الْعِلْمِ المَأْثُورِ عَن الأَنْبِيَاءِ. وَفِي الْعِلْمِ المَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَن ابْتَغَاهُ وَجَدَه.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: اتفق الأنبياء والرسل عليهم السلام في أصول العقيدة.

الثانية: أهل البدع مخالفون لجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام.

الثالثة: تكرار مسائل العقيدة في الكتب المنزلة ينفي المجاز الطاغوتي.

الرابعة: كل خير وصلاح في اتباع الرسل عليهم السلام.

الخامسة: أصل كل شر وشرك وبدعة مخالفة الرسل عليهم السلام.

السادسة: في الكتاب والسنة من العلم الشرعي ما يشفي ويكفي في كل فن.

السابعة: من صدق في طلب الحق وفقه الله تعالى إليه.

الثامنة: من تعامل مع النصوص بالجدل والتأويل فلا صدق له.

....

قوله: (مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِن السَّمَاءِ) ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾، ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وحديث «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ» (خ ٣٤٤٣) (م ٢٣٦٥)، والأدلة كثيرة، راجع كتابنا (قواعد التوحيد).

قوله: (وَالآثَارِ مِن الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَن الأَنْبِيَاءِ) وهو قسمان: قسم ثبت بالوحي، وهو ما ذكر في القرآن والسنة الصحيحة، وهذا لا شك في قبوله واعتقاد مدلوله. وقسم آخر أتى عن طريق النقل عن بني إسرائيل، وهذا دخل فيه التحريف والتبديل، ومراد المؤلف الأول.

وقوله: (وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ) الكتاب والسنة، (مَا يَشْفِي وَيَكْفِي) لمن صدق في تلقيه والإيمان به، قال تعالى:﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وأدلة كثيرة.

قوله: (فَمَن ابْتَغَاهُ وَجَدَه) من ابتغى وصدق في نيته، فإن الكتاب والسنة مليء بمثل هذه العلوم الطيبة. وأما الشخص الذي صرف الله جل وعلا قلبه، فإنك تجده يعرض عن الكتاب والسنة، ثم يذهب إلى أمور أخرى.

المعطلة الأشاعرة المحرفة، وغيرهم، ذهبوا إلى علم الكلام. والصوفية ذهبت إلى المكاشفات والوجد وما أشبه ذلك من الخرافات. والرافضة ذهبت إلى الكذب المنسوب إلى أهل البيت. والحزبية ذهبت وراء القوانين، وكل طائفة ذهبت مذهباً، ولو ابتغوا الهدى في كتاب الله لوجدوه.

وقد وفق الله جل وعلا أهل السنة، اعتمدوا على الكتاب والسنة، فكانت علومهم أصح العلوم، والحمد لله تعالى.



[الإيمان بالقدر ومراتبه]

وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ: كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِمَا الخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ القَدِيم، الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَال . ثُمّ كَتَبَ اللهُ فِي اللّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلْقِ. فَـ(أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ قَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[1].

فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحَجّ: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحَدِيد: ٢٢]، وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ، وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ؛ فَيُقَالُ لَهُ: اُكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاَةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا وَمُنْكِروهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ.

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٠) عن عبادة رضي الله عنه، وصححه الشيخان.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهُ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ، وَلاَ سُكُونٍ، إِلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِن المَوْجُودَاتِ وَالمَعْدُومَاتِ. فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُ. سُبْحَانَهُ، لاَ خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ العِبَادَ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الفَسَادَ.

وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ. وَ الْعَبْدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التَّكْوِير: ٢٨، ٢٩]، وهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِن القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُم النَّبِي ﷺ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ(١)، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

(١) لا يصح في هذا حديث.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: اتفق الأنبياء والرسل عليهم السلام على الإيمان بالقدر.

الثانية: الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان.

الثالثة: لا يصح الإيمان بالقدر إلا بمراتبه الأربع.

الرابعة: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الخامسة: التقدير عام وخاص.

السادسة: والقضاء والقدر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر.

السابعة: إرادة الله تعالى نوعان: كونية وشرعية.

الثامنة: لا تلازم بين المشيئة والمحبة.

التاسعة: الهداية نوعان: هداية توفيق وهداية دلالة وإرشاد.

العاشرة: التوفيق فضله تعالى والخذلان عدله سبحانه.

الحادية عشر: أفعال الله تعالى مقرونة بالحكمة.

الثانية عشر: الشر في المقضي لا في القضاء.

الثالثة عشر: الشر لا ينسب إلى الله تعالى إلا نسبة مخلوق إلى خالقه.

الرابعة عشر: فعل الله تعالى كله خير.

الخامسة عشر: لا واجب على الله تعالى إلا ما أوجبه على نفسه.

السادسة عشر: تكليف ما لا يطاق لا يقع شرعاً ولا عقلًا.

السابعة عشر: من جعل القدر حجة لذنبه فهو قدري جبري.

الثامنة عشر: للسبب قوة وتأثير ولا تقع إلا بتقدير الله تعالى.

التاسعة عشر: من أنكر مراتب القدر فهو كافر.

العشرون: الجبرية شر من القدرية وكلاهما ضالة.

الحادية والعشرون: أصل الضلال في القدر من تفسير الظلم بغير حق.

....

الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة. والقدر هو هو علم الله، وكتابته المطابقة لمشيئته وخلقه. فيعُرَّف القدر بمراتبه الأربع، وقد اتفقت على الإيمان به جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام.

قال: (فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِمَا الخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ القَدِيم، الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَال).

هذه مرتبة العلم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الرعد:٩]، ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾ [سبأ:٣]. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

قال: (ثُمّ كَتَبَ اللهُ فِي اللّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلْقِ. فـ(أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ قَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾، وَقَالَ: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾)

وهذه مرتبة الكتابة، وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة وإلى ما شاء الله سبحانه، وهاتان المرتبان لا خلاف بين طوائف المسلمين فيهما، وإنما خالف الغلاة من القدرية وهم كفرة.

وقوله: (أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ) الأولية هنا بالنسبة لما بعده، فالعرش خلق قبله، وعلى النصب (أولَ) بالنصب على الظرفية، والعامل فيه (قال)؛ أي: قال له ذلك أول ما خلقه.

واللوح المحفوظ لوح لا نعلم كيفيته، لكنه لوح مخلوق، كتب الله جل وعلا فيه ما شاء أن يكتب من المقادير، وخُلق اللوح والقلم بعد خلق العرش. فمرتبة الكتابة إذا تأملنا نجد أنها

وقعت بعد المشيئة والخلق، لكن لما كان المسلمون متفقين على أن الله جل وعلا كتب المقادير في اللوح المحفوظ، جمعت هذه المرتبة مع مرتبة العلم؛ لأنهم اتفقوا على العلم والكتابة واختلفوا في المشيئة والخلق، فجمع النظير إلى نظيره. وإلا فالقلم إنما كتب ما شاءه الله جل وعلا. (وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ) وما في اللوح المحفوظ لا يتغير، ولا يزاد فيه ولا ينقص، ولا يطَّلع عليه أحد.

قال: (وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ؛ فَيُقَالُ لَهُ: اُكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. فَهَذَا التَّقْدِيرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا وَمُنْكِروهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ) وهذا كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ) (خ ٣٢٠٨) (م ٢٦٤٣). وجاء عن عدد من الصحابة.

وعلى هذا يقسم التقدير إلى:

١ – التقدير العام: هو كتابة اللوح المحفوظ: وهو تقدير الرب سبحانه لجميع ما سيكون جملة وتفصيلاً وهو شامل للمراتب الأربع السابقة، وهذا التقدير لا تغيير فيه جف القلم بما هو كائن.

دليله: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات الأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»، رواه مسلم (٢٦٥٣).

٢– التقدير عند الميثاق على البشر حين خلق آدم ثم جعلهم بعلمه وحكمته فريقين: فريق في الجنة وفريق في السعير، وهذا أيضاً لا تغيير فيه.

دليله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٢] الآية. وأصرح من الآية حديث هشام بن حكيم – وله شواهد كثيرة – قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أخذ ذرية آدم من ظهره ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه فقال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار»، رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٧٣) وصححه الألباني.

٣- التقدير العمري، وهو تقدير ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله وكتابة شقاوته وسعادته وعمله وكل شيء يتعلق به، وزمنه عند نفخ الروح في الجنين في بطن أمه وهو مأخوذ من التقدير العام، وهذا هو الذي يحصل فيه تغيير كما يريد الله سبحانه وتعالى.

دليله: قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد:٣٩].

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه، وفي حديث ابن عمر نحوه وفيه: (فيقضي إليه أمره فيكتب فيقضى ما هو لاق حتى يموت حتى النكبة ينكبها) رواه ابن حبان (٦١٧٨) وصححه الشيخان .

٤- التقدير السنوي: وهذا التقدير يكون في ليلة القدر من كل سنة فيكتب فيها كل ما سيحصل إلى السنة التي تليها، وهو داخل في التقدير العام، والتقدير العمري أيضًا.

دليله: قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان:٤].

٥- التقدير اليومي: وهو تقدير لما يكون في كل يوم وهو داخل في التقدير العام، والعمري والسنوي أيضًا. دليله: قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

وأما الأقلام ذكر شارح الطحاوية قال: والذي دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة وذكرها.

القلم الأول: وهو الذي خلقه الله تعالى وكتب به في اللوح المحفوظ المقادير.

دليله: قوله ﷺ: «أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»، رواه أبو دواد (٤٧٠٠) عن عبادة رضي الله عنه.

القلم الثاني: حين خلق آدم وهو قلم عام أيضاً سبق دليله في التقدير عند أخذ الميثاق.

القلم الثالث: حين يرسل الملك إلى الجنين. سبق دليله في التقدير العمري.

القلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه الذي بأيدي الكرام الكاتبين.

دليله: قوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يعقل، وعن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ»، رواه أبو دواد (٤٣٩٩) عن علي رضي الله عنه.

وهذا لكتابة الحسنات والسيئات لا لكتابة المقادير، والله أعلم.

وذكر أيضاً: قلم الوحي، وهو الذي يكتب به وحي الله تعالى إلى أنبيائه ورسله، وقد رفع النبي ﷺ ليلة أسري به إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، فهذه الأقلام هي التي تكتب ما يوحيه تعالى من الأمور التي يدبرها في شأن العالم العلوي والسفلي.

قوله: (وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهُ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ، وَلاَ سُكُونٍ، إِلاَّ بِمَشِيئَةِ الله سُبْحَانَهُ، لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لاَ يُرِيدُ) الثالثة من المراتب: المشيئة وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئته. قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩]، ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام:٣٩].

فالله عز وجل شاء الخير والشر، ولماذا شاء الشر؟ شاء الشر لحكمة، لحكمة أرادها سبحانه وتعالى. فليس على العبد إلا أن يقول: آمَنَّا بِالله تعالى. ليس هناك شيء شاءه الله جل وعلا وهو شر محض، فكل ما شاءه الله جل وعلا لله عز وجل في مشيئته حكمة.

(وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِن المَوْجُودَاتِ وَالمَعْدُومَاتِ) لأنه تعالى القوي القادر، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ كل شيء؛ فالله قادر عليه من الموجودات؛ فيعدمها أو يغيرها، ومن المعدومات؛ فيوجدها.

فالقدرة تتعلق في الموجود بإيجاده أو إعدامه أو تغييره، وفي المعدوم بإعدامه أو إيجاده.

(فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُ. سُبْحَانَهُ، لاَ خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ) المرتبة الرابعة هي مرتبة الخلق، ومعناها أن الله جل وعلا أن الله خلق كل شيء، وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها وصفاتها وحركاتها، وبأن كل ما سوى الله تعالى مخلوق مُوْجَد من العدم كائن بعد أن لم يكن، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

قوله: (وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ العِبَادَ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الفَسَادَ) هذه المسألة من مسائل القدر، وهي التوفيق بين القدر والشرع. وإن شئت قل: التوفيق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية. فمن قسَّم الإرادة إلى كونية وشرعية، وهكذا الحكم والإذن، فلا إشكال عنده. فيقول إن الله جل وعلا قدَّر كل شيء كونًا، فهذا يتبع الإرادة الكونية. والذي يتبع الإرادة الشرعية هو ما يحبُّ الله تعالى ويرضاه.

فما أراده الله تعالى شرعًا فهو موافق لمحبته ورضاه. وما أراده كونًا فلا تلازم فيه بين المحبة

والإرادة الكونية. فقد يريد شيئًا كونًا ولا يحبه، وقد يريد شيئًا كونًا وهو يحبه، كما ذكرنا هذا قبل في الكلام على الإرادتين.

قال: (وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ العِبَادَ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رُسُلِهِ...) أمر شرعي. (وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ...) أي: إن الله جل وعلا يحب من أطاعه ومن انقاد لشرعه، ويرضى عن المؤمن الموحِّد، فهذه إرادة شرعية. ولا يحب الكافرين لا يحبهم شرعًا وكونًا.

(وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الفَسَادَ) لا يأمر بالفحشاء والكفر أمرًا شرعيًا، ولكن قدره كونًا لحكمة عظيمة. دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وقد انقسم الناس في الكلام على القدر والشرع إلى ثلاث فرق:

* الأولى: القدرية المجوسية، فإنهم نظروا إلى أن الله عز وجل لا يحب الكفر ولا يرضاه، فأنكروا الإرادة الكونية هروبًا منهم، وأنكروا عموم المشيئة والخلق حتى لا يقولوا إن الله تعالى قدَّر الشر. كيف يقدر الشر ويعذب عليه؟ هذا ظلم، ففرارًا من هذا الذي توهموه فنفوا الإرادة الكونية.

* الثانية الجبرية قالوا: إن الله عز وجل يرضى ما قدره كونًا ويحب ما قدره كونًا، حتى إن غلاة الجبرية يقولون إن الله يحب الكفر، نعوذ بالله تعالى، وهؤلاء جعلوا القدر حجة على المعاصي، وهم أشبه بالقدرية المشركية، وهم الذين يقرون بالقدر، ينكرون الأمر والنهي. فيقولون إن الله تعالى هو الذي قدَّر علينا أن نشرك: ﴿لَو شَاءَ اللهُ مَا أَشرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا﴾. فجعلوا القدر حجة لهم على المعاصي والشرك. وهذا أيضًا مما تأثر به بعض الصوفية الغلاة حتى قالوا إن فرعون ما عصى الله، إنما نفذ الأمر الكوني.

* الفرقة الثالثة: الإبليسية، أقروا بالقدر والشرع، لكن يقولون إن هناك تناقض بين القدر والشرع. كيف قدَّر الكفر ويعذب على الكفر؟ وهذا كإبليس. قال: (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي) نَسَبَ الإغواء إلى الله تعالى، ونفاه عن نفسه. فهؤلاء يقال لهم القدرية الإبليسية.

قوله: (وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ. وَ الْعَبْدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ. وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التَّكْوِير: ٢٨، ٢٩]، وهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِن القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُم النَّبِي ﷺ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا) هذه المسألة الأخيرة من مسائل القدر في هذا الكتاب، وهي مرتبة الخلق، أن الله جل وعلا خلق العباد وأفعالهم.

يقول أهل السنة: إن الله جل وعلا خلق العباد وخلق لهم إرادتهم والقدرة والاستطاعة.

والعباد بهذه القدرة و الاستطاعة باشروا العمل، فالعبد بإرادة واختيار صلى أو صام أو حج، وبإرادته واختياره كفر أو فجر أو ترك الصلاة مثلًا. فهو الذي باشر الخير، وهو الذي باشر فِعل الشر.

قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى: «أعمال العباد خيرها وشرها بأي شيء وقعت؟ فيقال: بقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وهذا يعترف به كل أحد. فيقال: ومن خلق قدراتهم وإرادتهم ومشيئتهم؟ فالجواب الذي يعترف به كل أحد أن الله تعالى هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم، والذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال، فهذا يحل الإشكال ويتمكن العبد من أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار.

ومع ذلك فهو سبحانه أمد المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوعة وصرف عنهم الموانع، كما قال ﷺ: «أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة»[(١)]، وكذلك خذل الفاسقين ووكلهم إلى أنفسهم لأنهم لم يؤمنوا به ولم يتوكلوا عليه، فولاهم ما تولوا لأنفسهم. فأفعال العباد هي من الله تعالى خلقاً وإيجاداً وتقديراً، وهي من العباد فعلاً وكسباً واختياراً».

فالله عز وجل خالق أفعال العباد ليس من باب المباشرة للفعل، لكن لأنه أوجد السبب الذي به قامت أفعال العباد. فمَن شاء الله عز وجل وفَّقه، أي: أعانه وسدده في عمله. ومَن شاء تركه. وهذا الترك هو الخذلان. فمن تركه الله إلى إرادته ومشيئته وقع في الذنوب والمعاصي. والهداية إعانة من الله تعالى، وهذا فضله. والخذلان وهو الترك وهو عدله. ولماذا تركه ولم يعنه؟ أعان هذا لأن المحل هذا صالح للهداية والإعانة، وأضل هذا لأن هذا غير صالح للهداية وإنما يصلح للضلال، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

* وقالت القدرية المعتزلة: أن الله عز وجل ما شاء الشر ولا خلق أفعال العباد، العباد هم الذين خلقوا أفعالهم، وليس لذلك من الله عز وجل إرادة ولا مشيئة. قالوا: لو قلنا إن الله خلق أفعال العباد وعذبهم عليها، هذا ظلم.

ويرد عليهم بالأدلة الكثيرة الواردة في عموم المشيئة، وزعمهم بأن هذا ظلم باطل، وهو مبني على فهمهم لمعنى الظلم، وما بني على باطل فهو باطل، ويرد عليهم أيضًا من وجوه:

أولاً: قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وهؤلاء المعتزلة ونحوهم القدرية طرفا نقيض، هؤلاء يلاحظون القدر ويعرضون عن الأمر - يعني الجبرية - وأولئك - المعتزلة - يلاحظون

---

(١) (خ ١٣٦٢) (م ٢٦٤٧) عن علي رضي الله عنه.

الأمر ويعرضون عن القدر، والطائفتان تظن أن ملاحظة الأمر والنهي متعذر»[(١)].

فتبين أن أصل ضلالهم الجهل بالشرع والخوض في القدر بغير علم صحيح.

وأن هؤلاء القدرية استدلوا بأدلة وتركوا أدلة أخرى، والواجب الإيمان بجميع الآيات وعدم ضرب بعضها ببعض قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥].

قال ابن أبي العز رحمه الله تعالى: «والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس من حيث أن المجوس أثبتوا خالقَينِ وهؤلاء أثبتوا خالقِين – بكسر القاف –...».

وقال: «فكل دليل صحيح يقيمه القدري فإنما يدل على أن العبد فاعل حقيقة وأنه مريد له مختار له حقيقة، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى، وأنه غير واقع بمشيئته وقدرته.

وكل دليل صحيح يقيمه الجبري فإنما يدل على أن الله تعالى خالق كل شيء، وأن أفعاله العباد من جملة أفعاله ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل حقيقة ولا مختار...

فإذا ضممت ما مع كل طائفة من الحق إلى حق الأخرى فإنما يدلك على ما دل عليه القرآن والسنة وسائر الكتب المنزلة من عموم قدرة الله تعالى ومشيئته...»[(٢)].

ثانياً: يلزم من قولهم: أن إرادة المخلوق غلبت إرادة الله تعالى.

فالله تعالى أراد الطاعة، والعاصي أراد المعصية ووقع فيها فحصل ما أراد العبد وغلبت إرادته إرادة الرب تعالى. وهذا القول الكفري راجع لعدم تفريقهم بين الإرادة الكونية والشرعية، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

---

(١) «الفتاوى» (١٠/ ٧١٨).

(٢) «الطحاوية» (ص ٦٨٠-٦٨٥) بتصرف.

ثالثاً: أن عقاب العبد على فعله ليس ظلماً، لأن الله تعالى جعل له عقلاً واختياراً وإرادة ومشيئة واستطاعة وقدرة يفعل بها، وأرسل إليهم الرسل والناصحين فأين الظلم؟

ولا ينافي في كون هذه الإرادة والقدرة تابعة لإرادة الله تعالى الكونية، إذ جعل السبب بيد العبد وأمرهم ونهاهم في باب الهداية والضلال، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٧-٨] ثم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٩-١٠] فأثبت القدر وأفعال العباد، وبالتالي فالثواب والعقاب واقع على فعل العبد الذي هو باختياره وإرادته.

رابعاً: أما قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] المراد به التهديد لا التخيير. وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت:١٧] معناه: تقدرون وتصورون.

وقوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧] لا يرضاه شرعاً ولا يحبه، وفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، كما سبق.

وأما غلاة الجبرية من الجهمية وغلاة الصوفية... الذين لا يثبون للعبد قدرة ولا فعل، وهؤلاء كفار؛ لأنهم لا فرق عندهم بين المؤمن والكافر... وكفرهم مجمع عليه، وقد انقرضوا إلا بعض غلاة الصوفية كأتباع ابن عربي الاتحادية ونحوهم.

أما الجبرية الأشاعرة فما زالوا موجودين، وقولهم مأخوذ من قول جهم: لا يثبتون للعبد قدرة مؤثرة، إنما يثبتون للعبد قدرة غير مؤثرة وسموها (الكسب).

وأصل شبهتهم: ظنوا أن في إثبات قدرة للعبد وإرادة واختيار حقيقي له تأثير إخراج لها عن أن تكون داخلة تحت قدرة الله تعالى وإرادته، ومن ثَم خارجة عن مخلوقاته... كما هو قول القدرية، ففروا من هذا إلى القول بالجبر: أن الله تعالى خلق أفعال العباد وخلق لهم قدرة وإرادة

لكن لا تؤثر في الفعل بل التأثير كله لله تعالى وليس للعبد تأثير وقدرة حقيقية.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «والذي استقر عليه قول الأشعري أن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها ولم يقع بها المقدور ولا صفة من صفاته».

وقال الرازي: «زعم أبو الحسن الأشعري أنه لا تأثير لقدرة العبد في مقدوره أصلاً بل القدرة والمقدور والأفعال بقدرة الله تعالى.أ.هـ.

واستدلوا بمثل قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] ونحوها.

* والرد عليهم من وجوه:

أولاً: حالهم كالمعتزلة أخذوا بعض الأدلة وتركوا البعض الآخر، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء:١٥٠-١٥١] الآية.

ثانيًا: سبب ضلالهم عدم التفريق بين الإرادة الكونية والشرعية، وزعمهم أن الفعل هو المفعول والخلق هو المخلوق.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وأما جمهور أهل السنة المتبعون للسلف والأئمة فيقولون: إن فعل العبد فعل له حقيقة ولكنه مخلوق لله سبحانه ومفعول له، لا يقولون هو نفس فعل الله تعالى، ويفرقون بين الخلق والمخلوق والفعل والمفعول..»(١).

ثالثاً: أنه يلزم من قولهم: إبطال الشرع والأمر والدين وأن عقاب الجاني ظلم لأنه ليس له قدرة مؤثرة، فقطع يد السارق والقصاص بالقاتل... وقع على ما لا قدرة لهم فيه وهكذا عذاب الآخرة... وهذا القول من الكفر الأكبر.

(١) «منهاج السنة» (٢/ ٢٩٨)، «الفتاوى» (٢/ ١١٩).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وهؤلاء هم القدرية المشركة الذين يحتجون بالقدر على دفع الأمر والنهي هم شر من القدرية المجوسية...»[(١)].

رابعاً: أن زعمهم أن إثبات قدرة مؤثرة للعبد فيها إثبات خالق مع الله.... إلخ.

وهذا باطل؛ لأن هذه القدرة مخلوقة لله تعالى وتحت مشيئته لا خارجة عنها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في جوابه عن هذا السؤال: هل قدرة العبد المخلوقة مؤثرة في وجود فعله، إن كانت مؤثرة لزم الشرك وإلا لزم الجبر؟

فأجاب رحمه الله تعالى: «التأثير اسم مشترك قد يراد بالتأثير الانفراد بالاختراع، فإن أريد بتأثير قدرة العبد هذه القدرة فحاشا لله تعالى، لم يقله سني، إنما هو المعزو إلى أهل الضلال وهم المعتزلة.

وإن أريد بالتأثير نوع معاونة إما في صفة من صفات الفعل أو وجه من وجوهه كما قال كثير من الأشاعرة فهو أيضاً باطل بما به بطل التأثير في ذات الفعل.

وإن أريد بالتأثير أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثة بمعنى أن القدرة المخلوقة هي سبب وواسطة في خلق الله سبحانه الفعل بهذه القدرة كما خلق النبات بالماء؛ فهذا حق، فهذا شأن جميع الأسباب والمسببات، وليس إضافة التأثير بهذا التفسير إلى قدرة العبد شركاً».

خامساً: قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ إثبات لفعل العبد وقدرته وهو رد على المجبرة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ إثبات لتقدير الله تعالى وهو رد على القدرية.

---

(١) «الفتاوى» (١١/ ٤٢١)، «التدمرية» (ص ٢٣٥).

فما هو قول الماتريدية؟ الغالب على الماتريدية أنهم وافقوا أهل السنة في باب القدر. عندهم أخطاء في باب القدر، لكن في أغلب المسائل وافقوا أهل السنة. فالماتريدية أخف ضلالًا من الأشاعرة بكثير، لا سيما في مسألتين: مسألة القدر، كما سبق، ومسألة توحيد الألوهية، فإن الماتريدية في الغالب يقولون إن من عبد غير الله تعالى فقد أشرك في الألوهية، سواء في القبور أو في غيرها. بينما الأشاعرة يرون أن الشرك في الألوهية ليس بشرك.

وقد توسعنا في الكلام على القدر في كتابنا: (أصول أهل السنة).



[مسائل الإيمان وزيادته ونقصه]

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ، وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لاَ يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، كَمَا يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ، بَلِ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المَعَاصِي كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ القِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ﴾ [البَقَرَة: ١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحُجُرَاتِ: ٩، ١٠].

وَلاَ يَسْلِبُونَ الْفَاسِقَ الْـمِلِّـيَّ اسْمَ الإِيمَانِ بِالْكُلِّـيَّةِ، وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ، بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النِّسَاءِ: ٩٢]، وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأَنْفَالِ: ٢]، وَقَوْلُهُ ﷺ: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهو مؤمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)[1].

---

(١) (خ ٢٤٧٥، ٥٥٧٨) (م ٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ بِكَبِيرَتِهِ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: اتفق الأنبياء والرسل عليهم السلام على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

الثانية: اتفق الأنبياء والرسل عليهم السلام على أن الإيمان يزيد وينقص.

الثالثة: الإيمان في الكتاب والسنة قول وعمل واعتقاد.

الرابعة: أصل ضلال الطوائف في فهم الإيمان من نفي الزيادة والنقصان.

الخامسة: لا يكمل الإيمان إلا بالثلاث: القول والاعتقاد والعمل.

السادسة: لا إيمان بلا عمل.

السابعة: العمل من الإيمان ولا يقال: شرط كمال أو شرط صحة.

الثامنة: قد يجتمع في العبد إيمان وكفر أصغر.

التاسعة: لا يجتمع أصل الإيمان مع الشرك والكفر الأكبر.

العاشرة: الإيمان الظاهر والباطن متلازمان.

الحادية عشر: الإيمان يتفاضل ويتبعَّض.

الثانية عشر: الاستثناء في الإيمان مذهب السلف.

الثالثة عشر: الإيمان والإسلام إن اجتمعا افترقا وإن افترقا اجتمعا.

الرابعة عشر: الإرجاء والتكفير توأمان.

الخامسة عشر: المرجئة شر من الوعيدية في باب الإيمان.

السادسة عشر: تكليف مالا يطاق لا يقع شرعاً ولا عقلًا.

السابعة عشر: لكل بدعة أخوات.

الثامنة عشر: الدين ليس بالرأي ولا العواطف.

التاسعة عشر: الحقيقة الشرعية أولى من الحقيقة اللغوية.

العشرون: من قال: الإسلام أفضل من الإيمان. فهو مبتدع.

الحادية والعشرون: صاحبُ الكبيرة مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته.

الثانية والعشرون: البدع تتابع حتى تمحق الدين.

الثالثة والعشرون: من كان مصدر عقيدته غير الكتاب والسنة فلابد أن يأتي بالبدع.

....

بعد أن ذكر المؤلِّف المسائل المتعلّقة بالصفات والقدر واليوم الآخر، انتقل إلى مسألة الإيمان وهي من كبار مسائل العقيدة، ومن أول المسائل التي وقع فيها الخلاف مع أهل الضلال، ابتداء بالخوارج.

فمن أصول وعقيدة أهل السنّة والجماعة الراسخة التي أجمعوا عليها سلفًا وخلفًا، أن الدين والإيمان قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالقلب يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

أما قول اللسان فمعروف؛ كالأذان والتلاوة، وأما قول القلب فهو الاعتقاد والنيّات، وعمله هو ما سوى ذلك كالمحبة والتوكل والخوف والرجاء...، وعمل الجوارح كالصلاة والحج والصيام. والإيمان يزيد بالطاعة، سواء كانت هذه الطاعة فريضة أو نافلة، فبالواجب يزيد الإيمان الواجب، وبالنوافل يزيد الإيمان المستحب، والمعصية تُنقص الإيمان الواجب، وترك الطاعة الواجبة يُنقص الإيمان الواجب، وأما فعل المكروهات فهو يُنقص الإيمان المستحب، كما أن ترك الطاعات ولو لعذر يعتبر نقصًا في الإيمان، كما في حديث: (مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ) (خ ٣٠٤) (م ٨٠)، لماذا المرأة ناقصة دين؟ لأنها تمكث الأيام لا تصلّي، وهي معذورة، لكن نقص الأعمال نقص في الدين والإيمان، لأن الأعمال من الإيمان، فإذا نقصت ولو لعذر يحصل نقص في الإيمان، ولا يلزم من ذلك أن ينقص الثواب والأجر إن كان معذورًا.

والأدلة كثيرة ومنها: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:٣٣]، ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة:٢٢]، وقوله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٣٦]،

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات:١٥].

ومن الأدلة على زيادة الإيمان ونقصه: قوله تعالى: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدثر:٣١]، فقد جاء التصريح بزيادة الإيمان في ستة مواضع.

قوله: (وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لاَ يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ، كَمَا يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ...) مطلق المعاصي يعني أصول الذنوب والكبائر، فلا يكفّرون من فعل الصغائر، ولا يكفرون من فعل الكبائر ما دام وأن عنده أصل التوحيد، وأصل الإيمان.

لماذا لا يكفّرونهم؟ لأن الله جل وعلا ما كفّرهم. وأما الخوارج فإنهم يكفّرون بالكبيرة، ثم بعض الكبائر التي يكفّرون بها قد لا تكون في الشرع من الكبائر. ومما يدل على بطلان مذهب الخوارج ونصرة مذهب أهل السنّة، أن الله عز وجل قال في القاتل: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾، ليس المقصود أخوة النسب، إنما المقصود أخوة الإيمان. وقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾، يعني: من أهل التوحيد، الشاهد أنه وصف الطائفتين بالإيمان مع وجود كبيرة من كبائر الذنوب وهي القتال، وقال بعدها: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، يُشير إلى الآية السابقة، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، أولًا سمّى المقتتلين إخوة، وجعلهم أيضًا إخوة لمن للفريق الثالث وهو الفريق المصلح، فدل هذا على أن الكبيرة لا تُذهب الإيمان بالكلية ما دام وأن التوحيد موجود.

قال: (وَلاَ يَسْلِبُونَ الْفَاسِقَ الْـمِلِّـيَّ اسْمَ الإِيمَانِ بِالْكُلِّـيَّةِ، وَلاَ يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ) لا يقال للموحّد أنت كافر؛ لأنه عملت كبيرة دون الشرك، ويحكمون بأنه مخلد في النار في الآخرة كما تقوله المعتزلة، المعتزلة يسلبونه في الدنيا اسم الإيمان فيقولون: فاسق، لا يقولون: مؤمن، وفي الآخرة يحكمون عليه بالخلود في النار.

والخوارج يسلبونه اسم الإيمان في الدنيا، ويُصرحون بتكفيره فيقولون: كافر، وفي الآخرة خالد في النار.

قال: (بَل الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾) إذا أُطلقت كلمة الإيمان فإنها تشمل الطائع والعاصي. وهذه الرقبة قد تكون من أهل الطاعة وقد تكون من أهل المعصية، وهي مجزئة في الكفارة.

قال: (وَقَدْ لاَ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾...) إذا أطلق بالإيمان وأريد به الكمال، فالعاصي لا يدخل في اسم الإيمان الذي يُراد به كمال الإيمان، وإن أُريد مطلق الإيمان فهو داخل. والآية في أهل الإيمان الكامل، فالعاصي لا يدخل في هؤلاء.

وقوله ﷺ: (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ)، أي: كامل الإيمان الواجب لا يقع في الزنا...، بل يقع ممن نقص إيمانه، ولو لم ينقص إيمانه ما سرق ولا زنى. فهو ناقص الإيمان، مؤمن فاسق. مؤمن ناقص الإيمان، فقولنا: "مؤمن فاسق" مثل قولنا: مؤمن ناقص الإيمان.

فخلاصة هذه المسألة قوله: (وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلاَ يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلاَ يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ بِكَبِيرَتِهِ) فهو مؤمن بإيمانه فعنده أصل التوحيد، وعنده من الإيمان ما شاء الله تعالى، كأن يكون من أهل الصلاة أو الزكاة أو الصدقة، فاسق بكبيرته. وسرد الأدلة على هذا تزيد على ألف دليل.

وضل في هذا الباب جميع الطوائف المبتدعة:

فالمرجئة سواء الكرامية أو الجهمية أو الأشاعرة أو المتردية أو كلهم قالوا: العمل ليس من الإيمان، وهكذا الحنفية، هذه خمس طوائف قالت: العمل ليس من الإيمان، وبعضهم ذكر المرجئة إلى تسع طوائف، والوعيدية الخوارج والمعتزلة والروافض والإباضية ونحوهم.

وإليك تفاصيل أقوالهم:

* الخوارج: الإيمان عندهم: قول وعمل واعتقاد، لا يزيد ولا ينقص ولا يتبعض. وهذا مذهب جمهور الخوارج.

وشبهة الخوارج في نفي الزيادة والنقص هو ما ذكره شيخ الإسلام فقال: «ثم قالت الخوارج والمعتزلة: الطاعة كلها إيمان، فإذا ذهب بعض الإيمان ذهب سائره، فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان»[(١)]. «فأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئاً واحداً إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه، كما قال النبي ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثال حبة من الإيمان».

وأما الإباضية فيقولون بزيادة الإيمان ونقصه كما قرره الربيع بن حبيب الإباضي في مسنده وعلي بن معمر الإباضي وغيرهما.

وما قرره جمهور الخوارج من عدم الزيادة والنقص ونفي التبعيض مردود عليهم بأدلة كثيرة سبق ذكر بعضها في المبحث السابق، واستوفى أكثرها الشيخ عبد الرزاق البدر في كتابه «زيادة الإيمان ونقصه» جزاه الله تعالى خيرًا.

* ومما يرد به عليهم وعلى غيرهم:

١- أن الشيء الجامع لأمور إذا زال بعضه لا يلزم منه زوال جميعه، فالإنسان إذا قطعت رجله أو خرجت روحه لم يخرج عن كونه إنساناً.

فما يدعونه من أن (الحقيقة المركبة إذا زال بعضها زال جميعها) باطل شرعاً وعقلاً، كما زعموا في الإيمان أنه يزول بزوال بعضه.

---

(١) «الفتاوى» (٧/ ٥١٠).

٢- أن زوال بعض الإيمان لا يلزم منه زوال اسم الإيمان عن صاحبه، فقد سمى الله تعالى القاتل وغيره من العصاة مؤمنين بغاة، فيكون مؤمناً فاسقاً لا كافراً كما تزعم الخوارج.

٣- أن أجزاء الإيمان مختلفة متفاوتة، فمنها ما يزول الإيمان كلية بزوالها كفعل أمر كفري ناقض للإيمان، ومنها ما يزول كمال الإيمان الواجب بزوالها كفعل كبيرة من الكبائر، ومنها ما يزول كمال الإيمان المستحب بزوالها كترك مستحب أو فعل مكروه مثاله: ترك النوافل الراتبة.

وكالصلاة منها المستحب كرفع اليدين، ومنها الواجب كالتشهد الأوسط، ومنها الركن كقراءة الفاتحة والركوع...

مثال زوال الإيمان الواجب: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١] الآيات. فناداهم باسم الإيمان مع وجود هذه الكبيرة وهي الموالاة لأمر دنيوي.

٤- قولهم – أي: الخوارج- هذا مخالف للشرع والعقل والفطرة والإجماع.

٥- أن مذهبهم هذا أدى بهم إلى التكفير، وبهذا صاروا كما جاءت الأدلة في وصفهم «كلاب أهل النار» و«يمرقون من الدين»، «يقتلون أهل الإيمان ويتركون أهل الأوثان» وغيرها، فمن وصفوا في الأدلة بهذا أبعد عن الحق والصواب ولكن أكثرهم لا يعقلون.

* المعتزلة:

مذهبهم كمذهب الخوارج سواء، ومذهبهم مأخوذ عنهم وبنوا عليه تفسيق صاحب الكبيرة وخلوده في النار.

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله تعالى: «وأن الإيمان الشرعي: جميع الطاعات الباطنة والظاهرة الواجبة والمندوبة، وهذا قول أكثر المعتزلة.أ.هـ فنفوا الزيادة والنقص والتفاضل والتبعُّض.

وشبهتهم هي شُبهة الخوارج، والرد عليهم كالرد على الخوارج.

❊ الرافضة:

مذهبهم خليط من الإرجاء والتكفير. فهم مع طائفة الشيعة من غلاة المرجئة، وأما مع بقية المسلمين فمن غلاة المكفرين. وقد عرفوا الإيمان بما لم تقل به طائفة، إذ أدخلوا مسألة الإمامة فيه. قال العاملي: «الإيمان عندنا إنما يتحقق بالاعتراف بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام إلا من مات في عهد أحدهم، فلا يشترط في إيمانه إلا معرفة إمام زمانه ومن قبله...».

وقال ابن المطهر: «مسألة الإمامة هي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمن.

وأخرجوا العمل بالإسلام الحق عن الإيمان، فأخذوا بأخبث مذهب في الإرجاء.

وقال صاحب الكافي: باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة والكفر لا ينفع معه حسنة.

وذكر عن أبي عبد الله – زعموا – قوله: الإيمان لا يضر معه عمل، وكذلك الكفر لا ينفع معه عمل. اهـ

والإيمان هو: الإيمان بالولاية، والكفر: الكفر بها، كما سيأتي.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: إن أكثر الشيعة يعتقدون أن حب علي حسنة لا يضر معها سيئة. أ.هـ وتعقبه بعض الشيعة قائلاً: إنهم جميعاً متفقون على ذلك.

وعليه فقد أخرجوا إيمان القلب واللسان والجوارح كلها من مسمى إيمانهم، ومذهبهم خرافة من أقبح الخرافات وأسخفها.

ومنهم طائفة على مذهب الخوارج كما ذكره ابن حزم...

❊ مرجئة الفقهاء:

والمراد بهم من نسب من الفقهاء إلى الإرجاء كحماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وإبراهيم التيمي وبعض أتباعهم وغيرهم...، ويعرفون الإيمان: تصديق بالقلب وقول باللسان. وأخرجوا العمل من مسماه، وأنه لا يزيد ولا ينقص ولا يستثنى فيه، وجمهورهم أنكر تفاضله وتبعُّضه.

قال الأشعري في مقالاته: «والفرقة التاسعة من المرجئة: أبو حنيفة وأصحابه، يزعمون أن الإيمان المعرفة بالله والإقرار بالله ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله في الجملة دون التفسير».

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والمرجئة الذين قالوا: الإيمان تصديق القلب وقول اللسان والأعمال ليست منه كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها...».

وقال وهو يبين شبه مرجئة الفقهاء: «والحزب الثاني وافقوا أهل السنة على أنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، ثم ظنوا أن هذا لا يكون إلا مع وجود كمال الإيمان لاعتقادهم أن الإيمان لا يتبعض، فقالوا: كل فاسق فهو كامل الإيمان، وإيمان الخلق متماثل لا متفاضل، إنما التفاضل في غير الإيمان من الأعمال...». اهـ المراد.

ومذهب مرجئة الفقهاء قرره الطحاوي في عقيدته ورد عليه جمع من العلماء.

❊ فاتفق مذهب مرجئة الفقهاء مع مذهب مرجئة الجهم والأشاعرة في:

- إخراج العمل من الإيمان.
- أنه لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل ولا يتبعض.
- أنه لا يستثنى فيه.
- بعضهم أخرج عمل القلب إلى جانب إخراج عمل الجوارح.

❊ وخالفوهم في:

- أن القول ركن في الإيمان، وأن الشهادتين لا يصح الإيمان إلا بها، وعند غلاة المرجئة ليس ركناً، كما سيأتي، [وبعض هؤلاء الفقهاء أخرج القول أيضاً فوافق الجهمية].

وعليه: فمذهب مرجئة الفقهاء بعيد عن الحق والسنة ومذهب أهل السنة ولم يصب من سماه خلافاً لفظياً. وسيأتي رد مذهب المرجئة قريباً.

❊ الكرامية: وهم أتباع محمد بن كرام السجستاني.

عرفوا الإيمان: بأنه إقرار اللسان فقط، لا يزيد ولا ينقص ولا يستثنى فيه.

ذكر هذا عنهم الأشعري وابن حزم وابن منده وشيخ الإسلام وابن أبي العز وغيرهم.

قال ابن حزم رحمه الله تعالى: «وذهب قوم إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان بالله تعالى وإن اعتقد الكفر بقلبه، فإذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة، وهذا قول محمد بن كرام وأصحابه».

وقوله: (من أهل الجنة) غلط منه، بل المقرر عندهم أن المنافق مخلد في النار.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «والكرامية توافق المرجئة والجهمية في أن إيمان الناس كلهم سواء، ولا يستثنون في الإيمان، بل يقولون: هو مؤمن حقاً لمن أظهر الإيمان، وإن كان منافقاً فهو مخلد في النار عندهم، فإنه إنما يدخل الجنة من آمن باطناً وظاهراً، ومن حكى عنهم أنهم يقولون: المنافق يدخل الجنة فقد كذب عليهم، بل يقولون: المنافق مؤمن، لأن الإيمان هو القول الظاهر كما يسميه غيرهم مسلماً، إذ الإسلام هو الاستسلام الظاهر. ولا ريب أن قول الجهمية أفسد من قولهم من وجوه متعددة شرعاً ولغة وعقلاً.

وإذا قيل: قول الكرامية قول خارج عن إجماع المسلمين، قيل: وقول جهم في الإيمان قول خارج عن إجماع المسلمين قبله، بل السلف كفروا مَن يقول بقوله في الإيمان.

وشبهتهم: أن المنافق خوطب باسم الإيمان، وأن أحكام الإسلام تجري عليه في الظاهر كالفرائض وغيرها.

وشبهةٌ أخرى كغيرهم هو ظنهم أن الإيمان شيء واحد.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «مع أن الكرامية لا تنكر وجوب المعرفة والتصديق، ولكن تقول لا يدخل في اسم الإيمان حذراً من تبعضه وتعدده، لأنهم رأوا أنه لا يمكن أن يذهب بعضه ويبقى بعضه، بل ذلك يقتضي أن يجتمع في القلب إيمان وكفر، واعتقدوا الإجماع على نفي ذلك».

والجدير بالذكر: أن الكرامية قصروا التعريف السابق على اللسان وبنوا عليه أن عصاة

المسلمين مؤمنون حقاً، أي: كاملوا الإيمان، وأن العمل لا يدخل في الإيمان، وهذا موافق لقول غلاة المرجئة في الجملة.

ولهذا سماهم ابن منده (أهل الغلو في الإرجاء)، ونحو ذلك قال القاضي عياض.

والرد عليهم: أن تعريفهم للإيمان بدعة لم يقل بها أحد، مخالفة للأدلة والإجماع، وقد سبق.

وأما ما ذكروه في شأن المنافق فهو تناقض عجيب، وسيأتي الرد على من أخرج العمل.

❊ الجهمية:

عرفوا الإيمان: بأنه المعرفة بالله تعالى فقط، وأنه لا يزيد ولا ينقص، ولا يتفاضل ولا يتبعض، ولا يجوز الاستثناء فيه، فمن آمن بقلبه وجحد بلسانه فهو عندهم مؤمن، وأخرجوا القول والعمل [عمل القلب وعمل الجوارح] وبنوا عليه أن الكفر هو الجهل بالله تعالى فقط.

ومذهب الجهم ذكره الأشعري وابن حزم وشيخ الإسلام وابن أبي العز وجمع سواهم.

وقد رد عليهم ابن القيم برد جميل فقال: «ومن قال إن الإيمان مجرد اعتقاد صدق الرسول فيما جاء به وإن لم يلتزم متابعته وعاداه وأبغضه وقاتله.. لزمه أن يكون هؤلاء كلهم مؤمنين، وهذا إلزام لا محيد عنه، ولهذا اضطرب هؤلاء في الجواب عن ذلك لما ورد عليهم...».

يعني: يلزمهم أن إبليس وفرعون وكفار قريش... مؤمنون، لأنهم عرفوا الله تعالى، فزعموا إنما كفرهم لجهلهم به، وهذا مردود بأدلة الكتاب والسنة والواقع، قال تعالى عن فرعون: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤]، وقال عن إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحجر:٣٦]، ونحوها من الآيات. وقال عن كفار قريش: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]...

ولخبث مذهب جهم فقد كفره العلماء وكفروا من قال بقوله.

* **الأشاعرة**: عرفوا الإيمان بأنه: التصديق بالقلب فقط.

هذا مذهب جمهور الأشاعرة، (فأخرجوا القول والعمل) وأنه لا يتبعض ولا يتفاضل، وأنه لا يزيد ولا ينقص... وهو مذهب جمهور الماتريدية...، والكفر عندهم: التكذيب بالقلب...

وشبهتهم كغيرهم: أن الإيمان شيء واحد.

ومن حججهم: أن الإيمان في اللغة التصديق، وهذه الحجة نقضها شيخ الإسلام من عشرة أوجه في كتابه «الإيمان». قال الأشعري - قبل توبته -: «والذي أختاره في الأسماء قول الصالحي». وقال صاحب «المواقف» «الإيمان عندنا التصديق للرسول فيما علم بمجيئه به ضرورة فهو في الشرع تصديق خاص». اهـ المراد بتصرف.

وقال الباقلاني: «الإيمان هو التصديق بالله تعالى... دون ما سواه من سائر الطاعات من النوافل والمفروضات...».

فالإقرار والعمل عندهم شرط في الإيمان يلزم الإتيان بهما، ومن فرط فيهما فهو معرض للعقاب.

وقال البيجوري بعد أن ذكر بعض الأشاعرة جعل الإقرار والعمل شرط صحة، قال: «وهذا قول ضعيف كالقول بأنها شطر منه، والراجح أنها شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فقط، فهي شرط كمال في الإيمان على التحقيق».

* **والرد عليهم من وجوه:**

١ - أن أهل اللغة لم يتفقوا على أن الإيمان هو التصديق.

٢- أن العبرة بالحقائق الشرعية لا اللغوية.

٣- أن لفظ التصديق لا يرادف الإيمان لا من ناحية اللفظ ولا من ناحية المعنى ...

٤- أن التصديق يطلق على قول اللسان وعلى عمل الجوارح، فالقول مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٣]، العمل مثل قوله تعالى:

﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ [الصافات:١٠٥] أي: بالعمل والتنفيذ. وأدلة أخرى، فانتقض قولهم.

٥- أن التصديق يتفاضل ويزيد وينقص... وهم نفوا هذا عن الإيمان. وهذا تناقض منهم.

* الصوفية:

وهم في الجملة من غلاة المرجئة، فغلاتهم على مذهب جهم، وجمهورهم على مذهب الأشاعرة، فأصحاب وحدة الوجود أعلى درجات الإيمان عندهم المعرفة، وهي وحدة الوجود، أن تعرف أن كل ما في الكون هو الله، ومنهم طائفة تقول بما يسمونه بـ (درجة اليقين)، وهي (درجة يبلغها العابد بقوة إيمانه ترفع عنه التكاليف وتباح له المحظورات).

فعندهم أن ترك الأعمال وفعل المحرمات بل الشركيات لا تخرج العبد من الإيمان الكامل، وهذا أقبح الإرجاء.

وقد سبق النقل عن الأشاعرة الصوفية، إذ الصوفية ذنَب للأشاعرة.

* الحزبية:

بعضهم على مذهب الخوارج مِن جعْل الأعمال ركن في الإيمان، من أخل بشيء منه كفر، ومنهم من يقول بقول الأشاعرة، وهم قلة، ومنهم من يقول بقول أهل السنة.

* الرد العام على من أخرج العمل من مسمى الإيمان:

١- أن القرآن والسنة صرحا أن العمل من الإيمان، كقوله تعالى في الصلاة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، والجهاد كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا﴾ [الحجرات:١٥] الآية.

وحديث الشُّعَب حيث جعل (إماطة الأذى) من الإيمان.

فمن أخرج العمل من الإيمان فقد خرج عما دلت عليه الأدلة الشرعية.

٢- مخالفة الإجماع، فقد أجمع علماء السلف ومن تبعهم بإحسان على أن العمل من الإيمان كما سبق نقله.

٣- أجمع العلماء على تبديع المرجئة جملة لإخراجهم العمل عن مسمى الإيمان.

٤- أن إيمان القلب لازم لعمل الجوارح كما سيأتي في مسألة أخرى.

فمن قال أن عمل القلب من الإيمان لزمه القول بأن عمل الجوارح من الإيمان لامتناع قيام الإيمان بالقلب من غير حركة بدن.

٥- قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «إن المرجئة لما عدلوا عن معرفة كلام الله ورسوله أخذوا يتكلمون في مسمى الإيمان والإسلام وغيرهما بطرق ابتدعوها، مثل أن يقولوا: الإيمان في اللغة هو التصديق، والرسول إنما خاطبنا بلغة العرب. ثم قالوا: التصديق إنما يكون بالقلب واللسان أو بالقلب، فالأعمال ليست من الإيمان...» اهـ المراد. وقد بين فساد قول المرجئة(١).

٦- أن المرجئة أخرجوا الظاهر، فعندهم أن من نطق بالشهادة ثم لم يعمل خيراً قط مع قدرته على العمل أنه مؤمن ناجٍ من عذاب الله تعالى.

وهذا باطل مردود بالأدلة والإجماع.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ومن الممتنع أن يكون الرجل مؤمناً إيماناً ثابتاً في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والصيام والزكاة والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم رمضان ولا يؤدي لله زكاة ولا يحج إلى بيته، فهذا ممتنع، ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة لا مع إيمان صحيح...»(٢).

---

(١) راجع «الفتاوى» (٧/ ٢٨٨-٢٩٠).

(٢) «الفتاوى» (٧/ ٦١٦).

وهذه المسألة هي ما يسميه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى (جنس العمل) ، فتارك جنس العمل كافر بإجماع السلف.

وقد حاول بعض الحزبيين نعش هذه المسألة ليتسنى لهم التكفير من جهة والطعن في العلماء من جهة أخرى. والحقيقة أن هذه المسألة نظرية أكثر من كونها واقعية.

٧- أن الحكم في الدنيا يكون على ما ظهر من الأعمال والأقوال لا على ما يقوم بالقلب، إذ لا يعلمه إلا الله تعالى، فنفي العمل عن مسمى الإيمان من تشجيع الفساد في الأرض، إذ بإمكان كل فاجر أن يدعي أن قلبه كامل الإيمان.



[عقيدة أهل السنة في الصحابة والقرابة]

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلامَةُ قُلُوبِهِم وَأَلْسِنَتِهِم لأَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ كَمَا وَصَفَهُم اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحَشْرِ: ١٠]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: (لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثل أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ)[١].

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ، وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ -وَكَانُوا ثَلاَثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرتُ لَكُمْ)[٢]، وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ[٣] بَلْ قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ. وَيَشْهَدُونَ بِالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ كَالْعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِن الصَّحَابَةِ،

---

(١) (خ ٣٦٧٣) (م ٢٥٤١) عن أبي سعيد رضي الله عنه، وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه (م٢٥٤٠).

(٢) (خ ٣٠٠٧) (م ٢٤٩٤) عن علي رضي الله عنه، ولفظه: (لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ).

(٣) (م ٢٤٩٦) عن أُمُّ مُبَشِّرٍ رضي الله عنها، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا»، وجاء نحوه عن جابر عند أبي داود (٤٦٥٣) وغيره وصححه الألباني.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ(١)، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيم عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ، مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَد اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيم أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، وَرَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّم قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا، لَكِن اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ ثُمَّ عَلِيٍّ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - لَيْسَتْ مِن الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنَّ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيها مَسْأَلَةُ الْخِلاَفَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلاَفَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاَءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهم، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: (أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي)(٢). وَقَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ وَقَد اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ؛ فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ للهِ وَلِقَرَابَتِي)(٣).

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧١) وأحمد (١/ ١٢٨) وغيرهما.

(٢) (م ٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٨٧٧) وغيره وهو منقطع، وراه الترمذي (٣٧٥٨) بلفظ «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ للهِ وَلِرَسُولِهِ». وهو ضعيف، وضعفه الألباني.

وَقَالَ: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)(١).

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ، خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلادِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)(٢).

وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمِ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ، حَتَّى أَنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لاَ يُغفرُ

---

(١) (م ٢٢٧٦) عن واثلة رضي الله عنه نحوه.

(٢) (خ ٣٤١١) (م ٢٤٣١) عن أبي موسى رضي الله عنه.

لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُمْ مِن الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ[(١)]، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَو ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالخَطَأُ مَغْفُورٌ.

ثُمَّ القَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ مِن الإِيمَانِ بِالله وَرَسُولِهِ ﷺ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ. وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِن الفَضَائِلِ، عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، لاَ كَانَ وَلاَ يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُم الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى الله، جَلَّ شَأْنُهُ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصحابة كلهم عدول أخيار.

الثانية: الصحابة هم حملة الدين، فالطعن فيهم طعن في الدين.

---

(١) (خ ٢٦٥٢) (م ٢٥٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه، و(م ٢٥٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه. و(خ ٢٦٥١) (م ٢٥٣٥) عن عمران رضي الله عنه.

الثالثة: الصحابة أفضل الأمة، فلا يقاس بهم مَن بعدهم.

الرابعة: عدالة الصحابة لا تعني عصمة أفرادهم.

الخامسة: الصحابة يتفاضلون حسب السابقية والخيرية.

السادسة: حب الصحابة إيمان وإحسان وبغضهم كفر وطغيان.

السابعة: حب الصالحين من أهل البيت من الدين.

الثامنة: فضائل أهل البيت لا تشمل أهل الضلال منهم.

التاسعة: خير الصحابة العشرة وأفضلهم الخلفاء على ترتيبهم.

العاشرة: من قدم علي على عثمان في الخلافة فهو ضال.

الحادية عشر: الإمساك عما شجر بين الصحابة هو السنة.

الثانية عشر: من قدح في غالب الصحابة فهو كافر.

الثالثة عشر: من نطق في عيب الصحابة بكلمة فهو مخالف للسنة.

الرابعة عشر: من اتهم عائشة بما برأها الله تعالى منه فهو كافر.

الخامسة عشر: البراءة من الروافض والخوارج من الدين.

السادسة عشر: طريقة النواصب طريق ضلالة.

السابعة عشر: أول التشيع تقديم علي على عثمان في الفضل.

الثامنة عشر: أول الرفض الطعن في معاوية ونحوه.

....

هذا الفصل في فضل الصحابة رضي الله عنهم، والدفاع عنهم ممن سبهم أو تنقصهم من أهل البدع والضلال، وأهل السنة يذكرون هذا في عقائدهم؛ لأن الصحابة هم حملة الدين وحفاظ الوحي، فمن طعن فيهم فقد طعن فيما حملوه، فالرافضة تريد أن تبطل الدين بالقدح في حملته، ولكنها فشلت وبقي الدين عزيزًا منيعًا.

قوله: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِم وَأَلْسِنَتِهِم لأَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ كَمَا وَصَفَهُم اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الآية) سلامة قلوبهم من البغض، وسلامة ألسنتهم من السب، ولا

يكتفون بذلك بل يحبونهم ويكثرون الثناء عليهم والترضي والاستغفار لهم كما في الآية.

وقوله: (وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: (لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْل أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ) فمن سبهم فهو مخالف لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

قوله: (وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ، وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَل عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ - وَكَانُوا ثَلاَثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ: (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرتُ لَكُمْ)) الإيمان بما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من أصول الدين كما تقدم مرارًا، وأفضلية الصحابة فيما بينهم باعتبارين: الأول: السابقية إلى الإسلام، والثاني: النفع والخير الذي بذله، فعمر رضي الله عنه أفضل من بعض من سبقه لما نفع الله تعالى به، فما لم يرد فيه سوى السابقية فالأفضل هو الأسبق.

وأفضل الصحابة أهل بدر ثم أهل الحديبية، ثم من بعدهم، ومن آمن قبل الحديبية أفضل ممن جاء بعد ذلك، والمهاجرون أفضل من الأنصار في الجملة.

وقوله: (وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ...) للنص في ذلك، فالشهادة لمن ورد نص في كونه من أهل الجنة حق تصديقًا للخبر الوارد فيه كالعشرة وأهل بدر والحديبية، وأمهات المؤمنين، وعدد كثير ممن ورد النص فيهم.

وقوله: (وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي البَيْعَةِ) لا خلاف في هذا بين أهل السنة كما سيأتي.

وقوله: (مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَد اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا...) وهذا كان في صدر الأمة ثم اندثر، وهو اجتهاد مرجوح، وبعد ذلك صار تقديم علي رضي الله عنه أول ما يظهر من التشيع، ثم يغلو الأمر إلى الرفض.

وقوله: (لَكِنَّ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيها مَسْأَلَةُ الْخِلاَفَةِ...) من رتب الخلافة على خلاف ما وقع فهو رافضي مخالف لإجماع الصحابة والسلف.

وقوله: (وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ الله ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهم...) المراد بهم الصحابة من القرابة، ومن تبعهم بإحسان ممن بعدهم، أما من ذهب مع البدع أو الشرك فلا وزن لهم ولا كرامة.

وقوله: (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ الله ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ...) ولهن فضل الصحب، وفضل القرابة، وفضل العلم والصلاح.

وقوله: (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) أي: في زمانها، وخديجة كانت قبل، وهي أفضل نساء هذه الأمة بالنص النبوي «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ» (خ ٣٤٣٢) (م ٢٤٣٠) فهما خير ما خلق الله تعالى من النساء.

وقوله: (وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ) وعملهم هذا ليس لشيء إلا مكر بالإسلام والمسلمين. كما سيأتي.

وقوله: (وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ البَيْتِ) وهم من نصب العداء لأهل البيت من الخوارج وغيرهم.

وقوله: (وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ...) حتى لا يقعوا في شيء من تنقص أو سب الصحابة أو الغل عليهم، فيكون ذلك مخرجًا من الإيمان.

وقوله: (إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ) هذا الظن بهم، أن ما وقع لم يكن عن هوى ولا رغبة في سفك الدماء.

وقوله: (وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لاَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِن الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِه، بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِم الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَة...) لأن العصمة الفردية لا تكون إلا للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، والصحابة بإجماعهم معصومون عن الخطأ، كما أن هذه الأمة لا تجمع على ضلالة أبدًا.

وقوله: (مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ) أي ما يرجى لهم به المغفرة، وهم مع ذلك إلى الله تعالى يحكم فيهم وبينهم، ولم يكل ذلك إلى رافضي تائه يحاكم الصحابة على ما صدر منهم.

وهذا المعنى: حصله المصنف من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤].

وقوله: (كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ...) لعظيم إخلاصهم ورغبتهم فيما عند الله تعالى، وفضل سابقيتهم.

وقوله: (ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِه، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَو ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ...) الله أكبر! ما أجمل هذا الاستنباط، ولكن أكثر الناس لا يعقلون، فالذي يرجو لغيرهم الرحمة والمغفرة لحسنات قدموها ممن يحبهم، ألا يرجو ذلك لخير الناس رضي الله عنهم.

وقوله: (فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقَةِ...) يعني: التي تعمدها صاحبها، فكيف بما وقع عن طريق الاجتهاد، ثم من وقع بينهم الخلاف مع علي رضي الله عنهم هم قليل بالنظر إلى كثرة الصحابة الذين ماتوا قبل، والذين لم يشاركوا، فلماذا تعادي الرافضة عامة الصحابة؟!

وقوله: (مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ...) وهذا أمر سادس مع الاحتمالات الخمسة السابقة. رحمك الله تعالى شيخ الإسلام.

وقوله: (لاَ كَانَ وَلاَ يَكُونُ مِثْلُهُمْ) لا كان في الأمم السابقة ولا اللاحقة من يعادل الصحابة في الفضل، وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ فلتخسأ أعين الرافضة والخوارج.

وقد شغب أهل البدع في هذا وإليك بعض ضلالتهم:

نقلًا من كتابنا (أصول أهل السنة):

عقيدة أهل البدع والأهواء في الصحابة الكرام

المسألة الأولى: في عقيدة الأشاعرة والماتريدية والصوفية والحزبية ونحوهم.

* الأشاعرة:

ضلالهم في هذا الباب أخف منه في غيره، فمما أُخذ عليهم أو على بعضهم:

١ - الخوض بالباطل فيما شجر بين الصحابة.

٢ - تفضيل بعض التابعين على بعض الصحابة.

٣- طعنهم في عدالة بعض الصحابة.

٤ - طعنهم في معاوية وعمرو بن العاص وبعض الصحابة.

فقد نُقل عن أبي الحسين بن القطان أنه قال: «لابد من بحث عن عدالة الصحابة كغيرهم ممن بعدهم، وحجته أنه قال: "فوحشي قتل حمزة وله صحبة، والوليد شرب الخمر، فمن ظهر عليه خلاف العدالة لم يقع عليه اسم الصحبة، والوليد ليس بصحابي، لأن الصحابة إنما هم الذين كانوا على طريقته".

وذكر المازري: العدالة لمن لازم النبي ﷺ دون من قلَّت صحبته.

وقد حكم السخاوي مع أنه أشعري وغيره على هذه الأقوال بأنها ساقطة لا يعتبر بها، وأيضاً مخالفة للأدلة والإجماع...

* الصوفية:

وهم في الجملة كالأشاعرة وعندهم من المخالفات:

١- زعم بعضهم أن الأولياء أو بعضهم أفضل من الصحابة وأعلم، وقد سبق أن بعضهم يفضل الولي على النبي...

٢- غلوهم في الصحابة... مما أوصلهم إلى ممارسة الشرك عند قبورهم كما هو الحاصل عند قبر أبي أيوب وابن عباس وغيرهما.

* الحزبية:

هم في الجملة يترضون عن الصحابة، ولهم في هذا الباب زلات، ومنها:

١- سب بعضهم للصحابة، كما فعل سيد قطب والغزالي والترابي.

فهذا سيد قطب ينتهج منهج الخوارج في شأن عثمان ويطعن فيه طعن الروافض، فيتهم عثمان بأنه (تغير في خلافته، وأن بني مروان كانوا يصرفون أمر عثمان والخلافة، وأنه بذل مال المسلمين لقرابته، وأنه وسع في الملك على معاوية ومهد له طلب الخلافة بعده، وأن روح عثمان ضعفت عن عزائم الإسلام، وأن خلافته كانت فجوة بين خلافة عمر وعلي، وأنه خلَّف الدولة الأموية قائمة بالفعل....) ثم يمدح الخوارج ويطريهم.

- ويصف معاوية بأنه يغدر ويفجر، وأن روح الإسلام انحسرت في عهده بلا جدال، وأن بيت المال صار للحاشية، وأنه قاتل لأجل الملك والإمارة، وركن - هو وعمرو بن العاص - إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم...

- وطعن في الصحابة من قريش، وزعم أن عمر حبسهم في المدينة حتى لا تمد أبصارهم إلى الدنيا إلى الملك والسلطان.

- ويقول: إن روح الإسلام هزمت في عهد معاوية بل انطفأت...

- ويصف أبا سفيان بما يفيد تكفيره له...

- ويطعن في عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص والزبير وطلحة... وغير ذلك مما بثه في كتبه (العدالة الاجتماعية) وغيره.

وقد خاض هذا المستنقع من زعماء الحزبية: المودودي في كتابه (الخلافة والملك) و(التجديد لهذا الدين)، والغزالي في كتابه (السنة النبوية) والترابي في كثير من مقالاته، والدفاع عن سبابي الصحابة مثل دفاع محمد قطب عن أخيه سيد قطب ونشر كتبه التي تحتوي على تلك الطعون، وهكذا يستقر نشر حزب الإخوان لتلك الكتب مع ما فيها من الطعون، لأن الأهم منها إثارة الناس على حكامهم ولو على حساب الطعن في الصحابة – ومدح الخوارج -.

وقد نشر أحد الطلاب مقالاً في الانترنت ضمنه (طعون الحزبيين في الصحابة) وذكر فيه الشيء الكثير بمراجعها من كتبهم.

وقد توالت الردود على المودودي وعلى سيد قطب وغيرهما، ومن ذلك (مطاعن سيد قطب في الصحابة) للإمام المجدد ربيع المدخلي رفع الله تعالى درجته، وقبله العلامة محمود شاكر، فله مقالات عدة، وهي ردود على سيد قطب، وقد نشرت بعنوان (ردود العلامة محمود شاكر ومعاصريه على سيد قطب) وكتب أخرى كثيرة.

المسألة الثانية: في عقيدة المعتزلة والخوارج ونحوهم.

❊ المعتزلة:

ذهب جمهورهم إلى أن الصحابة عدول إلا من قاتل علياً بالجمل وصفين... فنفوا عنهم العدالة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة ومن الخوارج، فإن المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الأربعة، وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان، وكذلك المعروف

عنهم أنهم يتولون علياً، ومنهم من يفضله على أبي بكر وعمر، وحكي عن بعض متقدميهم أنه قال: فسق يوم الجمل إحدى الطائفتين ولا أعلم عينها، وقالوا: إنه قال: لو شهد علي والزبير لم أقبل شهادتهما لفسق أحدهما لا بعينه، ولو شهد علي مع آخر ففي قبول شهادته قولان.

وهذا القول شاذ فيهم، والذي عليه عامتهم تعظيم علي.

ومن المشهور عندهم ذم معاوية وأبي موسى وعمرو بن العاص لأجل علي، ومنهم من يكفر هؤلاء ويفسقهم، بخلاف طلحة والزبير وعائشة فإنهم يقولون: إن هؤلاء تابوا من قتاله، وكلهم يتولى عثمان ويعظمون أبا بكر وعمر...».

وذكر عن الأصم أنه قال: «إن علياً لم يكن إماماً، لأنه لم يجتمع عليه».

وقال غيره: «لم يكن معاوية إماماً بحال...».

وقال بكر بن أخت عبد الواحد: «إن علياً وطلحة والزبير مشركون منافقون وهم في الجنة...». ومنهم من يطعن في ابن عمر ممن رد مقالة القدرية.

وقد رد الحافظ ابن كثير عليهم بقوله: «وقول المعتزلة (الصحابة عدول إلا من قاتل علياً) قول باطل مرذول ومردود – وذكر حديث صلح الحسن وآية الحجرات – وقال: فسماهم مسلمين مؤمنين مع الاقتتال».

فالصحابة كلهم عدول بنص القرآن والسنة وإجماع الأمة، وسيأتي بسطه عند الكلام على الرافضة.

❋ الخوارج:

وهم نواصب، فالنواصب هم الذين نصبوا العداء لأهل البيت خصوصاً ولغيرهم من الصحابة.

والخوارج بأسرها تثبت إمامة أبي بكر وعمر، وينكرون إمامة عثمان في وقت الأحداث التي نُقِم عليه من أجلها، ويقولون بإمامة علي قبل أن يُحكِّم، وينكرون إمامته لما أجاب إلى

التحكيم، ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري(١).

وقال المسعودي: «الذي يجمع الخوارج إكفار عثمان وعلي... وإكفار معاوية وناصريه ومقلديه ومحبيه...».

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «فلما افترقت الأمة في خلافة علي رضي الله عنه وجد شيطان الخوارج موضع الخروج فخرجوا وكفروا علياً ومعاوية ومن والاهما»(٢).

فشمل تكفير كثير من الصحابة الذين شهدوا وقعة الجمل وصفين وغيرهم ممن والوا أحد الطرفين.

قال الورجلاني الإباضي: «وأما معاوية وعمرو بن العاص فهما على ضلالة لانتحالهما ما ليس لهما بحال، ومن حارب المهاجرين والأنصار فرقت بينهما الدار وصار من أهل النار...».

وهم من هذا مقالات كثيرة تجدها في المراجع المذكورة.

* والرد عليهم:

١- يرد عليهم بالأدلة الكثيرة في فضائل الصحابة عموماً وخصوصاً.

٢- مخالفتهم لإجماع الأمة.

٣- الأدلة التي تبين أن مرتكبي الكبائر - دون الشرك - لا يخرجون من الإسلام والإيمان بالكلية، كقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات:٩] الآية. فوصفهم بالإيمان مع وجود القتال، وقد سبق هذا في باب الإيمان.

٤- أنه لا يطعن في خيار الأمة إلا شرارها...

---

(١) «المقالات» (١/ ٢٠٤).

(٢) «الفتاوى» (١٩/ ٨٩).

٥- أنه قد ثبت بالأدلة الكثيرة ذم الخوارج وبيان فساد معتقداتهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء:١١٥]، والخوارج اتبعوا غير سبيل المؤمنين.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٧]، قال أبو أمامة: هم الخوارج. وجاء مرفوعاً عند أحمد.

وقوله ﷺ في الخوارج: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم»، «يقتلون أهل الإسلام ويذرون أهل الأوثان»، «كلاب أهل النار، شر قتلى تحت أديم السماء»، «كلما خرج قرن قُطع»، «إن في قتلهم أجراً»، «طوبى لمن قتلهم أو قتلوه»... وغيرها. وكل ما ذكرناه صحيح في «مسلم» من رقم (١٠٦٣) وما بعده، و«الجامع الصحيح» للوادعي في كتاب الإيمان وكتاب العلم.

٦- أن الصحابة أجمعوا على ذمهم والتحذير منهم، وسموهم الخوارج.

٧- أما ما شجر بين الصحابة فقد ناظرهم عليه ابن عباس، فرجع منهم جمع غفير، وبقي منهم جمع اتبعوا الهوى.

٨- أن الله تعالى لم يبعث الخوارج حكاماً على صحابة نبيه ﷺ ولا على غيرهم ولكنهم قوم يجهلون.

المسألة الثالثة: في عقيدة الرافضة ونحوها.

❊ الرافضة:

جمهور الرافضة - الاثني عشرية - يكفرون عموم الصحابة إلا نفراً يسيراً، ولهم حجج منها:

- أنهم اغتصبوا الخلافة من علي رضي الله عنه وظلموا أهل البيت.
- أنهم حرفوا القرآن فحذفوا ما ورد في الإمامة...

- أنهم ارتدوا عن الإسلام إلى الجاهلية الأولى...

* وأما الزيدية وطوائف أخرى من الشيعة فمنهم من يسب الصحابة، ومنهم من يكفِّر ومنهم من لا يكفِّر... ومنهم طائفة تطعن في أهل البيت...

قال القاضي عبد الجبار: «أما الإمامية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إمامة الاثني عشر النص الجلي الذي يكفر من أنكره ويجب تكفيره فكفروا لذلك صحابة النبي عليه السلام».

وقال البغدادي في «الفرق بين الفرق»: «وأما الإمامية فقد زعم أكثرهم أن الصحابة ارتدت بعد النبي ﷺ سوى علي وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم».

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص فكفروا إلا قليلاً منهم... ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا».

وذكر صاحب «الكافي» (٢/ ٢٤٤) عن الصادق أنه قال: «المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا... - وأشار بيده - ثلاثة».

وعلق شيخهم المعاصر (علي أكبر الغفاري): «والمراد بالثلاثة: سلمان وأبو ذر والمقداد»، وذكر نحوه الكشي في رجاله (ص ٦)، والعياشي في تفسيره (١/ ١٩٩).

وزاد بعضهم في رواية عن الصادق حتى أوصلهم إلى سبعة فقط.

ويخصصون الخلفاء الثلاثة وعائشة وحفصة ومعاوية وعمرو بن العاص بمزيد من اللعن والتكفير.

فقد عقد المجلسي في «بحار الأنوار» (٨/ ٢٠٨-٢٥٢) باباً في ذمهم بعنوان: (باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم).

وقال (ص ٣٢٥): «إن إبليس أرفع مكاناً في النار من أبي بكر وعمر...».

وفي كتاب النورسي الطبرسي «مستدرك الوسائل» (١/ ٣٤٢) عقد باباً بعنوان: (باب استحباب لعن أعداء الدين عقب الصلاة بأسمائهم).

وفيه عن أبي عبد الله قال: إن من حقنا على أوليائنا أن لا ينصرف الرجل – من صلاته – حتى يدعو بهذا الدعاء: اللهم ضاعف لعنتك وبأسك ونكالك وعذابك على اللذين كفرا نعمتك... اللهم العنهما وابنتيهما وكل من مال ميلهم... اللهم العن من دان بقولهم واتبع أمرهم ودعا إلى ولايتهم وشك في كفرهم من الأولين والآخرين...(١).

ولم يقف الأمر هنا، بل تجد طعونهم في علي رضي الله عنه وآل بيته، وما ذاك إلا دلالة ظاهرة على أنهم ليسوا مع أهل البيت كما بينه إحسان إلهي ظهير في كتابه «الشيعة وأهل البيت»، ولنا كتاب بعنوان «التنبيهات المختصرة على مخالفة الشيعة لعلي وآل بيته البررة»، وقد بسط فيها القفاري في كتابه «أصول مذهب الشيعة» ومن ذلك:

- أنهم لم يستثنوا من الكفر إلا سبعة ليس فيهم علي ولا أهل بيته، كما في روايات كتبهم، فشملهم تكفير الرافضة...
- وصرحوا بتكفير العباس وبنيه كما صرح به حسن المصطفوي معلقاً على قول الكشي: «اللهم العن ابني فلان... قال: هما عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس»(٢).

وكان بعض قدماء الشيعة يسمون الحسن (مذل المؤمنين).

وشيعة الكوفة هم قتلة الحسين ليس معهم حجازي ولا شامي.

(١) المرجع السابق.

(٢) «رجال الكشي» (ص ٥٣).

وعلي رضي الله عنه كفَّره طائفة من غلاة الرافضة لأنه ترك حقه من أمر الخلافة. ومنهم من وصفه بالجبن لتزويجه ابنته بعمر رضي الله عنه. والاسترسال في هذا يطول(١).

* الرد عليهم:

١- بالأدلة من الكتاب والسنة في فضل الصحابة وأهل البيت...

٢- مدح أهل البيت للصحابة ومدح الصحابة لأهل البيت، فكانت بينهم المودة والأخوة، وقد صح من طرق عن علي رضي الله عنه أنه قال: «خير الناس أبو بكر ثم عمر».

وصح عنه أنه قال: «كل أصحاب رسول الله ﷺ أصحابي»(٢).

وصح عنه أنه فسر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [الأنبياء:١٠١] قال: عثمان وأصحابه. وصح نحو ذلك من المدح عن الحسن وعلي بن الحسين وزيد بن علي وجمع من أهل البيت.

وثناء أبي بكر وعمر والصحابة في أهل البيت قد ألفت فيه مؤلفات، ومن ذلك قول أبي بكر رضي الله عنه: «والله لقرابة النبي ﷺ أحب إليَّ أن أصلهم من قرابتي».

٣- شهادة الواقع والتاريخ: فإن الصحابة هم الذين نشروا الإسلام في شرق الأرض وغربها، أما الرافضة فهم أهل فساد وإفساد وموالاة لأعداء الإسلام...

٤- أن منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى وجهوده العظيمة وعناية الله تعالى به دلالة على أن الله تعالى اختار له أصحاباً أخياراً أبراراً.

---

(١) راجع: «أصول مذهب الشيعة» (٢/ ٧١٦-٧٣٧)، «انتقاص الأنبياء والملائكة وانتقاص علي ڤ» للغامدي. «رافضة اليمن على مر الزمن» (٨٠-٩٠)، «الشيعة وآل البيت» (ص ٢٦٦-٢٩٦) وغيرها.

(٢) رواه اللالكائي (٢٤٥٥).

وما كان سبحانه ليختار لهذا الدين أفضل الرسل وأعظمهم وأوسعهم رسالة ثم يختار له أسوأ الأصحاب وأسوأ الأمم.

فهذا أمر يناقض ما دل عليه القرآن من حكمة الباري سبحانه. وطعنٌ في رسول الله ﷺ: كيف أخفق في تربية عامة أصحابه؟! وهذا واضح، لكن الشيعة لا تبالي بدين ولا بنبي ولا بصحابة.

٥- روايات الرافضة مبنية على أخبار الكذابين والثناء على الملحدين والطعن في النبيين وأصحابهم المؤمنين...

وذلك ظاهر أنه من صنع قوم يعادون الرسل والدين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وهذا هو أصل مذهب الرافضة، فإن الذي ابتدع الرفض كان يهودياً أظهر الإسلام نفاقاً ودس الجهال دسائس يقدح بها في أصل الإيمان، ولهذا كان الرفض أعظم أبواب النفاق والزندقة، فإن الرجل يكون واقفاً ثم يصير مفضلاً ثم يصير سباباً ثم يصير غالياً ثم يصير جاحداً مُعطِّلاً.

ولهذا انضمت إلى الرافضة أئمة الزنادقة من الإسماعيلية والنصيرية وأنواعهم من القرامطة والباطنية والدرزية وأمثالهم من طوائف الزندقة والنفاق.

فإن القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول ﷺ قدح في الرسول عليه السلام كما قال مالك وغيره من أهل العلم: هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين.

وأيضاً فهؤلاء الذين نقلوا القرآن والإسلام... فإن القدح فيهم يوجب أن لا يوثق بما نقلوه من الدين... والرافضة ليس لهم عقل ولا نقل ولا دين ولا دنيا منصورة...». وقال إحسان إلي رحمه الله تعالى: «التشيع ملجأ لكل من أراد هدم الإسلام»[(١)].

---

(١) تجد المراجع في الأصل (أصول أهل السنة).

[الإيمان بكرمات الأولياء]

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كَالْـمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ، وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ فِرَقِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى : الإيمان بكرمات الأولياء من الإيمان بآيات الأنبياء.

الثانية : لا ولاية لغير أهل التوحيد والتقوى.

الثالثة : الأصل أن الكرمات سببها الصلاح.

الرابعة : أعظم كرامة دوام الاستقامة.

الخامسة : الكرامة لا تدل على الأفضلية المطلقة على الغير.

السادسة : الكرمات من جنس آيات الرسل ولا تبلغ مبلغها .

....

الكرامة: عرفها غير واحد من العلماء: هي آية أجراها الله تعالى على يد عبد من عباده.

وهي في الصالحين أكثر. وسميت كرامة لأنه يكرم بها من شاء، لوأنها تقع إما لحاجة العبد في نفسه أو أهله، أو لحاجته إلى تثبيت الإيمان في قلبه، أو للدعوة حتى تثبت أن دعوته على حق.

هي من جنس آيات الأنبياء تظهر على يد بعض أتباع الأنبياء والصالحين تأيداً له وتثبيتاً.

وهي تعتبر من آيات الأنبياء الصغرى، لأن اتباعهم وتصديقهم سبب وجودها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[١]: «فقد تبين أن من آيات الأنبياء ما يظهر مثله على أتباعهم، ويكون ما يظهر على أتباعهم من آياتهم – يعني: الرسل – فإن ذلك مختص بمن يشهد بنبوتهم...».

*** ومن الفروق بين الآية والكرامة:**

١- الآيات للأنبياء والكرامة لأتباع لأنبياء عليهم السلام.

٢- النبي معصوم... وصاحب الكرامة غير معصوم.

٣- الآيات لابد من إظهارها لتكون دعوة إلى الإيمان بالنبي وبرهان له، والكرامة لا يشترط ذلك، بل قد يكون الأفضل إخفاؤها.

٤- الكرامة داخلة في آيات الرسل ولا عكس.

٥- الآيات سببها النبوة... والكرامة سببها الصلاح والاتباع.

٦- لا تبلغ كرامة ولي إلى مثل آيات نبي قط وإن حصل للأولياء بعض من ذلك كما سبق.

*** الأدلة:**

قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة:٢٥٩] الآية. فهذه كرامة، ومثلها قصة أصحاب الكهف، وقوله تعالى لمريم: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم:٢٥] الآيات. وهؤلاء ليسوا بأنبياء ولا معصومين.

والأدلة في هذا الباب كثيرة، وقد ذكرها شيخنا عبد الرقيب الإبي في كتابه «كرامات الأولياء».

(١) «النبوات» (٢/ ٨٢٥) و(ص ٨٢٣-٨٢٤).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وقوع كرامات الأولياء إنما تكون لحاجة في الدين أو لمنفعة للإسلام والمسلمين، فهذه هي الأحوال الرحمانية سببها متابعة الرسول، ونتيجتها إظهار الحق وكسر الباطل، والأحوال الشيطانية ضدها سبباً ونتيجة»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: «فالكرامة ثابتة بالقرآن والسنة والواقع سابقاً ولاحقاً... فمذهب أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء».

* **هناك فروق بين الكرمات وخوارق السحرة منها:**

١- كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى، فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله تعالى لا من كرامات أولياء الله...

٢- كرامات الأولياء من جنس آيات الرسل – كما سبق – فبينها وبين السحر من الفروق كالسابقة بين الآيات والسحر.

وأما السحر فليس من جنس الآيات، فغاية أمره تخيلات وسحر الأعين، وأما قلب الأعين وتغيير الحقائق فلا يستطيع الساحر عليها كما ذكر الله تعالى عصى موسى وعصي السحرة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦]، وقال: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الشعراء:٤٥]، ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٨١].

٣- حال الساحر وحال صاحب الكرامة، فالأول كافر فآجر آثم ظالم، والثاني مؤمن موحد...

٤- الكرامة معينة على الطاعة أو مثبتة، والسحر وبال على صاحبه.

قوله: (خَوَارِقِ الْعَادَاتِ) والمراد بـ "خوارق العادات": ما يأتي على خلاف العادة الكونية.

ولا يلزم أن يكون في الأمور الدينية فقط، بل قد يكون في الأمور الدنيوية، وهو في الجملة

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٦٢٧).

خارق للعادة الحسية.

قوله: (فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ) أي: أن كرامات الأولياء تنقسم إلى قسمين: الأول: علم وكشف. والثاني: قدرة وتأثير. أما الأول فكأن يعلمه الله تعالى ويطلعه ويكشف له ما لا يكشف لغيره يقظة أو منامًا، فالعلوم مثل ما ذكر عن أبي بكر: أن الله أطلعه على ما في بطن زوجته -الحمل-؛ أعلمه الله أنَّه أنثى(١)، والمكاشفات كما حدث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة: يا سارية الجبل(٢). وأما الثاني؛ فكأن تكون له قدرة وتأثير على الأشياء ليست لغيره، كما وقع لمريم عليها السلام في هز النخلة، وما حدث لأصحاب الكهف من النوم الطويل بلا تغير.

قوله: (كَالْـمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ، وَغَيْرِهَا) ومنه ما هو مذكور في القرآن الكريم، ومنه ما صحت به السنة، وهو كثير، تراجع من كتاب الكرمات المذكور قبل.

وقوله: (وَسَائِرِ فِرَقِ الأُمَّةِ) أي: باقي أو جميع فرق الأمة، ولا يختص ذلك في صنف معين، بل توجد الكرامات وخوارق العادات في جميع أصناف أمة محمد ﷺ - إلا أهل البدع الظاهرة والفجور - فيوجد ذلك في أهل القرآن وأهل العلم، وفي أهل الجهاد، وفي التجار والصناع والزراع وغيرهم ممن كان صالحا متبعًا لسنة محمد ﷺ.

وقوله: (وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ) والدليل على أنها موجودة إلى يوم القيامة: الواقع المشاهد، ودليل الشرع فالرسول ﷺ أخبر في قصة الدجال أنه يقطع شابًّا قطعتين، ثم يدعوه، فيقوم يتهلل، فيقول الرجل: ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم! فيريد الدجال أن يقتله؛ فلا

---

(١) رواه اللالكائي في "كرامات الأولياء" (٦٣)، وأوردها ابن حجر في "الإصابة" (٤/ ٢٦١).

(٢) رواه البيهقي في "دلائل النبوة"، وذكره ابن كثير في "البداية" (٧/ ١٣١) وقال: إسناده حسن جيد. وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١١١٠).

يسلط عليه. (خ ١٨٨٢) (م ٢٩٣٨). فعدم تمكن الدجال من قتل ذلك الشاب من الكرامات بلا شك.

وقد ضل في مسالة الكرمات أهل البدع ومن ضلالتهم ما يأتي:

* المعتزلة:

أنكروا الكرامات وتأثير السحر لأصلهم السابق أن الخوارق خاصة بالنبي.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «قالت طائفة: لا تخرق العادة إلا لنبي، وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين، وهذه طريقة أكثر المعتزلة وغيرهم كأبي محمد بن حزم»[(١)].

وعلل ذلك عبد الجبار المعتزلي بقوله: «إن العادة لا تخرق إلا عند إرسال الرسل ولا تنخرق لغير هذا الوجه، لأن خرقها لغير هذا الوجه يكون بمنزلة العبث».

فأنكروا الكرامات والسحر لأجل أن لا تلتبس المعجزة بالكرامة والسحر.

* والرد عليهم:

١- بما يذكر من الفوارق بين آيات الأنبياء وغيرها من الكرامة أو السحر...

٢- قولهم مخالف للشرع والواقع، فالكرامات كثيرة في جميع الأمم.

٣- قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «فينبغي أن تعرف الفروق الكثيرة بين آيات الأنبياء وبين ما يشتبه بها كما يعرف الفرق بني النبي وبين المتنبئ وبين ما يجيء به النبي وما يجيء به المتنبئ. فالفرق حاصل في صفات هذا وصفات هذا، وأفعال هذا وأفعال هذا، وأمر هذا وأمر هذا، وخبر هذا وخبر هذا، وآيات هذا وآيات هذا، إذ الناس محتاجون إلى هذا الفرقان أعظم من حاجتهم إلى غيره».

---

(١) «النبوات» (١/ ١٢٩-١٣١)، (٢/ ١٠٣١).

وقال: «... كما أدخلت المعتزلة ونحوهم إنكار كرامات الأولياء وإنكار السحر والكهانة في الشرع بناءً على أن ذلك يقدح في آيات الأنبياء، فجمعوا بين التكذيب بهذه الأمور الموجودة وبين عدم العلم بآيات الأنبياء والفرق بينها وبين غيرها، حيث ظنوا أن هذه الخوارق الشيطانية من جنس آيات الأنبياء وأنها نظير لها، فلو وقعت لم يكن للأنبياء ما يتميزون به...» اهـ . وسيأتي عند الكلام على الأشاعرة إيضاح أوسع في الفوارق.

وأنكر المعتزلة الصرع ودخول الجني في الإنسي تبعاً لإنكارهم حقيقة السحر.

* الأشاعرة:

أقروا بكرامات الأولياء لكن سووا بينها وبين آيات الرسل، وسووا بين الآيات الكرامات وخوارق السحرة ونحوها، فكلها عندهم من جنس واحد، إلا أن المعجزة تظهر على يد نبي والكرامة على يد ولي، والخوارق الشيطانية عارية عن ادعاء النبوة والولاية...

وعندهم يجوز أن يحصل للولي والساحر مثل ما يحصل للنبي، ونحن نفصل قولهم في كل مسألة.

أولاً: في الفرق بين المعجزة والكرامة.

قال البيضاوي: «يتميز النبي بالتحدي والدعوى».

وقال البغدادي: «اعلم أن المعجزة والكرامة متساوية في كونها ناقضة للعادة، والفرق من ناحية تسمية هذه معجزة وهذه كرامة. والوجه الثاني: أن صاحب المعجزة لا يكتم معجزاته، بل يظهرها ويتحدى بها خصومه ويقول: إن لم تصدقوني فعارضوني بمثلها».

وقال التفتازاني الماتريدي: «الكرامة أمر خارق للعادة بلا دعوى النبوة من جنس الكرامات، وأن الكرامة لا تقارن دعوى النبوة».

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ثم هؤلاء جوزوا كرامات الصالحين ولم يذكروا بين جنسها - أي: آيات الرسل - وجنس كرامات الأولياء فرقاً، بل صرح أئمتهم أن كل ما

خرق لنبي يجوز أن يخرق لولي حتى معراج محمد ﷺ، وفرق البحر لموسى وناقة صالح عليهم السلام وغير ذلك»[(١)].

* والرد عليهم:

١- الفروق الكثيرة التي سبق ذكرها.

٢- قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بعد ذكر قول الأشاعرة: «وهذا قول من اتبع جهماً على أصله في أفعال الرب، فالجهمية حيث جوزوا فعل كل ممكن فلزمهم خرق العادات مطلقاً على يد كل أحد، واحتاجوا مع ذلك إلى الفرق بين النبي وغيره فلم يأتوا بفرق معقول...»[(٢)].

٣- وقال: «ولهذا اضطرب أصحاب هذا القول ولم يكن عندهم ما يفرقون بين دلائل النبوة وغيرها، وكانت آيات الأنبياء والعلم بأنها آيات إن حققوها على وجهها فسدت أصولهم، وإن طردوا أصولهم كذبوا العقل والسمع، ولم يمكنهم لا تصديق الأنبياء ولا العلم بغير ذلك من أفعال الله تعالى التي يفعلها بأسباب وحكم...» اهـ

وقوله: (فسدت أصولهم) نفي الحكمة، إذ أن إثبات الفوارق من الحكمة... وتأييد الله تعالى للنبي دون الساحر من الحكمة... وغير ذلك.

٤- وقال: «وأصل خطأ الطائفتين: أنهم لم يعرفوا آيات الأنبياء وما خصهم الله به ولم يقدروا قدر النبوة، ولم يقدروا آيات الأنبياء قدرها.

٥- أن كرامات الأولياء إنما وقعت لهم بسبب اتباعهم للأنبياء فكيف تساويها فضلاً أن تفوق عليها،...

---

(١) «النبوات» (١/ ١٣٦-١٣٧).

(٢) «النبوات» (١/ ١٣٤)، (١/ ٤٨٥).

٦- لو قدر أن صاحب الكرامة ادعى النبوة فهل يكون عندهم نبياً لاجتماع الخارق مع دعوى النبوة؟!.

٧- غلو الأشاعرة في الكرامة واسع كما سيأتي عند الكلام على الصوفية.

ثانياً: في الفرق بين المعجزة وخوارق السحرة ونحوهم.

سبق بيان أن الكل عندهم من جنس واحد.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وأصل خطأ الطائفتين أنهم لم يعرفوا آيات الأنبياء... بل جعلوا هذه الخوارق الشيطانية من جنسها، فإما أن يكذبوا بوجودها، وإما أن يسووا بينها ويدَّعوا فرقاً لا حقيقة له...»(١).

وقال: «وقالوا: وخوارق الأنبياء يظهر مثلها على يد الساحر والكاهن... وقالوا: ولو ادعى النبوة أحد من أهل هذه الخوارق مع كذبه لم يكن بد من أن الله يعجزه عنها فلا يخلقها على يده، أو يقيض له من يعارضه فتبطل حجته...».

* والرد عليهم:

١- بالفروق السابقة في الفصل السابق.

٢- قال تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١﴾ [الشعراء:٢٢١] الآية.

ففرق بين من تنزلت عليه الملائكة وبين من تنزلت عليه الشياطين كالفرق بين الملائكة والشياطين فلا اشتباه.

٣- وفرق بين الآية التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:٣٨]، وبين خوارق السحرة التي هي في مقدور الخلق فليست من جنس واحد.

(١) «النبوات» (ص ١٠٤٠) (ص ٤٨٧).

٤- قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وإذا قيل لهم: لم قلتم إن الله لا بد أن يفعل هذا - يعني قولهم: لابد أن الله تعالى يعجز صاحب الخارقة إن ادعى النبوة - وعندكم يجوز عليه كل شيء ولا يجب عليه شيء؟!

قالوا: لأنه لو لم يعجزه عن ذلك أو يعارضه بآخر لكان قد أتى بمثل ما يأتي به النبي الصادق فتبطل دلالات آيات الأنبياء...».

فآخر حجج القوم عدم إثبات آيات الرسل ومن ثَمَّ عدم إثبات النبوة والرسالات(١).

ثالثاً: في الفرق بين الكرامة وخوارق السحرة.

عرفوا الكرامة بأنها أمر خارق للعادة تظهر على يد ولي.

وزعموا أن الكرامة لا تحصل إلا لولي صالح كامل الإيمان ولا تحصل للفاسق(٢)، وزعموا أن الكرامات من جنس آيات الأنبياء، وتارة زعموا أنها ليست من جنسها.

وزعموا أن كرامات الأولياء ليست معجزة للنبي ولا تدل على صدقهم. هذه مخالفاتهم في باب الكرامة، وزيادة أنهم لم يفرقوا بينها وبين خوارق السحرة...

* والرد عليهم:

١- ليس بشرط أن الكرامة لا تظهر إلا على يد ولي، فلا تلازم بين الولاية والكرامة فقد تحصل للفاسق ليتوب ولضعيف الإيمان ليثبت، وقد يكون ولياً ولا تحصل له كرامة كحال كثير من الصحابة.

والقوم يغلون في الأولياء حتى أشركوهم فيما هو من خصائص الباري سبحانه.

---

(١) «النبوات» (ص ٥٠٦).

(٢) وهذا مع قولهم في الإيمان تناقض.

٢- وأما زعمهم أنها ليست من جنس آيات الرسل فقد اضطربوا في ذلك وتناقضوا كما مر بك مراراً.

٣- وأما زعمهم أن الكرامة ليست معجزة للنبي، وهذا مردود عليهم، إذ أن الكرامة ما حصلت إلا بتصديقهم لأنبيائهم.

٤- أما عدم تفريقهم بين الكرامة وخوارق السحرة فمردود من وجوه:

أ- الفوارق المذكور في الفصل السابق بين الكرامة والخوارق الشيطانية.

ب- أن الكرامة تحصل للمؤمن بالنبي والخوارق تحصل للمؤمن بالشياطين.

جـ- الكرامة إعانة على الطاعة والخوارق إعانة على الفساد والمعصية.

٥- وعندهم أن السحر له حقيقة، فالساحر يستطيع أن يقلب الأعيان والحقائق بسحره كأن يجعل العصا ثعباناً، والكبش حماراً... فجعلوا السحر من جنس الكرامة والمعجزة... وهذا ضلال مبين، فآيات الرسل وكرامات أتباعهم لا يقدر عليها أحد من الخلق، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد:٣٨].

وأيضاً: السحر له حقيقة لكنه لا يقدر على قلب الأعيان، قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦]، وهذا سحر التخييل، ولهذا قال تعالى: ﴿ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس:٨١].

والمعنى: أن خوارق السحرة تبطل وتظهر على حقيقتها، لأنها تخييلات، بخلاف الآية فإنها لا تبطل.

* الصوفية:

شأنهم كالأشاعرة إلا أنهم أشد غلواً فيما يتعلق بالأولياء، حتى زعم بعضهم أن الأولياء تحصل لهم كرامات أرفع من معجزات الأنبياء.

* الرافضة:

سبق أنهم يرون معجزات الأئمة أرفع من معجزات الأنبياء، وأما التفريق فلم أقف عليه.

* الحزبية:

وهم خليط كما هو معلوم.

فهذا سعيد حوى لا يفرق بين الكرامات ومخاريق السحرة، حيث قال: حدثني مرة نصراني أنه حضر حلقة ذِكْر، فضربه أحد الذاكرين بالشيش في ظهره، فخرج الشيش من صدره حتى قبض عليه بيده ثم سحب الشيش ولم يكن لذلك أثراً أو ضرراً.

إن هذا الشيء الذي يجري في طبقات أبناء الطريقة الرفاعية ويستمر فيهم هو من أعظم فضل الله على الأمة، إذ من رأى ذلك تقوم عليه الحجة بشكل واضح على معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء...».

فلماذا لم تقم الحجة على النصراني ويسلم؟

وانظر إلى العقيدة الأشعرية حيث لم يفرق بين المخاريق والمعجزات والكرامات.

ويؤكد عدم تفريقه قوله: «إن ما يحدث لهؤلاء لا يمكن أن يكون سحراً، لأن السحر جزء من عالم الأسباب، وهاهنا لا نجد لعالم الأسباب محلاً». اهـ

وهذا باطل، فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في الرفاعية: «ولقد بينت صورة ما يظهرونه من المخاريق مثل ملابسة النار والحيات... وأن عامة ذلك من حيل معروفة وأسباب مصنوعة...»[1].



(١) «مجموعة الرسائل» (١/ ١٢١-١٤٦).

[أوصاف أهل السنة والجماعة]

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ)(١)، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ، وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَسُمُّوا أَهْلَ الجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ القَوْمِ المُجْتَمِعِينَ.

وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ. وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ. وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، وَبَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الأُمَّةُ.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: أصول الشريعة الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح.

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧) وغيره عن العرباض رضي الله عنه.

الثانية: السلفي هو من تمسك بالكتاب والسنة ولزم جماعتهم.

الثالثة: البدع خلاف الشرع واللغة والعقل.

الرابعة: السنة اتباع للسلف في فهم الدين.

الخامسة: كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالةٍ.

السادسة: ليس في الدين بدعة حسنة.

السابعة: الحذر من أهل البدع من التمسك بالسنة.

الثامنة: أَصْدَقَ الكَلاَمِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

التاسعة: الميزان المستقيم كتاب وسنة لا هوى ورأي.

العاشرة: أهل السنة أنصح الناس للناس.

الحادية عشر: أهل السنة أعدل الناس في الجرح والتعديل.

الثانية عشر: من خالف جماعة أهل السنة فليس منهم.

الثالثة عشر: الإجماع الثابت حجة لازمة.

....

قوله: (طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا) وهو الكتاب والسنة، والظاهر القول والعمل، والباطن الاعتقاد وعمل القلب، ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وقوله: (وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِيَن الأَوَّلِينَ مِن المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ) وهذا هو فهم السلف: كتاب وسنة على فهم السلف، ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وقوله: (وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ...) إشارة إلى أمرين: الأول: شدة التمسك والثبات ومجاهدة النفس على ذلك، والثاني: مجاهدة من ينازع السلفي في عقيدته من أهل الشرك والبدع.

وقوله: (وَيُؤْثِرُونَ كَلاَمَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ) لا يقدمون عليه شيء من كلام الناس وآراءهم وبدعهم، فالولاء لله تعالى، والعداء فيه تعالى.

وقوله: (وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ) بهذا الميزان تزن الجماعات والأشخاص.

وقوله: (وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ) أي: صار لفظ (الجماعة) من اسم (أهل السنة والجماعة) صار اسمًا ووصفًا.

وقوله: (وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ) قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال ﷺ: «إن أمتي لا تجتمع على ضلاله»، رواه الحاكم عن ابن عباس وسنده حسن.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وإذا ثبت اجتماع الأمة على حكم من الأحكام لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم». وقال: «والتحقيق أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفة كما يكفر مخالف النص بتركه»[(١)].

وقد ضل اهل البدع في هذا فالجهمية والرافضة والخوارج وأكثر المعتزلة لا يرون الإجماع، وبعض المعتزلة يقولون بالإجماع ويقدمون العقل عليه، والأشاعرة كذلك. وقد بسطنا القول في الباب الأول من كتابنا (أصول أهل السنة)، وهو باب أصول الاستدلال.

وقوله: (وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، وَبَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلاَفُ، وَانْتَشَرَت الأُمَّةُ) بمعنى أنه إجماع ظني، فما ثبت منه فالأخذ به واجب، لأن مخالفه محدث لقول لم يسبق إليه، وإن اختلف السلف تخيرنا من أقوالهم الأقرب للأدلة.

****

(١) راجع «الفتاوى» (٢٠/ ١٠)، «الفتاوى» (١٩/ ٢٧٠)، «إعلام الموقعين» (١/ ٣٦٧)، «معالم أصول الفقه عند أهل السنة» (١٦٢ - ١٨٦).

[صبر أهل السنة على ولاة الأمر]

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ، وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ، وَالجِهَادِ، وَالجُمَعِ، وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: الصبر على ولاة أمر المسلمين من الدين.

الثانية: إقامة الحج والجهاد.. مع الولاة حق.

الثالثة: أهل السنة وسط في الولاة بين الخوارج والصوفية.

الرابعة: لا تستقيم عقيدتك حتى ترى السمع لولاة الأمر المسلمين.

الخامسة: من يرى الخروج على ولاة المسلمين فهو خارجي.

السادسة: أسعد الناس بالوسطية هم السلفيون.

الثامنة: البدعة والفرقة متلازمتان.

التاسعة: جور الولاة لا يسوِّغ الخروج عليهم.

العاشرة: خير ما جُوهد به الولاة الظلمة الصبر والتوبة.

الحادية عشر: كيف ما تكن الأمة تكن ولاتها.

الثانية عشر: الخروج على الولاة فساد للدين والدنيا.

....

هذا الفصل عقد لبيان ما تميز به أهل السنة والجماعة في مسلكهم العملي بعد الفراغ من ذكر ما تميزوا به في عقدهم، وأصول دينهم، ففي هذا الفصل ذكر أبرز الخصائص السلوكية المنهجية لأهل السنة والجماعة، فأول هذه السمات المنهجية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

قوله: (أْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ) أي: ليس على الهوى كما تفعل الخوارج والمعتزلة والحزبية. وبدأ به لأن الله تعالى وصف خير هذه الأمة به في قوله تعالى:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾.

وقوله: (وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالْجُمَعِ، وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا)

وهذه أول مسألة خاض فيها أهل البدع الخوارج والروافض السبأية زمن عثمان، ونتج وراء ذلك شر عريض عانت منه الأمة إلى اليوم وإلى قيام الساعة.

والإمام الوالي للمسلمين من ضروريات وحدتهم وجهادهم وإقامة دينهم، ولذلك قيل في تعريف الإمامة: هي تولي تدبير أمور المسلمين في الدنيا وحفظ دينهم.

فالإمامة: تشمل تدبير أمور الرعية الدنيوية والحفاظ عليهم، وتشمل حراسة الدين بإقامة الحدود وإظهار الشرائع ونشر العلم والجهاد وغير ذلك.

وقال ابن جماعة رحمه الله تعالى: «ويجب نصب إمام يقوم بحراسة الدين وسياسة أمور المسلمين وكف أيدي المعتدين وإنصاف المظلوم من الظالمين، ويأخذ الحقوق من مواقعها ويضعها في مواضعها، فإن بذلك صلاح البلاد وأمن العباد وقطع مواد الفساد، لأن الناس لا تصلح أحوالهم إلا بسلطان يقوم بسياستهم ويتجرد لحراستهم».

وقد أوجب الله تعالى طاعتهم في غير معصية، وأدلة ذلك كثيرة، منها:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، ولم يكرر لفظ (أطيعوا) في شأن أولي الأمر، لأن طاعتهم مقيدة بطاعة الله ورسوله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني» متفق عليه.

قال الحافظ رحمه الله تعالى: «والحكمة من الأمر بطاعتهم المحافظة على اتفاق الكلمة لما في الافتراق من الفساد».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» رواه البخاري (٦٩٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية» متفق عليه (خ ٦٦٤٥) (م ١٨٤٩).

وعن زيد بن وهب قال: سمعت رسول الله ﷺ: «إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم»، (خ ٦٦٤٤).

والأدلة في الأمر بطاعة ولاة الأمر والصبر على جور الأئمة متواترة.

وقال الأوزاعي رحمه الله تعالى: «كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله».

وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء.

قال ابن أبي حاتم فيما نقله من عقيدة أبي حاتم وأبي زرعة وعلماء الأمصار: «ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا، ولا ننزع يداً من طاعة، ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفُرْقة».

وقال البربهاري رحمه الله تعالى: «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة».

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى: «الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات ومن أفضل الطاعات ومن النصيحة لله ولعباده...».

ومناصحة ولاة الأمر من السنة القويمة، ولا يتركون لأهل البدع يغوونهم، فعن عياض بن غنم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبْده علانية، وليأخذ بيده، فإن سمع منه فذاك، وإلا كان أدى الذي عليه»، رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٠٧) وصححه الألباني. وقال ابن مفلح رحمه الله تعالى: «ولا ينكر أحد على السلطان إلا وعظاً له وتخويفاً أو تحذيراً من العاقبة في الدنيا والآخرة فإنه يجب، ويحرم بغير ذلك، ذكره القاضي وغيره...».

وضل في هذا عامة أهل البدع:

والأشاعرة والماتريدية يرون طاعة ولاة الأمر ولهم بعض الضلالات، وأما الصوفية فإنهم في مناصرة من يعينهم على بدعتهم أسرع إلى عونه ولو كان كافراً، وسيرهم في إعانة الغزاة واضح وكثير، وتثبيطهم عن الجهاد مشهور، فهم مع الولاة ممن يشجع بدعهم دون غيرهم. وأما الخوارج والمعتزلة فمذهب معروف وتكفيرهم للولاة كثير منذ زمن بعيد.

* ويرد على الخوارج:

١ – بأدلة الكتاب والسنة والإجماع التي تنهى عن الخروج على ولاة الأمر وتأمر بالصبر عليهم.

٢– بأدلة ذم الخوارج الواردة في الصحاح وغيره من كتب الحديث، وهي كثيرة: من حديث علي وأبي سعيد وأبي أمامة وأبي هريرة وعبد الله بن أبي أوفى وابن عمر وابن عباس وجابر وأبي ذر وابن مسعود وأنس وغيرهم.

٣– ويرد عليهم بأدلة زيادة الإيمان ونقصه، ويبين لهم فساد مذهبهم فيه – كما سبق في بابه – وأن ما بنوه على مذهبهم في الإيمان من تكفير المسلمين والأئمة باطل شرعاً وعقلاً.

٤– ويرد عليهم: ببيان الأضرار والفساد الذي يترتب على منابذة الأئمة، ولشيخ الإسلام كلام جميل في هذا، قال رحمه الله تعالى: «فإذا تولى خليفة من الخلفاء كيزيد وعبد الملك والمنصور وغيرهم فإما أن يقال: يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يولى غيره كما يفعله من يرى السيف،

فهذا رأي فاسد، فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته، وقَلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير، كالذين خرجوا على يزيد بالمدينة، وكابن الأشعث الذي خرج على عبد الملك بالعراق... وكالذين خرجوا على المنصور بالمدينة... وأمثال هؤلاء، وغاية هؤلاء: إما أن يُغلبوا وإما أن يَغلبوا ثم يزول ملكهم، فلا يكون لهم عاقبة... وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة... ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم.... ولم يكن في الخروج مصلحة لا في دين ولا في دنيا... بل زاد الشر بخروجه ونقص الخير وصار ذلك سبباً لشر عظيم... وكان قتل عثمان مما أوجب الفتن، وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم وترك الخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمداً أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد، ولهذا أثنى الرسول ﷺ على الحسن بقوله: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»، ولم يثن على أحد لا بقتال في فتنة ولا بخروج على الأئمة ولا نزع يد من طاعة ولا بمفارقة الجماعة...

ولكن تواتر عنه ﷺ أنه أمر بقتال الخوارج المارقين... واتفق الصحابة على قتال هؤلاء وكذلك أهل العلم من بعدهم...

- إلى أن قال -: إذا لم يُزَل المنكر إلا بما هو أنكر منه صار إزالته على هذا الوجه منكراً، وإذا لم يحصل المعروف إلا بمنكر مفسدته أعظم من مصلحة ذلك المعروف كان تحصيل ذلك المعروف على هذا الوجه منكراً...»[1].

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٥٢٧-٥٤٣) راجعه فإنه كلام نفيس.

٥- ويرد عليهم بالواقع: فإن الخوارج منذ نشأتهم لا تُعلم لهم نصرة للدين وجهاد للكافرين ولا فتح لبلاد الكفر ولا تعليم للعباد من الجهل... إلا الشيء النزر الذي لا يكاد يذكر، فقوم هذا حالهم قوم سوء ليسوا حملة الإسلام ولا دعاته ولا أهل الحق ولا رواده... فظهر أنهم أهل ضلالة وأن مذهبهم شر وفساد.

❊ المعتزلة:

وهم في هذا الباب أشبه بالخوارج، فمن أصولهم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويريدون به منابذة الأئمة إلا أنهم دون الخوارج.

❊ فوافقوا الخوارج في:

١- قول النظام أن الإمامة لا تختص بقريش.

٢- ذهب بضعهم إلى أنه لا تصح إمامة المفضول مع وجود الفاضل.

٣- محاسبة الإمام وعزله بالفسق.

٤- ذهب بعضهم إلى جواز تعدد الأئمة...

٥- يرون السيف على الأئمة ومن خالفهم من الأمة.

❊❊❊❊

[ومن صفات أهل السنة والجماعة]

وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ، وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: (المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)[(١)] وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. وَقَوْلِهِ: (مَثَلُ المؤمِنِينَ فِي تَوادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِم وتَعَاطُفِهِم كَمَثَلِ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمّى والسَّهَرِ)[(٢)].

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلاَءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، والرِّضَى بِمُرِّ القَضَاءِ، وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: (أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)[(٣)]، وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفقِ بِالمَمْلُوكِ، وَيَنْهَونَ عَنْ الفَخْرِ وَالخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاَقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفَسَافِهَا.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ

---

(١) (خ ٤٨١) (م ٢٥٨٥) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) (خ ٦٠١١) (م ٢٥٨٦) عن النعمان رضي الله عنه.

(٣) أبو داود (٤٦٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ[١]، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي)[٢] صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلاَمِ المَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَةِ وَالجَمَاعَةِ، وَفِيهِم الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلاَمُ الهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ، وَالفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ.

وَفِيهِم الأَبْدَالُ، وَفِيهِمْ أَئِمَةُ الدِّينِ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَهُم الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ الَّذِين قَالَ فِيهِم النَّبِيُّ ﷺ: (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ لاَ يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)[٣].

فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

---

(١) رواه أبو داود (٤٥٩٧) وغيره عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَامَ فِينَا فَقَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِينَا فَقَالَ: (أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْـمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ)، وصححه الشيخان.

(٢) رواه المروزي في السنة (٩٥) والآجري (٢٤) والحاكم (٤٤٤) وغيرهما وفي سنده مقال، وحسنه الألباني بشواهده.

(٣) (خ ٧٣١١) (م ١٩٢١) عن المغيرة رضي الله عنه، و(م ١٥٦) عن جابر رضي الله عنه، (م١٩٢٠) عن ثوبان رضي الله عنه، و(م ١٩٢٢) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، (خ ٧١) (م ١٠٣٧) عن معاوية رضي الله عنه، واللفظ له.

قواعد من هذه الجملة:

الأولى: المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضًا.

الثانية: التراحم من أخص صفات المؤمن الصالح.

الثالثة: أهل السنة أرحم الناس بالناس.

الرابعة: كمال الدين بالصبر والشكر.

الخامسة: مكارم الأخلاق هي جمال الإسلام.

السادسة: حسن الأخلاق من صفات الأخيار.

السابعة: أداء الحقوق لأهلها من الدين القويم.

الثامنة: الظلم ينافي الأخلاق الإسلامية.

التاسعة: الأخلاق والمعاملة مقيدة بالكتاب والسنة.

العاشرة: السنة ملازمة للجماعة، والفرقة ملازمة للبدعة.

الحادية عشر: السلفية هي الإسلام الخالص.

الثانية عشر: الثبات عند كثرة المخذلين والمنخذلين هو السلفية.

الثالثة عشر: ليس في أهل البدع إمام هدى.

....

هذه الآداب وغيرها مما ورد في الكتاب والسنة، وخير من يهتم بالعمل بالشريعة من جميع وجوهها هم أهل السنة والجماعة، وهو ظاهر لا ينكره إلا مكابر.

وقوله: (وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ) في الصلوات وغيرها (وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ) لأن هذا مما أوجبه دينهم، قال ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» (م ٥٥)، أي: يتعبدون لله عزَّ وجلَّ بالنصيحة للأمة، ويعتقدون ذلك دينًا، وأعظم نصح تحذير الأمة من الشرك والبدع، (وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: (المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. وَقَوْلِهِ: (مَثَلُ المؤمنِينَ فِي تَوادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِم وتَعَاطُفِهِم كَمَثَلِ الجَسَدِ ...) فيهما وجوب التعاون على الحق، والتراحم وتقوية الأخوة،

وهذان الحديثان صورا الأخوة بأجمل معانيها.

(وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلاَءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، والرِّضَى بِمُرِّ القَضَاءِ) وهذه الثلاث عنوان السعادة، وصلاح الدين، وقد قال الله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

وقوله: (وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) وديننا يقوم على حسن الأخلاق ومكارمها وهي أعلاها، والحديث يدل على أن الأخلاق من الإيمان، ومنها الأخلاق مع الله تعالى، والأخلاق مع الخلق.

(وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفقِ بِالمَمْلُوكِ، وَيَنْهَونَ عَنْ الفَخْرِ وَالخُيَلاءِ، وَالْبَغْيِ وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفَسَافِهَا) وهذه من جملة الأخلاق الفاضلة وأداء الحقوق والبعد عن الظلم والكبر ونحوه.

وقوله: (وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ) طريقة أهل السنة والجماعة هي دين الإسلام الجامع لكل العقائد الصحيحة، والعلوم النافعة والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، فالحامل لهم على ذلك كله هو اتباع الكتاب والسنة.

(لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّها فِي النَّارِ إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي) صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلاَمِ المَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنةِ وَالجَمَاعَةِ) المحض: يفسره ما بعده. فإذا سئلنا: من أهل السنة والجماعة؟ فنقول: هم المتمسكون بالإسلام الخالص عن شوب الشرك والبدع.

وهذا يقتضي أن الأشاعرة والماتريدية والحزبية الإخوانية والسرورية ونحوهم ليسوا من أهل السنة والجماعة؛ لأن تمسكهم مشوب بما أدخلوا فيه من البدع والضلالات، ولا ينفعهم دعواهم بأنهم من أهل السنة، فعقائدهم المنحرفة تصادم الكتاب والسنة، وهم لا يزالون يحاربون أهل السنة على مر العصور، لا سيما الأشاعرة والماتريدية الذين تسلطوا على دول المشرق والدولة الأيوبية والمماليك والعثمانية، ونشروا الضلال بقوة السلطان، حتى عم الشر والشرك الأرض، وعبدت القبور في كل مكان، وانتشر السحر، ونشط التصوف والرفض، كل هذا بسبب محاربة الأشاعرة وغيرهم، واقرأ ما جرى لشيخ الإسلام وقبله المقدسي وبعده ابن القيم وغيرهم من مؤاذاة وسجن وتكفير، وما جرى للدولة السعودية من حرب ضروس من العثمانيين من أجل أنهم دعاة التوحيد... والحديث في هذا يطول، وانظر إلى الجماعات الحزبية التي تمجد الديمقراطية والأنظمة العلمانية، فخالفوا أصول الدين، فأنى لهم أن يكونوا من أهل السنة.

وقوله: (وَفِيهِم الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلاَمُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ) هذه أوصاف أهل السنة والجماعة، الذين من الله تعالى عليهم بالاتباع.

(وَفِيهِم الأَبْدَالُ) الأبدال: جمع بدل، وهم العلماء العاملون والعُبَّاد الصالحون الذين يخلف بعضهم بعضًا. وهذا اللفظ ورد في بعض الأحاديث، ولكن ذكر شيخ الإسلام وغيره: أنه لا يصح فيه حديث. ولو عبَّر بالمجددين لكان أفضل، لأن الصوفية الضالة استغلت هذا اللفظ فنسجت من الضلال والشرك في الربوبية والألوهية حول الأبدال والقطب والأوتاد ونحوذلك.

(الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ) كأبي بكر وعمر، وابن المسيب والزهري، والشافعي ومالك وأحمد، وابن خزيمة واللالكائي، وعبد الغني المقدسي وابن تيمية، والمجدد محمد بن

عبد الوهاب وابن باز ونحوهم آلالاف ولله تعالى الفضل والمنة. وليس لأهل البدع إمام هدى، ومن اشتهر منهم بالخير فقد صحبت ذلك البدع التي أحدثها.

(وَهُم الطَّائِفَةُ المنْصُورَةُ الَّذِين قَالَ فِيهِم النَّبِيُّ ﷺ: (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ لاَ يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)) التي انتصرت على الهوى والشرك والبدع، فأقاموا الدين الحق والعقيدة الصحيحة، وثبتوا عليها على مر الأزمان، فهم منصورون بالحجة والبيان، والسيف والسنان، وهم الذين نشروا الإسلام في العالم، فجزاهم الله تعالى خير الجزاء وأوفاه.

وقوله: (فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَنْ لاَ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً، إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ. وَاللهُ أَعْلَمُ) آمين، ونحن نسأل الله تعالى ذلك لنا ولأهل السنة حيث كانوا من زماننا إلى يوم القيامة. آمين.

(وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا) من محاسن التأليف أن يختم بالدعاء والصلاة والسلام على نبينا الكريم، اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه وثبت على سنته إلى يوم الدين، أسأل الله تعالى أن يجزي خيرًا كل من أعان على هذا الشرح، ومن قام بنشره، وفقكم الله تعالى أهل السنة، وثبتنا وإياكم على الإسلام والسنة حتى نلقاه، والحمد لله تعالى وحده.

****

الفهرس